رحلة الحبشة

تأليف

صادق باشا المؤيد العظم فريق اول بالجيش العثماني
والمندوب العثماني السابق في بلغاريا

تعريب

رفيق بك العظم و حقي بك العظم

طبع بمطبعة الجريدة بسراي البارودي بباب الخلق
سنة ١٣٢٦هـ — سنة ١٩٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

السفر من الاستانة — تراجمة بيره — ساعتان لطيفتان في نابولي — الوصول الى مرسيليا — خادم القهوة — الوصول الى بورت سعيد — مهارة ملاحي البحر الاحمر — الاستمرار على السير

امتثالاً للامر السلطاني الصادر بانتدابي لايصال كتابه الى جلالة منليك الثاني نجاشي الحبشة سافرت من الاستانة في الخامس عشر من شهر نيسان (ابريل) على الباخرة اوره نوف من شركة مساجري ماريتيم الافرنسية قاصداً مرسيليا لاركب منها أول باخرة تسافر الى جيبوتي . وكان في صحبتي البكباشي طالب بك من ضباط الفرقة الثانية ومن ياوران الحضرة السلطانية ويس افندي أحد جوّاش بلوك المعية . وكانت الباخرة المذكورة كبيرة جداً وعلى غاية من النظافة تقطع في الساعة ثلاث عشرة عقدة . ولم يكن معنا من الركاب في الدرجة الاولى سوى ثلاثين راكباً نساء ورجالاً لذا كان لنا مجال واسع للتمشي على ظهر الباخرة والراحة في بهوها

بلغنا جناق قلعة (الدردانيل) ليلاً فرست بنا الباخرة برهة يسيرة ريثما أعطت البريد وأخذت غيره ثم مخرت بنا قاصدة أزمير . وكان البحر هادئاً والطقس جميلاً جداً . وفي اليوم التالي (الجمعة) وصلنا ازمير في منتصف الساعة السابعة صباحاً وألقت الباخرة مراسيها خارج الميناء وأخذت تشحن البضائع من قطن وزبيب وبيض وتين مجفف بكثرة لنقلها الى مرسيليا فرأيت أن انزل الى المدينة لاجل اتمام بعض نواقص السفر اللازمة لنا في سفرنا هذا . وقد كانت أمتعتي وأدواتي التي ادخرتها بعد سياحاتي وأسفاري لأواسط أفريقيا (مرة الى جغبوب ومرة الى كفره) وآسيا الصغرى

(الاناضول) ورحلتي من دمشق الى الحجاز في مهمة مد الخط البرقي بين القطرين المذكورين كاملة تغنيني عن أخذمثلها الآن لكن الحريق الذي دمّر منزلي الكائن بالاستانة في العام الغابر أتلف كل هذه العدد فاضطرني الى تجديد كل ما يلزم لمثلي في الأسفار

وبعد أن مكثنا في أزمير اربعاً وعشرين ساعة اقلعت بنا الباخرة منها في الساعة السابعة ونصف صباحاً قاصدة ميناء (بيره) وبينما كنا نتناول طعام المساء تغير الطقس وأخذت الباخرة تتمايل بنا ذات اليمين وذات اليسار فانقبضت الصدور وترك الركاب المائدة من نصف الاكل وجعلوا يتسلّلون الى غرفهم واحداً تلو آخر ومع كثرة معاناتي لركوب البحار وما صادفته فيها من الانواء العظيمة لم أعتد الصبر على الدوار فاضطررت للذهاب الى غرفتي ايضاً ونمت من الساعة الواحدة بعد الغروب (على الحساب الشرقي)

وفي يوم الأحد التالي وصلنا الى ميناء (بيره) ولم تلبث الباخرة ان ألقت مراسيها وأخذت الجواز الصحي حسب العادة حتى امتلأت بسماسرة الفنادق وتراجمة السياح وأصحاب القوارب واخذوا يحومون حول الركاب ويكلمونهم بلغات متعددة كالانكليزية والافرنسية والرومية فكنت اتخيل من كلام من كانوا نصيبي من هؤلاء النوتية ان من يخاطبني بالتركية انما يخاطبني بالافرنسية ومن يخاطبني بالافرنسية انما يخاطبني بالتركية وكان كل من هؤلاء النوتية يبذل جهده ويظهر من فصاحة اللسان ما عنده لاقناع الركاب بالنزول الى البر والذهاب الى (اثينا) عاصمة اليونان والتفرج عليها وقد أراني احد التراجمة بطاقة احد رفاقي من الياوران وقد كان مرّ بهذه الميناء وهو ذاهب لقضاء مهمة كان انتدب اليها وزار (اثينا) وضواحيها مع الترجمان المذكور وعلى ظهر البطاقة كتابة بتوقيع صاحبها تشهد بحسن حال الترجمان . ولما رأيت هذه الكتابة نزلت الى البر مع رفيقي بصحبة ذلك الترجمان لزيارة عاصمة اليونان وركبنا مركبة مكشوفة من الجنس المعبر عنه (لاندو) لنتمكن من الوقوف في الطريق عند الحاجة ومشاهدة الآثار كما يجب

وكنا كلما مررنا بأثر قديم ومحل مشهور يقف صاحبنا بنا خطيباً ويحملق بناظريه ويشير الى اليمين والشمال بيديه مسترسلاً في سرد تاريخ ذلك الأثر مشخصاً حالة اصحابه بشكل مستغرب وبيان مخل زائد عن الحاجة وكيفما كان الحال قد قضينا في (اثينا) ثلاث ساعات عدنا بعدها الى (بيره) ثم قصدنا الباخرة ولما بلغناها وجدنا الدرجة الثالثة مملوءة بالركاب وفي الساعة السادسة أقلعت بنا من (بيره) والاشاعة دائرة بين الركاب ان نوءاً شديداً سيحدث في الليل ولما جاء الليل كذب تلك الاشاعة ولم يحدث النوء بل بالعكس كان الهواء لطيفاً والبحر هادئاً وقضينا الليل في راحة وعلمت ونحن على طعام المساء شيئاً أحببت ذكره هنا وهو :

كنت أعهد بالاوروبيين الشره الى اكل لحم الخيل وكثيراً ما رأيت في باريز ألواحاً على حوانيت بعض الجزارين مكتوباً عليها (البغال السمينة) وفيها كثير من لحم البغال والخيل إلا اني ما كنت اعرف انهم يأكلون لحم الحمير ايضاً نعم ان المعلوم عقلاً ان ليس هناك فرق بين لحم البغال والخيل ولحم الحمير وربما تشابهت هذه اللحوم لان غذاء هذه الحيوانات واحد ومن اكل لحم الخيل والبغال يسهل عليه اكل لحم الحمير ايضاً انما موضع الاستغراب هو اني أعلم ان جنس الحمير قليل جداً في اوروبا وانه لا يوجد الا في حدائق الحيوانات في عواصم اوروبا الكبرى بين الحيوانات الغريبة ولم أسمع ان هذا الحيوان كثير في أوروبا لدرجة ان يؤكل لحمه حتى رأيته تلك الليلة على المائدة وذلك ان الموكلين بالطعام أتونا بنوع من النقانق (السجق) ذي منظر بهيج ولون جميل مقطع قطعاً مستديرة ولما لم أعرف جنس هذا الطعام ومن اي لحم عمل لم أتناول منه وكان بجانبي قسيس ضخم الجثة سمينها يظهر من سيماه وصحته انه يحب المآكل النفيسة فلما رآني اكتفيت بالسردين والزبدة قال لي (كل يا سيدي من هذه النقانق لانها من أنفس ما صنع وهي معمولة من لحم البغال والحمير معاً) ووافق الحضور على أقواله . أما انا فاعتذرت مع الشكر لهذا القسيس الكثير العناية بجيرانه

وفي صباح اليوم التالي الذي هو يوم الثلاثاء رأينا عن شمالنا جزيرة (استرومبولي) وقضينا وقتاً في مشاهدة الدخان المتصاعد من جبالها البركانية . وفي الساعة الخامسة افرنجية مررنا بين نابولي وجزيرة (كابري) . وهنا قرب جزيرة (كابري) نفق طبيعي جسيم يمر به من طرف الى طرف ويرى من الباخرة وكان الركاب يتحدثون بموت المسيو كروب صاحب معمل مدافع كروب في هذه الجزيرة وبزيارة الامبراطور ويلهلم امبراطور ألمانيا لهذه الجزيرة منذ عشرين يوماً ومكثه فيها نحو شهر من الزمان

وفي الساعة السادسة افرنجية دخلت باخرتنا ميناء (نابولي) المشيدة بيد القدرة وهي بيضية الشكل وتحيط بها الجبال من اطرافها ويرى الراكب من الباخرة جبل (فيزوف) الناري الشهير . ويوجد لهذا الميناء الطبيعي رصيف جسيم وجميل كلما اقتربنا منه نرى الزوارق الصغيرة مملوءة من المغنين والمغنيات مقبلين علينا لاستقبالنا وهم يغنون الأغنية المطربة وكانت تدنو أجمل تلك الفتيات و بيدها المظلة (الشمسية) معكوسة اي ان اليد الى الاعلا لتتلقى بها النقود فيأخذ ركاب الباخرة برمي ما تجود به انفسهم من الدراهم لهؤلاء المساكين فكان كلما ازداد سقوط الدراهم الى المظلة يزداد سرور المغنين وكان دنو الشمس من الغروب ومنظر المدينة البهيج يمثلان صورة من أبدع الصور لا سيما تلك الزوارق التي كانت محيطة بالباخرة وبحمل بعضها انواع الزهور و بعضها انواع الفواكه وأخصها الكرز وقد رأينا وقتئذ نوعاً من القرنفل المطبق لم ترعيني مثله قط . ولما دنت كل هذه الزوارق من الباخرة علت أصوات الموسيقى وازداد السرور ثم أخذت الفتيات المغنيات بالرقص في الزوارق حتى أقبل الركاب جميعهم الى شرفات الباخرة يشاهدون هذا المنظر البديع وهم مبهوتون

ولما كانت الباخرة لا تقف ثمة اكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات فقد اكتفيت بمشاهدة المدينة من الخارج هذا وقد جرت المعاينة الصحية في الباخرة بكل اعتناء وتدقيق وخرج اكثر ركاب الدرجة الرابعة الى البر لينتقلوا الى باخرة أخرى . ولما

أرخى الليل ستاره أخذت زوارق المغنين والمغنيات وبائعي الزهور والفواكه تنسلّ واحدة وراء الاخرى راجعة الى حيث أتت واستولى السكون على اطراف الباخرة وظهرت المدينة بحلة بهية تسطع بالانوار فتجتذب اليها الابصار وتعوّض النفوس من المسرة عما فاتها في النهار . ولما اتمت الباخرة أخذ القليل من البضائع التي وردتها وانزال مثلها وقصد الركاب غرفهم لاجل النوم أقلعت بنا قاصدة مرسيليا

وفي يوم الاربعاء التالي اصبحنا والجو متلبد بالغيوم والبحر متلاطم بالامواج والباخرة باهتزاز مستمر فلم يتمكن اغلب الركاب من الجلوس على المائدة وقت الظهر . وفي الساعة السادسة بعد الظهر مررنا امام جزيرة (مونت كريستو) التي اتخذها اسكندر دوماس الكاتب المعروف موضوعاً لاحدى قصصه الشهيرة وتركناها على يميننا . ولما كان البحر مستمراً في هياجه اضطر اكثر الركاب للالتجاء الى غرفهم وملازمة سررهم قبل الوقت وقد كنت انا من جملتهم أيضاً

وفي يوم الخميس رؤي البر وأخذت الباخرة تقترب من مرسيليا . وفي منتصف الساعة الرابعة دخلنا مينا (جوليت) في الثغر المذكور . ولما صعدنا الى البر أخذنا حقائبنا الصغيرة وتركنا ماعداها من الصناديق في الجمرك لعزمنا على سرعة السفر على باخرة اخرى ونزلنا في فندق (جنيف) الكائن في شارع (كابنيدر) الشهير الذي يباهي به المرسيليون اهل باريز ويعدونه من اجمل الشوارع واعظمها

يستطيع الانسان ان يكتب كثيراً من الصفحات عن مناظر مرسيليا وموقعها وآثارها ولكن رحلتي هذه خاصة بالحبشة فقط لذا اكتفيت بسرد الاشياء والاحوال التي تستدعي دقة النظر كثيراً

بعد ان استرحت في الفندق بضع دقائق وتركت الحقائب الصغيرة هناك خرجت للبحث عن باخرة تسافر الى جيبوتي أو الى عدن فذهبت لمكتب شركة (بنسولر) الانكليزية فاعلمت انها تقوم في اليوم التالي باخرة قاصدة عدن ولدى سؤالي عن وجود بواخر تسير بين عدن وجيبوتي أجابوني انهم لا يقطعون بالعلم بوجود باخرة

تتردد بين جيبوتي وعدن والاولى الاستعلام عن ذلك من وكالات الشركات البحرية في بورت سعيد . فلذا عزمت على السفر الى بورت سعيد على تلك الباخرة حتى اذا علمت ثمة ان ليس بين عدن وجيبوتي بواخر للسفر امكث في بورت سعيد ريثما تمر منها باخرة قاصدة جيبوتي

وفي يوم الجمعة صباحاً بينما كنت جالساً خارج احدى المنتديات اسرّح الطرف في الغادين والرائحين اذ أتى خادم المحل وحل عرى (التنته) وانزلها الى قرب الارض فسألت الخادم عن سبب ذلك فاومأ بيده مشيراً الى الساعة فرفعت نظري اليها فاذا هي السابعة ونصف ففهمت ان العادة في هذا المحل تنزيل (التنته) في هذا الميعاد منعاً لاشعة الشمس على ان الشمس كانت هذا اليوم غائبة ولم يكن من حاجة لتنزيلها وانما هذا الخادم الشبيه بآلة ميكانيكية لم يدرك ذلك وذكرتني هذه الحكاية حكاية مثلها شاهدتها في برلين وذلك اني كنت مرة هناك اتنزه مع بعض رفاقي الضباط فاخذ الجو في التغير فجأة وظهرت علائم المطر فاضطررنا للالتجاء لمنزل أحد رفاقنا وكان قريباً الى المحل الذي كنا فيه وبعد قليل تدفقت السيول حتى حاكت الطرق الانهار وبينا هي كذلك اذ جاء الرجل المكلف من قبل البلدية برش الطريق راكباً على عجلة يجرها حصان فوقف أمام الحنفية الخاصة لملئ عجلات الرش ووضع الماسورة وملأ خزانة العجلة بالماء وأخذ يرش الطريق مبتدئاً من المحل الذي كان وصل اليه الرش قبل نزول المطر غير مبال بانهمار المطر عليه وغب هذا دخل علينا صاحب المنزل فسألناه عما يفعل هذا الرجل القائم برش الشارع مع نزول المطر فاجاب ان الرجل قائم بأداء وظيفته !

وقد كنا نقلنا كل ما معنا من الصناديق والحقائب من الجمرك الى احدى بواخر شركة (بنسولر) التي أقلعت بنا من مرسيليا في الساعة الحادية عشرة صباحاً قاصدة بورت سعيد

كنت عند ما قمنا من الاستانة عجبت من عظم باخرة المساجري التي أقلتنا

الى مرسيليا ولكن لما دخلت سفينة الشركة الانكليزية دهشت لعظمها وظننت نفسي في منزل كبير ذي غرف كثيرة أو اني نازل في فندق قونتيننتال أو فندق پراپالاس

وقد عرفني وكيل الشركة في مرسيليا قبل مغادرة السفينة بمفتش هذه المصلحة المسافر معنا وبكوميسر الباخرة لانهما كانا يتكلمان باللغة الافرنسية وأما غيرهما من مستخدمي الباخرة البالغ عددهم مائتين فلا يعلمون سوى الانكليزية وغريب جداً عدم اقبال الانكليز على اللغة الافرنسية مع ان المسافة بين عاصمة فرنسا وبين عاصمة الانكليز قريبة جداً حتى انه ليستطيع الانسان ان يفطر صباحاً في باريز ويتناول طعام الغذاء وقت الظهر في الساحل الانكليزي والسيجارة اذا ابتدأ المرء بها في البر الفرنسوي قد لا يلقيها من يده الا وهو في البلاد الانكليزية بعد ساعة ونصف ومن كان معنا من المسافرين الفرنساويين كانوا لا يعرفون الانكليزية فكانوا يتبرمون مثلي من جهل القائمين بخدمة الركاب العارفين اللغة الفرنساوية ومن المعروف ان يكون خدام البواخر والفنادق ممن يتكلمون بلغات متعددة لوجود مسافرين من جميع البلاد

أما النظافة في الباخرة والنظام فعلى غاية ما يرام ويبلغ محمولها ٢٠٥٢٧ طونيلاتة وقوة عددها ١٦٥٠٠ حصاناً وتسع الدرجة الاولى ٤٠٠ راكب والدرجة الثانية ١٨٠ راكباً ولكل من هاتين الدرجتين بهو للطعام على حدة وتسع المائدة اربعمائة راكب في بهو الدرجة الاولى وجميع كراسيها ثابتة ولكن الركاب يتفرقون على موائد صغيرة تسع الواحدة منها عشرة وبين كل كرسي وآخر من الفراغ مايسع كرسياً آخر وسلالم الدرجة الاولى متقابلة من الطرفين كسلالم الفنادق الكبيرة ومفروشة بالطنافس الثمينة ومزينة باجمل الرياش والسقوف عالية حتى ان الانسان لو لم ينظر الى البحر لخيل له انه في قصر مشيد

والغرف التي للطعام والتي لشرب الدخان وللمطالعة على غاية من الزينة ويوجد في الغرف مراوح كهربائية اذا اديرت في الايام الشديدة الحرارة تغير هواء المحل وصار منعشاً

ويجلس الركاب على المائدة اربع مرات في اليوم ويأكلون في كل مرة ما يشتهون ويجد الراكب امامه في كل جلسة ورقة مطبوعة عليها اسماء انواع الطعام الكثيرة

والحجرات التي للاستحمام فيها ما يسر من الرشاشات المتنوعة وظهر هذه السفينة كبير جداً وقد يلعب عليه الركاب بالكرة المسماة (تنس) وكان بين البحارة والخدام كثير من الهنود فالوثنيون منهم يضعون على رؤوسهم قبعات كالافرنج والمسلمون يضعون عمامة طويلة حمراء اللون

وكانت باخرتنا حديثة النشأة وهذه هي المرة الثانية التي جرت فيها في اليم فكانت تقطع ١٦ عقدة في الساعة وعندها مزيد من الاستعداد لسرعة السير

وكنا نعرف المسافة التي تقطعها هذه السفينة لانهم كانوا كل يوم يعلقون فيها خريطة يكتب عليها بخط احمر الطريق التي تسير عليها السفينة والجهة التي تبلغها وقت الظهر مع بيان الطول والعرض واليوم والتاريخ وبهذا كنا نستطيع ان نعرف متى تصل الباخرة الى المحل المقصود ولكل باب من ابواب الحجرات قفل ولكنه من غير مفتاح وأظن ان هذا الحال هو من قبيل الاحتياط أي انه اذا طرأ خطر فجائي على الباخرة فلا يشغل الراكب فتح الباب بل يجد السبيل سريعاً للخروج من الحجرة وقد طلبت من الخادم مفتاحاً لحجرتي فلم يفهم أو اظهر عدم الفهم

وقد تغير النوء في اليوم التالي واشتد الريح ولم تظهر الشمس ذاك اليوم وأصبحنا يوم الاحد والسماء صافية ولم تزل كذلك حتى وصلنا بورت سعيد يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ نيسان (ابريل) في الساعة الثانية بعد الظهر ولما نزلت الى البر أخذت أسأل عن السفن التي تسافر من عدن الى جيبوتي فعلمت انه توجد باخرة صغيرة بين هذين الثغرين ولكن لخلل طرأ عليها لا تسير في هذه الايام وانه لا بد للمسافر من ركوب السفن الشراعية للذهاب من عدن الى جيبوتي ولما علمت ذلك عدلت عن السفر الى عدن وأنزلت الامتعة من الباخرة وسلمتها الى مخزن الكمرك الكائن على رصيف

الميناء ونزلت ومن كان معي في فندق البوستة لاني أخبرت أن صاحبه كان صاحب فندق في جيبوتي وأقام هناك مدة طويلة وانما لم أسافر على احدى السفن الشراعية من عدن الى جيبوتي لانها قوارب صغيرة لها أشرعة فليست جديرة ان يعتمد عليها المسافر وقد كنت ركبت واحدة منها من رابغ الى جدة اذ كنت ناظر انشاء السلك البرقي الحجازي ولم أدرك ما هي هذه السفينة التي دخلتها ليلاً الا بعد ان أقلعت بنا وبعدنا عن الساحل ولما طلع النهار أبصرتها فاذا هي ملفقة من ألواح خشبية بغير نظام حتى ان الماء كان يدخلها من كل جانب فيضطر اثنان من البحارة ان يشتغلا برفع الماء على الدوام بالسطول (الجردل) وبينما نحن سائرون عليها اذ تمزق الشراع فلم يوجد عند البحارة ابرة وخيط لخياطة الشراع فاعطيت للجنود الذين كانوا معي ما يلزم لرتق هذا الفتق ولا نكران لمهارة البحارة العرب في فن الملاحة فقد كانت هذه السفينة الشراعية سائرة قرب الساحل مارة من بين الشعوب الكثيرة في تلك الجهات حتى ان الراكب اذا ألقى بصره على سطح البحر يرى انه سائر على شبه غابات وكان الربان في مقدم السفينة منتبهاً يكلم البحار الواقف على دفة القارب بصوت عال يقول له : شمالك ويمينك ويحذره من مصادمة الشعوب وكان يقول : خذحذرك من شعب كذا أو وصلنا الى محل كذا أو مررنا بمحل كذا والبحار الممسك بدفة القارب يدير حركات السفينة التي كانت تسير بالريح بسرعة ثنتي عشرة عقدة

ولذلك تضطر البواخر التي تدنو من سواحل البحر الاحمر لاخذ دليل من العرب خوفاً من المصادمات والبواخر التي لا تأخذ أدلاء تضل السبيل فتغرق أما زوارق العرب الصغيرة فهي لوح خشبي طويل وسطه المحفور لا يسع سوى شخص واحد فقط فيركبها العربي الساحلي في النهار فيذهب للصيد عليها في البحر وعند ما يرجع في المساء يحملها على كتفه كعامود صغير ويأتي بها الى كوخه الحقير واذا حصل نوء وهو عليها في البحر يقلبها على وجهها ويركب عليها كما يركب على حصان ولا يوجد في داخل هذا الزورق شيء سوى مجذاف صغير جداً وليس على الرجل من الملابس سوى فوطة في وسطه

وبما اني رأيت ما ذكرته رأي العين لم تمل نفسي الى ركوب قارب من القوارب المذكورة في سواحل عدن وفي مدخل البحر المحيط الهندي

ان المسافر الى الحبشة لا بد له من المرور ببلاد الصومال الفرنسوية ولذلك قد تكرم حضرة الموسيو كونستان السفير الفرنسوي في الاستانة بكتب توصية الى جناب والي الصومال والى سفير فرنسا في عاصمة الحبشة يوصيهما بالبعثة السلطانية خيرًا وتفضل بارسال الكتب المذكورة مباشرة الى القنصلية الفرنسوية في بورت سعيد لاستلمهم من هناك فاشكره وأشكر الموسيو « لدو » ترجمان السفارة الذي بذل الهمة في ارسال هذه الرسائل الى بورت سعيد وقد استلمت هذه الرسائل من جناب الموسيو يوسف خوري النائب عن القنصل الذي كان مسافرًا وصادف ان بارجة فرنسوية كانت على وشك المرور بالقنال بعد بضعة أيام مسافرةً للهند الصينية مارة في طريقها على جيبوتي فهيأ لي الموسيو يوسف كل ما يلزم لسفري عليها بصفة ضيف وكان السفر من بورت سعيد في اليوم الاول من شهر مايس (مايو) الشرقي

وقبل سفر البارجة جرى التزاور والتعارف بوساطة الموسيو يوسف خوري بيني وبين جناب الميرالاي الموسيو غبرات قائد البارجة المذكورة وقد حكى لي انه قبل بضع سنين كان قائد البارجة التابعة للسفارة في الاستانة وانه نال من تعطفات الحضرة السلطانية بعض الوسامات السامية وأثنى على حضرة السفير الموسيو كونستان وذكر محبته واحترامه له وأظهر سروره العظيم من سفر البعثة السلطانية على بارجته وبذلك جعل لساني ينطلق بشكره وبشكر الموسيو يوسف خوري الذي اكرمني غاية الاكرام ولولا هذه البارجة لاضطررت ان امكث في بورت سعيد منتظرًا الفرج في وقت لا آمل فيه بحضور باخرة تسافر الى جيبوتي بالنظر لاعتصاب بحارة البواخر كلهم في مرسيليا



الميرالاي الموسيو جبران قائد البارجة الافرنسية , لا فودر)

يوم السبت ١ مايس (مايو)

السفر على البارجة المسماة (لافودر) — اكرام القائد والضباط لنا — وصف البارجة — ذكرى طريق الحجاز — السمك الطيار — الحر في البحر الاحمر

في الساعة الثامنة من صباح هـذا اليوم أرسل قائد البارجة قاربًا بخاريًا فاخذ أمتعتنا الى البارجة وفي الساعة الحادية عشرة أرسل زورقًا بخاريًا آخر فركبناه وركب معنا الموسيو يوسف خوري ليشيعنا الى البارجة فلما وصلناها استقبلنا حضرة قائدها وضباطه من السلالم بكل تجلة واكرام و بعد مصافحة الضباط أوصلني الميرالاي الى المحل المخصص لاقامتي كما ان أحد الضباط أوصل طالب بك الى حجرته وخصص حجرة أخرى لياسين افندي

والمحل الذي عين لاقامتي فيـه اكبر بهو في البارجة وغرفة للطعام خارج هذا البهو وأخرى للنوم وحمام وقد أقام القائد امام دائرتي واحدًا من الجنود البحارة للخدمة و بعد ان غيرت ملابسي صعدت على ظهر البارجة

وهـذه البارجة تسمى (لا فودر) أي الصاعقة ومحمولها ستة آلاف طونيلاته وقوة عدتها ١١٥٠٠ حصان وطولها ١١٨ مترًا وعرضها ١٦ مترًا وهي غاية في الزينة والنظافة والمدافع والبنادق الموجودة فيها تخطف الابصار من شـدة اللمعان وفيها ورشة جسيمة كاملة العدد لاصلاح ما يلزم لها وسرعتها ١٦ عقدة في الساعة و يمكن ان تسير ١٩ عقدة في الساعة وهي مسلحة بستة عشر مدفعًا وعدد بحارتها أربعمائة وهي مقلة الى الهند الصينية طوربيلين كبيرين وأربعة طرابيل من الجنس الصغير

سافرنا من بورسعيد في منتصف النهار بالقوة المعينة لسير السفن في القنال أي بمعدل خمس عقد في الساعة وكنا نرى عن شمالنا كثيرًا من الملاحات وعن يميننا

السكة الحديدية الممتدة الى السويس والترعة الحلوة المتفرعة من النيل

وكنا كلما صادفنا في طريقنا باخرة تقف نحن حتى تمر الباخرة أو تقف هي حتى تمر بارجتنا وقرب المساء رأينا بارجة هولاندية ذاهبة الى البحر الابيض المتوسط فلما قربت منا أخذت موسيقتها تعزف بالنشيد الفرنسوي سلاماً وتحية للبارجة الفرنسوية

والسفن التي تمر من القنال تستأجر من الشركة مصابيح كهربائية جسيمة شديدة النور والضياء جداً تعقلها على مقدمها لرؤية طريقها الى مسافة كبيرة فيجعل الليل نهاراً

ويوم الاحد وصلنا الى السويس ورست البارجة بضع دقائق ريثما أخذت الوقادين المستأجرين ليقوموا بايقاد النار في مواقد البارجة لان الوقادين الاوربيين لا يتحملون شدة الحرارة في البحر المحيط الهندي والبحر الاحمر لذا تستخدم البواخر المسافرة لهاتيك الجهات الوقادين الوطنيين

البارحة كنا نسرح الطرف على سواحل القنال واليوم نرى عن جانبينا سواحل خليج السويس ونشاهد جباله وهضابه وفي الليل خرجنا من خليج السويس ودخلنا في البحر الاحمر واذ ذاك أخذت الحرارة تزداد زيادة مستمرة فاضطررت ان انزع ما علي من اكسية الصوف وان ألبس الاكسية البيضاء كما فعل ضباط البارجة

انه لا يسوغ لي ان أشكو من المدة التي قضيتها في باخرتي المساجري والبنسولر لكن « والحق يقال » كنت أعظم انشراحاً في سفري على هذه البارجة لشغف الفرنسويين باكرام ضيوفهم اكراماً فوق العادة فقد كنت أرى جميع الموجودين بالبارجة من القائد الى الجندي لا يضيعون فرصة لجلب سرورنا وكنا نشاهد كل يوم التمرينات الحربية البحرية والرياضية التي كان يقوم بها البحارة فينقضي الوقت من غير ان نعلم

ولما دخلنا البحر الاحمر أخذت الحرارة تتزايد كلما قطعنا مسافة الى الجنوب وكانت الريح على عادة البحر الاحمر تهب على الدوام من الشمال الى الجنوب فلا تعدل الحرارة وانما كانت تساعد على سرعة البارجة

وكانت المراوح الكهربائية تجدد هواء البهو وتجعله دائماً طرياً الا حجرات

النوم فاني كنت أنام وفي إحدى يدي المروحة وفي الاخرى المنديل لمسح العرق وقد كان قائد البارجة هذا المضيف اللطيف استأذنني مراراً أن يضع مروحة كهربائية عندي في غرفة النوم ولكني كنت أجيبه كل مرة مع الشكر له بأنه لا لزوم لاختيار هذا التعب وان غرفتي ليست حارة لدرجة ان يتعب فيها الانسان

كنت كل يوم أضع الخريطة أمامي وأتتبع خط سير البارجة ولما كانت تمرّ بنا محاذية ثغور الاقطار الحجازية مثل ينبع ورابغ وجدة كانت تتمثل نصب عيني جميع تلك البقاع والقلاع التي على طريق الحج وأبقى ساعات متذكراً تلك الايام التي خلت في هاتيك البلاد النائية حيث كنت متجولاً كالعرب الرحّل تحت الخيام مدة ستة شهور عند ما كنت مأموراً بمد السلك البرقي الحجازي ومعي الكوكبة العسكرية الفنيّة . وقد كنت وقتئذٍ ألفت الاقليم والمناخ وعرب البوادي وكثيراً ما كنت أستحضر مشايخ العربان المتعادين ليتناولوا الطعام معي وكانوا كأنهم ليس بينهم شيء من العداوة حتى انني عند ما كنت في مداين صالح دعوت رؤساء قبائل (اليدا) و (الفقير) و (بلي) وطلبت منهم ان يعقدوا الهدنة (ويسميها العرب العطوة) فيما بينهم فاجابوا طلبي وعقدوا الهدنة لمدة سنة وسبب توسطي للهدنة بين هؤلاء القبائل هو احتياجنا لمساعدتهم في مد السلك البرقي اذ ان السلك يمر من البلاد الضاربة فيه قبيلتا اليدا والفقير فكنا محتاجين لجمال عرب هاتين القبيلتين لنتمكن من نقل ما يلزم لنا من الذخائر ولوازم الجنود وأعمدة الخشب والاسلاك وكنا مضطرين لجمال قبيلة بلي لنقل ألفي عمود انزلت في ميناء الوجه يمرون بها من أراضٍ جبلية صعبة المسالك الى قرب مداين صالح التي تبعد عن الساحل اثنتي عشرة مرحلة فتقرر بهذه الهدنة ان تنقل كل قبيلة من القبائل المذكورة لوازمنا ضمن حدودها وقد قاموا بهذا العمل حق القيام فأنعمت الحضرة العلية السلطانية عليهم بالرتب والوسامات السنية وألبس مشايخهم الخلع السلطانية في احتفال فخيم اقيم لذلك بين دوي المدافع وعزف الموسيقى وأصوات العربان والاهالي صاعدة الى السماء بالدعاء

للحضرة السلطانية

وحصل بايصال السلك البرقي المذكور الى المدينة فوائد للناس . منها وهي أولها التخاطب مع سكان مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وارتباطها مع باقي المعمورة من أنحاء الدنيا ومنها ان المسافرين مع قافلة الحج ما كانوا يتجاسرون على التباعد عن القافلة ولو قليلاً فالذي كان يتأخر لتعب او غيره كان يضل في الصحارى المقفرة فيدركه الموت من الجوع والعطش . أما الآن فان المسافر الذي يتخلف عن القافلة يمكنه أن يهتدي بأعمدة السلك البرقي القائم كل واحد منها مقام دليل في تلك البوادي . وقد رأيت عند ما كنت في وظيفة معاون ناظر انشاءات السكة الحديدية الحجازية ان كثيراً من الفقراء الذين لا يودون انتظار القافلة يذهبون على أقدامهم محاذين السلك البرقي ومتزودين ما يلزم لقوتهم من القلاع السلطانية

كنت كتبت عند ما كنت بالوظيفة المار ذكرها كثيراً بخصوص تلك البلاد وهي رحلة كبيرة ولكن احترق ما كتبته أيضاً ولم يبق من كل ذلك الا ما علق بالذهن . لذا رأيت ان أشرح في رحلتي هذه بمناسبة سفري الى بلاد كائنة أمام القطر الحجازي كل ما يعنّ بفكري من السوانح الخاصة بتلك البلاد المباركة

***

بينما كنت جالساً على ظهر البارجة اكتب هذه السطور سمعت على وجه الماء اصوات طيور فالتفت فرأيت طيوراً مرت على وجه الماء ولم تبعد الا قليلاً حتى توارت فيه وحينئذٍ التفتُّ الى أحد ضباط البارجة وكان ينظر اليها مثلي فسألته عن ذلك فاجاب ان هذا سمك طيار يوجد في المحيط الهندي بكثرة ولم يتم الضابط كلامه حتى خرج سرب من تلك الأسماك من الماء وأخذ في الطيران على وجه الماء بسرعة السهم وبعد أن قطع خمسين متراً غاص في الماء ثم خرج ثم غاص ثانية واستمر كذلك هنيهة ثم اختفى عن النظر . وقد استغربت جداً هذه الأسماك الطيارة لأني لم أرها من قبل

مررنا اليوم الساعة السادسة بعد الظهر أمام جزيرة جبل الطور وفنارها

وتركناهما عن يسارنا وفي الساعة التاسعة وصلنا الى أمام فنار ز بير ودلّ ذلك على اننا اقتربنا كثيراً من البحر المحيط الهندي وكان الجوّ في هذه الليلة حاراً رطباً فجعل العرق يسيل من أعضائنا ولم تغننا المراوح الموجودة في أيدينا شيئاً . وقضيت معظم تلك الليلة على ظهر البارجة مستلقياً على كرسي من الكتان مفكراً في حالة الطقس في جيبوتي وحرارتها الشديدة

يوم الخميس ٦ مايس (مايو) الوصول الى جيبوتي

الوصول الى جيبوتي — النزول الي البر — زيارة والي جيبوتي وقنصل الحبش — سرور الاهالي الاسلامية — أين ينام الانسان تحت السماء براحة — ذكرى المدينة المنورة — اكرام العرب وضيافتهم للوارد عليهم

—

أصبحنا اليوم فوجدنا البارجة تسير مقتربة من مضيق باب المندب وكثير من طيور الماء تحوم حولها وفي الساعة التاسعة رأينا على يسارنا مدينة شيخ سعد وجزيرة بريم وعن يميننا خليج (جونْ) رأس سجبان وأخذنا بعد ذلك نقطع أضيق محل من مضيق باب المندب والمسافة بين الساحلين هنا ثلاثة عشر ميلاً فقط وفي الساعة الرابعة بعد الظهر وقفت البارجة أمام جيبوتي وألقت مراسيها في الميناء وقد حضر كثير من غلمان الصومال السود سابحين في البحر لاستقبال البارجة ولهؤلاء الصوماليين مهارة عظيمة في الملاحة والسباحة حتى اننا كنا نلقي في البحر بعضاً من الدراهم الصغيرة الحجم فيلقون بأنفسهم وراءها ويأتون بها قبل أن تصل الى قاع الماء ولما أدرت آلة الرسم عليهم لأرسمهم أظهروا الخوف والجزع

وبعد رسو البارجة أمر القائد فأحضروا لنا زورقاً بخارياً يرأسه أحد الضباط وقد كنا قبل وصولنا الى الميناء أخرجنا جميع أمتعتنا من المخزن ولم يبق الا النزول الى البر

ولما أزف وقت النزول الى البر ودّعنا قائد البارجة وضباطه ومررنا من بين الجنود المصطفة على ظهر البارجة لأداء التحية العسكرية وكان العلم العثماني مرفوعاً على الساري الكبير كما أن القائد وضباطه كانوا مرتدين اكسيتهم الرسمية وعند نزولنا في الزورق البخاري واتجاهنا تلقاء المدينة أخذت مدافع البارجة تدوي تحية لنا

ولما وقف الزورق بنا على الرصيف الذي عليه دائرة الوالي (سراي الحكومة)

صعدنا لعند جناب الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسوي فوجدناه غاية في الرقة واللطف والانسانية وقد اكرمنا غاية الاكرام وقدم لنا على عادة تلك البلاد القهوة بجامات كبيرة ٠ وقد كنت شربت القهوة المثلجة في اسفاري في صحراء افريقيا والقطر الحجازي فوجدتها احسن شيء لتسكين سورة الحرارة

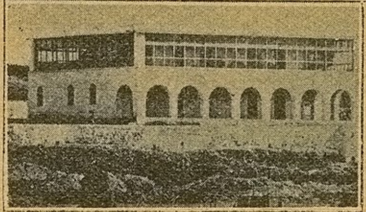
و بعد خروجنا من عند الوالي ذهبنا لعند آتو يوسف قنصل جلالة منليك نجاشي الحبشة في جيبوتي وقد كنت عرفته لما وفد على الاستانة وكان رئيساً لذلك الوفد الاول المرسل من قبل جلالة النجاشي ٠ وعقب وصولنا ارسل الوالي بالتلغراف يبلغ وصولنا الى جيبوتي الى القناصل الموجودين في هرر والى السفير الفرنسوي المقيم في آديس آبابا عاصمة الحبشة كما ان آتو يوسف عرّف جلالة النجاشي وصولنا

نزلنا في الثغر المذكور بفندق (ده زاركاد) وهو النزل الوحيد هناك وصاحبه رجل فرنسوي ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يفدون علينا افواجاً مرحبين بنا بعبارات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي وآتو يوسف خارج المحل وعند ما خرجنا رافقونا مهللين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج يرافقوننا من محل الى آخر وينتهزون كل فرصة لاظهار سرورهم العظيم من ورودنا لثغرهم فاذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لاحضارها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لان الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهمانداراً) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكراً انسانيته واكتفيت بجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا

و بعد قليل من وصولنا الفندق تكاكأ المسلمون على بعضهم في الردحة الكائنة أمام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيراً فكانوا لا يقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون ان يروه كثيراً على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المنوال أمام المنزل الى ما بعد العشاء

واضطرنا الحر الى استعمال الثلج كثيراً فكنت ترى البعض منا يجتهد لتسكين حرارته بالقهوة المثلجة والآخر بالكازوزة والثالث بالليموناده . و بعد تناول طعام العشاء خرجنا الى الشرفة المحيطة بالفندق من كل جوانبه والقينا بنفسنا على الاسرّة الموضوعة هناك من غير غطاء اذ يستحيل على الانسان ان ينام في الحجرات من شدة الحر . وقد اعتاد سكان البلاد الحارة أن يناموا في العراء ليلاً حتى اني كثيراً ما نمت في بيره جك واورفه وديار بكر والحجاز في العراء لا يظلني شيء سوى السماء . ووجدت النوم في العراء في المدينة المنورة احسن جداً منه في باقي البلاد المذكورة لان سطوح المنازل في تلك البلاد مكشوفة فالنائمون يرى بعضهم بعضاً وأما منازل المدينة المنورة فان سطوحها في الدور الثاني غرف بجدران عالية ولكنها لا سقف لها فيصعد الانسان بالسلم الواصل من الاسفل الى شبه دهليز بالسطح ومنه تتفرع الحجرات التي ليس لها سقوف كتفرع الحجرات الموجودة في الدور الكائن تحته . ولا يفتحون الشبابيك في الحيطان الفاصلة بين حجرة واخرى وانما يجعلون كوى شطرنجية الشكل في حيطان الدائرة الكبرى لتخلل الهواء مطلة على الخارج محافظة للتستر غير مانعة للهواء . وعند المساء يصعد السقاؤون فيرشون ارض السقف بالماء و يفرشون المراتب على اسرّة مصنوعة من خوص النخل على غاية من البساطة والنظافة وعند النوم يذهب كل الى محل نومه . والناس في المدينة حتى الفقراء ينامون على الاسرّة لرخص ثمنها اذ لا يجاوز ثمن الجيد منها ريالاً مجيدياً . ويضعون في كل محل قلالاً متعددة لشرب الماء لان الانسان في تلك البلاد لا يستغنى عن شرب الماء كثيراً في الليل كالنهار . وهبوب الهواء الحار يبرد تلك القلال و يجعل الماء فيه كأنه مثلج واما آنية النحاس فلا تبرد فيها المياه بل تبقى كماء الحمامات . واذا انقطع الهواء الحار وظهرت الغيوم في الجو تسخن المياه في القلال وتصير غير قابلة للشرب فالانسان يشاهد هناك التطبيقات الطبيعية الواردة في مبحث التبخر في الحكمة الطبيعية . ان الحديث ذو شجون فذكر تلك البلدة الطيبة المباركة من حيث هواؤها وذلك بمناسبة هواء





چيبوتي . ساحل الصومال الفرنساوي

البلاد الحارة التي نحن بصددها ذكّرني بأهل المدينة فارجو ان لا ينفر القارئ من هذا الاستطراد :

لسكان المدينة المنورة فقيرهم وغنيهم ذوق سليم في معيشتهم فلبسهم جميل وطعامهم جيد ومن شيمهم اكرام الضيف والغريب الى حد المبالغة . فاذا دعا أحدهم بعض الناس فانه يقدم لاضيافه من الطعام ما يكفي اربعين واحداً و بعد الضيوف يطعم الفقراء الموجودين بخطه واذا ورد على أحد الاهالي ضيف من عرب البوادي يذبح صاحب المنزل في الحال له شاةً واذا صادف وورد ضيف آخر يذبح شاةً اخرى قبل وضع الذبيحة الاولى على النار وهلم جرا يذبح من الانعام كلما ورد عليه ضيف . و بالاختصار يجب ان يفهم الضيف ان صاحب المنزل ذبح لاجله ذبيحة خاصةً من الشاة المطبوخة التي يؤتى بها محشية في آنية كبيرة وتوضع أمام الزائر على المائدة . ولا بد من وضع الخرفان المحشية على الموائد في المآدب قبل وضع الاصناف الكثيرة الاخرى المصنوعة من اللحم أيضاً . وربما يقول معترض : ولم كل هذا الاسراف ؟ ولم يطبخون لعشرة ما يكفي مائة ؟ أو لا تكفي بضعة ارطال من اللحم لنفر من الضيوف يردون على صاحب المنزل من البادية ؟ فما الموجب لذبح شاة اخرى مع وجود الاولى مذبوحة ومهيأة للطهي ؟ وكيف يعمل صاحب المنزل اذا كان فقيراً ؟

فأقول ان هذه الاعتراضات كلها في محلها ولكن ما العمل وهذه هي عادات البلد ولا يتأتى لاحد من اهلها مخالفتها بل هو ملزم باتباعها كل الاتباع فالرجل الذي لا يكون قادراً على القيام باكرام الضيف الوافد عليه تراه يستلف النقود لاداء هذا الواجب وقد دعيت مرة عند ما كنت بوادي الحجاز بمهمة تمديد الخط البرقي الحجازي لوليمة اقيمت لي من طرف شيخ عشائر البلقاء وعدوان ولما جلسنا على المائدة احضرت قصعة كبيرة يحملها الخدم فاذا فيها كبش كبير محشوّ كما كان أمام كل الضباط الذين كانوا برفقتي والموجودين على المائدة معنا خروف ذبح لاجلهم . و بالاختصار فان الانسان لا يمكنه ان يعرف مقدار كرم العرب واكرامهم للضيف حتى يخالطهم

ويقيم بينهم واني أورد لك مثالاً على كرم هؤلاء الناس في القصة الآتية :

كان لأحد عرب البادية ناقة سريعة السير جميلة المنظر جداً فاتفق يوماً ان قصد الرجل عاصمة بلاده لغرض له فرأى احد اعيان تلك المدينة الناقة فاراد شراءها بمبلغ يزيد عن ثمنها الاصلي اضعافاً ولكن العربي ابى ان يبيع ناقته لشدة حبه لها وتمسكه بها وانصرف الى باديته . وأما الذي رغب في ابتياع الناقة فانه تولع بها وعزم على أخذها مهما كلفه الحال وتوسل لبعض اعيان بلده بالذهاب الى البادية وان يطمعوا البدوي بكثرة الدراهم وزودهم بالدنانير فذهبوا للبادية وسألوا عن بيت الرجل ونزلوا ضيفاً عليه دون ان يعرف سبب مجيئهم وما يريدون منه فاخذ في اكرامهم حسب العادة ولما آن اوان الاكل وجلسوا على المائدة وضع البدوي امامهم قصعة كبيرة من ثريد اللحم فأكلوا وبعد ان شربوا القهوة فاتحوا البدوي بمسئلة الناقة فقال لهم :

— لماذا لم تخبروني عن ذلك حين وصولكم الى هنا فان اللحم الذي اكلتموه مع الثريد هو لحم الناقة التي ذبحتها اكراماً لكم ولو أعلم ذلك لما كنت ذبحتها

فاستغرب الجماعة من هذا الامر واستولى عليهم البهت والحيرة ويحق لهم ذلك ومن ذا الذي لا يعجب من كرم رجل فقير لا يملك سوى ناقة يطلبها أحد اعيان الحضر الذي ربما نفعه يوماً بكثرة ماله وبعظم جاهه بثمن كبير اضعاف ثمنها الحقيقي فلا يفعل ثم لما لم يكن عنده سواها نحرها لاكرام ضيوف لا يعرفهم أداء لواجب الاكرام والضيافة وتمسكاً بالعادات البدوية

يقال ان الكلام يجر الكلام فاننا بينما كنا نتكلم على النوم في شرفة المنزل في جيبوتي اذ ذهب بنا الحديث الى النوم على سطوح منازل المدينة المنورة ومنها انتقلنا الى العربان وكرمهم واحوال ضيافتهم في البادية . ولنعد الآن الى البر الافريقي من البحر الاحمر ونرضى بالرغم عنا بالنوم على شرفة فندق (ده زاركاد)

يوم الجمعة ٧ مايس (مايو) جيبوتي

زيارة الوفود الصومالية لنا — زيارة الوالي والقنصل — سكة حديد جيبوتي — ٤١ ولداً ذكراً من أب واحد وأربعة امهات — البواخر التي تمر بجيبوتي — الوارد والصادر — جنس الدانغاليين المأدبة في سراي الحكومة — المراوح الجسيمة

أصبحت هـذا اليوم وأخذت اشتغل بتجهيز الصناديق المقرر ارسالها الى محطة السكة الحديد مساء وتفريق الاشياء والملابس التي لا لزوم لهـا في الطريق لابقائها في جيبوتي لحين عودتنا اليها . أما السكة الحديد المذكورة فهي من النوع الضيق وطولها ٣١٠ كيلومترات ممتـدة من جيبوتي الى (دره يده وا) على طريق عاصمة الحبشة . فالمسافر اليها يركب قطار هذا الخط الحديدي الى المحطة المذكورة ومنها يتم طريقه على البغال وسنتكلم فيما يأتي عن هذه السكة

بينما أنا مشتغل بتهيئة الصناديق اذ ورد خادم الفندق المعروف في المدن الاوروبية باسم (الجارسون) وقال ان بعض رؤساء الاهالي أتوا للزيارة وهم ينتظرون اذنكم بالمقابلة فأمرته باصعادهم اليّ فذهب الخادم ليأتي بهم . وهنا أستميحك أيها القارىء نظرة لما أصفه لك من حال خدمة الفنادق في هذه البلاد : اذا قلت لك عند ما ورد اسم نزلنا (اوتل ده زاركاد) انه اكبر فندق في جيبوتي فلا يجب ان يخطر في بالك انه (براپالاس اوتل)(١) او (سومير پالاس اوتل)(٢) واذا قلت لكم عن خادم الفندق (جارسون) فلا تظن اني أعني بذلك خدام الفنادق الكبيرة في اوروبا اللابسين الملابس السوداء والقمصان ورباط الرقبة البيضاء وبيدهم القفافيز المصنوعة من الجلد الابيض الرفيع . كلا فان الخادم الموجود هنا هو رجل ليس عليه الا قميص

---

(١) اعظم فندق شتوي في الاستانة مثل شبرد او جزيرة بالاس في القاهرة وهو تبع الشركة صاحبة الفندقين المذكورين

(٢) أعظم فندق صيفي فيها واقع في طرابيه على البوسفور

بسيط وعلى هذا القميص وشاح (صديري) ونصفه الاسفل مستور بقطعة من القماش (فوطه) ولا يلبس حذاء في رجله ولا يضع قبعة او طربوشاً او ماشابه ذلك على رأسه والحاصل انه يكاد يكون نصف عريان والبعض منهم يلبس على رأسه طاقية حمراء وكل هؤلاء الخدام هم من الوطنيين وأعمارهم تتراوح بين السادسة عشرة والخامسة عشرة وهم على جانب عظيم من الذكاء ولهم مهارة تامة في أداء خدمتهم

هذا وقد غاب الخادم قليلاً ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلتي عبسا ودانجالي . وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجللهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قميصاً طويلاً وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطة) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهماً طويلاً مصنوعاً من أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغربيات قبعاتهن على شعورهن . ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول اصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيداً والباقون لا يعرفون منها الا قليلاً

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وأبلغوني أنه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القريبة من جيبوتي للتسليم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاستانة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفري اليها

وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جداً والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في رجله نعلاً مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشعر بهيبتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلاً منهم شبه

تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسوية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون أرديتهم الرسمية وكان يمشي امام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة . فلما رأى الوالي المومأ اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصافحهم جميعاً يداً بيد وسأل عن احوالهم وصحتهم . ولم يمض قليل من وصول الوالي حتى جاء ايضاً (آتو يوسف) قنصل الحبشة في جيبوتي . وبعد ان مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكراً اياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعدها اكراماً للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعاني ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيبوتي

وبعد ذهاب الوالي ورؤساء القبائل جاءني زائران سوريان هما اسكندر افندي غالب وبشاره افندي غالب وقد كانا جاءا بالامس الى الفندق عقب وصولنا وحصل بيننا التعارف بواسطة آتو يوسف

وهذان الشابان هما من قرية بيت شباب من اعمال لبنان وكان عمر أحدهما حوالي الثلاثين والثاني يقرب من الثامنة والعشرين وقد اتما دروسهما في مدارس بيروت ثم اشتغلا بالتجارة في كثير من انحاء افريقيا وعلى الاخص في داهومي ثم استقرا قبل بضع سنوات في جيبوتي وأخذت تجارتهما تمتد وتنمو حتى دخلا في عداد التجار المشهورين هناك ونالا ثقة جلالة النجاشي منليك واكتسبا الصيت الحسن والشهرة الطيبة وعرفا بالامانة اللازمة جداً للتجار . وبواسطة هذه الخصال الحميدة والمزايا الحسنة ربحا كثيراً من الاموال حتى صارا من الاغنياء . وقد تسر حالة هذين الهمامين كل سوري عثماني ونود من صميم أفئدتنا ان يكونا قدوة لسائر شباننا السالكين مسالك التجارة . وقد اكرمانا غاية الاكرام وعرضا أنفسهما لخدمة الوفد وان يقوما بكل ما يلزم لنا فشكرت معروفهما ووقفت منهما على ما اريد الوقوف عليه من أحوال البلاد وهما بها خبيران لا سيما فيما يختص بثغر جيبوتي وعمرانها وقد جُلت المدينة متفرجاً

وطفت على احيائها بدلالة احدهما اسكندر افندي

ولما رجعت من مشاهدة المدينة وجدت ان ميعاد الذهاب الى المأدبة الرسمية لم يحن بعد فانتهزت هـذه الفرصة لكتابة ما جمعته من الاخبار بشأن هذه البلاد وهذا هو :

كانت الحكومةالفرنسوية اشترت سنة ١٨٦٣ ميلادية المحل المسمى (او بوك) الكائن خارج مضيق باب المندب والواقع شمالي خليج ناجورا من الرؤساء المحليين واتخذت المحل المذكور محطة للزاد والذخائر والفحم اللازم للسفن الحربية الذاهبة الى الشرق الاقصى أثناء حرب الصين سنة ١٨٨٣ وألفت هناك حكومة للضبط والربط وقد ظهرت فائدة هذا المحل أثناء الحرب المذكورة وأخذت أهميته تزداد حتى أضحى ثغراً مهماً لجميع البواخر الذاهبة الى الهندالصينيةوالآتية منها . ولكن نقص عمق المياه هناك كان يضطر السفن أن ترسو على مسافة بعيدة جداً عن الساحل وفي هذا من الصعوبة في أخذالذخائر وما يلزم للسفن ما فيه كما انوجود جبال شاهقة صعبة المرور بين هذه المحطة والبلاد الداخلية كانت تعيق حركة التجارة على الداخل والخارج لذلك كله أخذت الحكومة الفرنسوية تبحث عن محل آخر اكثر ملاءمة وموافقة من او بوك . فاكتشف والي الصومال الفرنسوي حينذاك الموسيو لاغارد (سفير فرنسا في عاصمة الحبشة الآن) موقع جيبوتي الحالية الكائنة امام (او بوك) بواسطة بعض البحارة الوطنيين . وقد وجدوا أن مياه ساحل جيبوتي اعمق من مياه الاولى (او بوك) وان ميناءها صالحة لالتجاء السفن اليها عند الحاجة ولذلك تقرر نقل الثغر الى هنا و بوشر في سنة ١٨٨٨ ميلادية بتشييد ما يلزم من الارصفة والابنية على هذه لارض القاحلة الخالية من كل شيء ولم تمض مدة حتى أنشئت هناك بلدة بتشويق الحكومة الفرنسوية وتنشيطها للناس وبهمة التجار وأخذت تكبر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت اليوم مرسى تجارياً مهماً ومما زاد في اهمية الثغر المذكور الطريق المتفرع منه الذاهب الى (هرر) التابعة للمملكة الحبشية ومنها الى (آديس آبابا) وهو الطريق

الذي تسلكه القوافل التجارية في ذهابها الى داخل الحبشة وفي ايابها منها

وكان الموسيو ايلج السويسري المستخدم منذ زمن بعيد عند النجاشي منليك نال من جلالته امتيازاً بمد سكة حديدية في البلاد الحبشية تنتهي في جيبوتي لمدة ٩٩ سنة وعقد شركة مع الموسيو شفنو المقيم في الحبشة منذ مدة مديدة الواقف على الاحوال التجارية في الحبشة المطلع على كيفية تأليف الشركات . فذهب المسيو شفنو الى فرنسا وحصل بواسطة نظارة المستعمرات على امتياز مد خط حديدي طوله ٩٠ كيلومتراً من المحل المسمى (عالي صبح) الكائن على حدود الصومال الفرنساوية الى جيبوتي وبوشر بأعمال مد الخط سنة ١٨٩٦ بعد ان عانى في الاعمال الابتدائية اي التخطيط غاية الصعوبة واخذت بعد ذلك جيبوتي تتعاظم وتتزايد فعدل التجار الوافدون عليها عن السكنى في الاكواخ الأرضية وأنشأوا يشيدون الأبنية الحجرية وتألفت شركة فرنساوية لتشييد المنازل لتأجيرها للأهالي والسكان واعطيت الاراضي اللازمة لبناء المخازن والحوانيت والمنازل مجاناً لمن يريد حتى ان بعض الصوماليين الوطنيين قلدوا الاوروبيين والتجار المسلمين فبنوا بيوتاً من الآجر وهجروا اكواخهم المصنوعة من البوص والقش

ويمتلك التجار المسلمون الوافدون على جيبوتي من اليمن وحضرموت كثيراً من الارض والعقار وأشهر وجهاء الاهالي الوطنيين المسلمين رجل يسمى (الحاج ديده آيده لا) وقد حضر لزيارتي مع سائر التجار المسلمين وهو رجل في السبعين من عمره ولكنه لا يزال متمتعاً بصحة تامة وقوة جسم عظيمة وله واحد واربعون ولداً ذكراً من أربع زوجات ولذا كان مغبوطاً لدى جميع اقرانه

تأخذ المدينة المياه اللازمة لها من آبار حفرتها شركة على مجرى سيل يبعد سبعة كيلو مترات عن جيبوتي وذلك بان ترفع الماء بواسطة آلات بخارية الى احواض مرتفعة ومنها يوزع على المدينة بأقنية (مواسير) من حديد وكان انتهاء حفر الآبار ووضع الأقنية وتوزيع المياه منذ اربع سنين

وقد أعطت الحكومة بعض الاراضي الكائنة في المحل المسمى (صحبولي) الواقعة على السيل المذكور لبعض العرب الوافدين من الخارج مجاناً فحفروا الآبار في حقولهم وغرسوا البساتين والجنات وصاروا يزرعون الطماطم والخيار والباذنجان والرجلة (البقله) والقرع والبطيخ والشمام (البطيخ الاصفر) فزاحموا بذلك بساتين الصفايح (لان الاهالي الوطنيين يسمون علب الصفايح الواردة من اوروبا المحفوظ فيها الخضار والأثمار والبقول بيساتين الصفايح)

تنقسم مدينة جيبوتي الى اربعة أقسام : فالاول يسمى حي المرابط (Marabout) نسبة الى رجل مبارك يسمى شيخ سراج كان أقام في هذا القسم ودفن بعد وفاته هناك وفي هذا الحي محل توكيل شركة مساجري ماريتيم الفرنساوية ومخازن الفحم ومخازن الآلات والادوات وورشة التعمير والتصليح وقد رأيت هنا كثيراً من الفحم الذي اشترته الحكومة الروسية وأعدته لأسطول البلطيك الذي عزمت الحكومة الروسية على ارساله الى الشرق الاقصى وقد بوشر بتشييد رصيف في هذا القسم طوله ٥٠٠ متر داخل في البحر لترسو البواخر عليه

والقسم الثاني اسمه حي مسيطح الحية (Plateau du serpent) ويوجد في هذا القسم محطة السكة الحديد وجميع المباني الخاصة بها ودير رهبان وراهبات الفرنسيسكانيين والمستشفى البلدي وسائر المباني الفخيمة

والقسم الثالث هو حي جيبوتي وقد كان بوشر بتأسيس المدينة من هذا القسم ويوجد بهذا الحي دائرة الحكومة والجمارك ومحل الشرطة ومخازن التجار الاوروبيين والعرب ومكاتبهم وسائر الابنية ذات البال مثل الفنادق وغيرها ويتصل هذا القسم بحي مسيطح الحية بشارع منتظم عريض طوله كيلومتر واحد وفي وسط هذا الشارع توجد دوائر الحكومة مثل ديوان الاشغال والبوستة والحقانية ويتنزه سكان جيبوتي في الشارع المذكور

أما القسم الرابع فهو حي الصوماليين الوطنيين ومنازل هذا الحي عبارة عن

اكواخ من البوص والاغصان و (العليق) ولكن شوارعه مستقيمة ومستوية وقد كانت الحكومة صرحت قبلاً ببناء اكواخ في هذا القسم والآن منعت بناء الاكواخ واذا انهدم كوخ فان صاحبه مضطر ان يشيد بدله بناء من الحجر

يوجد في جيبوتي مسجدان واسعان انشأ الواحد الحاج (ديده آيده لا) الصومالي المار ذكره والثاني أنشأه المرحوم السيد حسن الباز المصوعي وقد زرت هذين المسجدين فوجدت الائمة يعلمون الصبيان القرآن الكريم

وقد كان سكان جيبوتي تزايدوا جداً في أثناء مد الخط الحديدي حتى بلغ عددهم سنة ١٩٠٠ عشرين ألفاً ولكن لما وقف العمل في (ده ريدوا) سافر المهندسون والمتعهدون والعمال والفعلة الى بلادهم وانصرف البايعون الذين كانوا يتكسبون من بيع بضائعهم وسلعهم لهؤلاء العمال وأصحاب الفنادق والآن يبلغ عدد سكان المدينة المذكورة ثمانية آلاف بما فيها العرب والصوماليون والفرنساويون

يوجد وراء خليج (ناجورا) ملاحة غنية بملحها تسمى بحيرة عسب او عسال بينها وبين الساحل ثلاثون كيلومتراً وهي واقعة في محل شديد الحر كثير الحيات لهذا كانت الاستفادة منها في الحال الحاضر قليلة جداً

وقد رأيت ترغيباً للتجار العثمانيين ان أدرج هنا ما علمته من احوال جيبوتي التجارية والبواخر التي تمر عليها فأقول :

يمر على جيبوتي كل شهر ست بواخر من شركة (مساجري ماريتيم) الثلاث منها في الذهاب من بورت سعيد الى الجنوب والثلاث الاخر في الاياب الى الشمال فاثنتان من الآتيات من الجنوب الى الشمال تنتسبان الى خط ماداغسقار والواحدة تنتسب لخط الهند الصينية ويمر على الثغر المذكور باخرة من شركة الناسيونال مرة فقط وهي ذاهبة الى الهند الصينية كما ان للشركة (هاوره زينسولر) الفرنسوية باخرة تمر بثغر جيبوتي كل شهر مرة في الذهاب الى ماداغسقار وجزائر (ره اونيون) ومرة في الاياب منهما ولشركة انكليزية باخرة تمر عليها في الشهر مرة واحدة وهي ذاهبة

من بلاد الانكليز الى الخليج الفارسي والى البصرة وعدا ذلك يوجد باخرة روسية تقوم من اودسا كل شهرين مرة قاصدة البصرة ومارة بثغور الاستانة وازمير و بيروت و يافا و بورت سعيد وجيبوتي والبصرة وتعود الى اودسا مارة بهذه الثغور المذكورة فليلتفت تجار ازمير وسورية لهذه الباخرة التي يمكنهم ان يستفيدوا منها كثيراً وهذه البواخر متقنة تسافر وتعود في مواقيت معلومة ولا يدخل في هذا الحساب البواخر الظهورات التي تنقل الفحم الى مخازن شركة المساجري مارتيم وشركة أفريقيا الشرقية وغيرهما من الشركات و يوجد باخرة فرنسوية صغيرة محمولها ٣٠٠ طونيلاطة تنقل الركاب والبوستة والبضائع بين جيبوتي وعدن ولكنها كانت عند وصولي الى جيبوتي أخذت لورشة التصليح والترميم

ويأتي الى جيبوتي جميع انواع البضائع لبيعها في داخل البلاد واكثر ما يباع للقبائل الصوماليين والدانكالين هو الارز الهندي والذرة والتنباك والذرة البيضاء الواردة من البلاد العربية والبفتة البيضاء وسائر الاقمشة الواردة من انكلترا . ويأتي بكثرة من امريكا نوع من البفتة يسمونه في البلاد الحبشية وفي ساحل الصومال ابو جديد ويباع منه مقادير كثيرة واكثر البضائع التي ترسل من الساحل الى داخل الحبشة هي انواع الاقمشة القطنية والحريرية والاجواخ والآلات والادوات الحديدية والبسط العجمية وتقليدها والبسط الاوروبية وانواع الاسلحة النارية والاشياء المصنوعة من الفضة والنحاس . واما ما يرد من البلاد العثمانية فالستائر والطنافس المشغولة خاصة بالاستانة وعطر الورد يرد منها والاقمشة الحريرية المسماة بالقطني المصنوعة من الحرير والقطن معاً وسائر الاقمشة القطنية ترد من سورية . والبن والملح وانواع الحبوب والحصر ترد من اليمن . ويبيع التجار سلعهم هذه ويشترون بضائع مختلفة محلية وترد البضائع على الساحل الصومالي بواسطة السفن الشراعية . ويبلغ عدد هذه السفن التي تمخر بين ساحل اليمن و بين جيبوتي من جهة و بين عدن وزيلع وجيبوتي وبربره من جهة اخرى اكثر من مائة وكلها مستظلة بالراية العثمانية

أما البضائع التي ترد من الحبشة بطريق (هرر) فانها من الحاصلات الطبيعية مثل بن (نما) وسن الفيل (العاج) والذهب الاصفر (التبر) ؟ والشمع العسلي و (القاقوله) ومن الحيوانات الاهلية مثل العجول والغنم والمعز وغيرها من الماشية وقليل من جلود الحيوانات الوحشية والزباد المستخرج من قط المسك ويسميه الافرنج (Sivete)

والفالاليون يستخرجون التبر بتصفية رمال الانهار والغدران ويرسلون منه في السنة الى جيبوتي ما تحزر قيمته بمليوني فرنك وأما الزباد فانه يباع الكيلومنه بثلاثماية فرنك ويوجد في جيبوتي اكثر من مايتين من رعايا العثمانيين مثل السوريين واليمانيين والحجازيين والارمن فالبعض منهم يشتغل بالتجارة والبعض اصحاب دكاكين صغيرة ولبعضهم علاقات بمدينة (هرر) فيترددون اليها كثيراً

وما انتهيت من كتابة هذه السطور الا وقد مضى الزمن وآن وقت العصر وأنا اكثر من شرب القهوة الباردة المثلجة من شدة الحر ومناخ جيبوتي في غاية الحرارة وشمسها محرقة جداً واذا وقف الابيض مدة عشر دقائق في الشمس من غير مظلة يموت حالاً من ضربتها والموت بضربة الشمس هناك يعد من الحوادث المألوفة

وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت أنغاماً وأصواتاً آتية من بعيد وبينما أنا اتفكر في ما عسى ان يكون ذلك اذ أخبرت بورود وفد قبائل عبسسا فخرجت الى شرفة الفندق فرأيت جمهوراً من الناس نحواً من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيري الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والهراوات وكانت أنصاف أجسامهم العليا عارية من اللباس وكانوا وهم مقبلون علينا يهللون ويكبرون مرة وينشدون الاناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق اخذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا يغنون ويرقصون والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك

الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على انهم أقوام حربيون أولو بأس شديد وميل للحرب والطعان وبعد ذهاب هذا الوفد اتى وفد الدانغاليين وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لموه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي الى دار الحكومة لحضور المأدبة التي دعينا اليها

ولما وصلنا الى دار الحكومة وجدنا كوكبة من جنود الشرطة واقفة أمام المدخل لأداء التحية ويكتسى هؤلاء الجنود جاكت وبانطلون قصير الى الركب مصنوع من قماش أبيض وعلى رأسهم طربوش عليه نجمة وهم عراة الافخاذ حفاة الاقدام لان الوطنيين هنا يمكن ان يتعودوا لبس الثياب ولكن لا يمكن تعويدهم الاحتذاء لانهم يجدون السير من غير حذاء أسهل عليهم

وقد استقبلنا الوالي بكل احترام وتعظيم واوصلنا الى الشرفة الواقعة باتصال بهو الاستقبال وبعد ذلك اخذ المدعوّون يفدون فيجتمعون في تلك الشرفة وكان كلما دخل شخص يعرفنا الوالي به وبزوجه . وكانت ابواب دار الحكومة ودهاليزها وبهواتها مزينة جداً بالفوانيس الجميلة المختلفة الالوان والاعلام وبالزهور الطبيعية والصناعية وكان العلم العثماني يزين باب البهو الكبير بازائه العلم الفرنسوي . ولما آن وقت الطعام جلسنا على المائدة التي كانت مزينة جداً ومرتبة احسن ترتيب . ولما جلسنا أخذت المراوح الكبيرة المسماة (بانكار) تروح لتعديل الحرارة وتلطيفها . وهذه المراوح معلقة بالسقف على طول المائدة وتتصل بواسطة الحبال واللوالب بالخارج حيث يوجد الخدمة الذين يشدون تلك الحبال أخذاً ورداً فتتحرك المروحة وبذلك يحصل في الغرفة هواء لطيف ولولا هذه المروحة لكان الاكل من رابع المستحيلات من شدة الحر . ويوجد من المراوح المذكورة في اكثر المنازل والمخازن لان البيض لا يقدرون على تحمل حر تلك البلاد

وقد كانوا ألبسوا رؤوس الكرات المصنوعة من البلّور الموضوعة على الشموع بنوع من الغطاء مصنوع من المعدن حتى لا تنطفئ الشموع من الريح أثناء الطعام وقيل لي ان هذه الاغطية تعمل في الهند لاجل ذلك خاصة

أما طعامنا فانه كان من السمك ولحم الخرفان والعجول والطيور والخضار والحلويات وغيرها وقد علمت أن السمك في جيبوتي كثير ومتنوع جداً وانما لم أجد الطعم اللذيذ الموجود بأسماك الاستانة

ولما انتهى الطعام انتصب الوالي قائماً وخطب ودعا للحضرة العلية السلطانية وشرب نخب جلالته وهتف الحضور بالدعاء . و بعد ذلك قمت وخطبت خطبةً وجيزةً جواباً عن خطبة الوالي بما يناسب المكان . ثم قمنا عن المائدة وجلسنا بالشرفة حيث أديرت على المدعوين اطباق المرطبات والحلويات المثلجة والدخان والقهوة وانصرفنا بعد ذلك جميعاً شاكرين لطف الوالي وانسانيته

يوم السبت ٨ مايس (مايو) القيام من جيبوتي

القيام من جيبوتي — وصف الممر — الحديث مع الصوماليين في المحطات — اكواخ الصوماليين — اخلاص الصوماليين للحضرة السلطانية — الهباب بدل الصابون — مسواك بدل السجاير — الوصول الى حدود الحبشة

توجهنا صباح هذا اليوم في منتصف الساعة الخامسة الى المحطة ووجدنا هناك عدداً كبيراً جاءوا لوداعنا فودعناهم وركبنا القطار الذي قام في الساعة السادسة . ولكون الارض التي حول جيبوتي قاحلة رملية لا زرع فيها ولا ضرع كنت ظننت ان الحال سيستمر كذلك ولكن لم يصدق الظن اذ بعد ان بعدنا عن المدينة مقدار خمسة كيلومترات أخذنا نشاهد الاعشاب والنباتات الخضراء والشجيرات التي تقوم مقام حطب الوقود عندهم وهو ما تصلح ان تكون مرعى خصيباً لكثير من قطعان المواشي السائمة

ولما وصلنا الى محطة (حمبولي) المار ذكرها البعيدة مسافة سبعة كيلومترات عن البلد رأينا الآبار والآلات الرافعة واحواض المياه وقد كنت ذكرت آنفاً ان المياه تتوزع على المدينة من هنا . وسار القطار بعد وقوفه قليلاً في هذه المحطة لأخذ الماء اللازم للقاطرة . والاراضي التي كنا نمر عليها بعد هذه المحطة مع كونها بركانية كان يوجد بها قليل من الاعشاب والنباتات والبعض منها صالحة للزرع . وبعد ان قطعنا مسافة تغيرت المناظر بغتة وظهرت على اطرافنا الهضاب والمراعى وهي لابسة حلة خضراء كالزمرد . وكنا نرى لون الارض احمر كاراضي حوران (من اعمال دمشق) وطري كأنه الحناء فلا بدع ان تكون هذه الاراضي من اخصب ما يكون لو اعتنى بتنظيفها من الاحجار الموجودة على سطحها وحينئذ تذكرت ما كنت سمعته من الوالي عند ما كنا في جيبوتي من انه ينوي حفر آبار أرتوازية في الاراضي

والحقول المحيطة بجيبوتي الصالحة للزراعة لانشاء قرى ودساكر ثمة وذلك حينما تسمح مالية المستعمرة بذلك وعلمت انه اذا أخرج هذا المشروع من القوة الى الفعل تؤخذ غلة كثيرة من هذه الاراضي الخصبة التي لم تزرع اصلاً والتي تسبخ منذ قرون بفضلات الحيوانات الأهلية والمواشي التي ترعى فيها

وفي الكيلومتر التاسع عشر رأينا قبر أحد المهندسين الاجانب وقد قتله الوطنيون اثناء العمل في السكة الحديد . وبعد ذلك مررنا على قنطرة عظيمة من حديد قائمة على واد كبير بعد انوقف القطار هنيهة قبل اجتيازه القنطرة . ولما وقف القطار رأى بعض الصوماليين طربوشي فانكفأوا على المركبة من كل جهة والفرح بادٍ على وجوههم وأخذوا يكلموننا وسألنا الذين يعرفون اللغة العربية عن احوالهم فشكوا من السكة الحديدية فقلت لهم : لم تشكون من السكة الحديدية ؟ أليست أحسن من جمالكم فتقدم حينئذٍ اقدرهم على التكلم واجابني قائلاً : كلا ليست باحسن من جمالنا فان الجمل اذا لمس الانسان لا يؤذيه واذا هاج لا يمسه بضرر ويقتصر هياجه على اخراج الزبد من فمه ولكن هذا (واشار بيده الى قاطرة القطار) اذا صادف انساناً أو حيواناً اثنا سيره يجعله ارباً واذا هاج يزعج صوته جمالنا ومواشينا فيشردهم في الفلاة وجمالنا تاتي باحمالها على الارض . وهذه (واشار بيده على مدخنة القاطرة) اذا هاجت تخرج من ضمنها الدخان والنار وتغطي الحقول بطبقة من الرماد . ولحم الجمل يؤكل ثم هو يتناسل ويكثر نوعه وأما هذا فكيف تذبحه وتأكله ؟ فاجبته إن السكك الحديدية موجودة في بلاد الدولة العثمانية وان القطر الحجازي سيتصل عما قريب بسائر البلاد بسكة حديدية فقال اذن السكك الحديدية الموجودة عندكم ليست بدعة افرنجية

وبذلك فهم هذا الصومالي ان سككنا الحديدية ليست بدعة افرنجية . ولما انتهينا الى هنا من الكلام تحرك القطار فكانوا يحيوننا بايديهم . وقد قال لي مفتش القطار ان الاهالي الوطنيين كانوا يضعون العقبات في سبيل مد السكة اثناء العمل وانه كثيراً ما ادى الامر الى الضرب والطعان ووقوع بعض القتلى من الطرفين وان

الفعلة كانوا مضطرين للتسلح في اثناء الشغل . والسبب في ذلك ان القوافل كانت تذهب وتجيءُ بين جيبوتي وهرر على جمال الاهالي الوطنيين فلما شرع في مد السكة الحديدية أخذوا يناوئونها مناوأة شديدة

وفي الساعة السابعة تغير لون الأعشاب والنبات شيئاً فشيئاً حتى أشبه لون الفضة. وفي منتصف الساعة السابعة وصلنا الى محل يسمى (اليلا) ووقفنا هناك ريثما وضع المستخدمون الزيت في عجلات القطار وآلاته . ويوجد في (اليلا) بضعة من الاكواخ المبنية من الحصى (الظاط) غير منتظمة الجدران مسقوفة بالقش والبوص (القصب) . وهنا أردت ان ارسم بعض اولاد الصوماليين بالعدة الفوتوغرافية ولكن توسل اليَّ آباؤهم ان لا افعل خوفاً من ان يموتوا ؟ ؟ ؟ ؟ وبما انه يعز عليَّ موتهم عدلت عن تصويرهم ! ! ! ! . . . .

و بعد ان قمنا من هذه المحطة بقليل صادفنا قطعاناً من الجمال ترعى بيض الالوان نحاف الاجسام جميلة المنظر سريعة السير ورأينا أيضاً قطعاناً من المعز الابيض تشبه الغزلان وقد كنت رأيت فيما مضى في صحارى برقه التابعة لبني غازي نوعاً من الجمال يشبه هذه الجمال التي رأيناها من القطار

وفي الساعة الثامنة وصلنا الى محطة (هلهل) وهي ثلاثة اكواخ كبيرة خشبية منفصلة عن بعضها ويوجد على اطراف المحطة قرية صومالية فيها خمسون كوخاً . و يتعيش الصوماليون كسائر عربان البادية من ألبان مواشيهم ونتاجها ومن كراء جمالهم و ينزلون حيث وجدوا الكلأ والمرعى و يمكثون هناك حتى ينفد الكلأ وتجول كل قبيلة في حلها وترحالها في دائرة حدود منازلها فسكان هذه الجهات هم عرب رحّل ولكن ليس لهم بيوت شعر كعربان الشام و بغداد وحلب والحجاز وطرابلس الغرب و بني غازي بل هم يبنون مساكن لهم حيثما نزلوا والبناء بالحجارة والطين اذا وجدوا حجارة واغلبهم يرفعون الجدران بغير طين و بدون انتظام ومساحة المسكن متران تقريباً وارتفاعه متر ونصف متر و يغطون سقفه باغصان الأشجار والنباتات وبهذه

الوسيلة تتمكن العائلة من بناء مسكن لها في يوم واحد . وفي الاماكن التي لا يوجد فيها احجار يبني الصومالي جدران منزله من الاغصان ويرفع فوقه قبة في شكل نصف كرة و يغطيها بالنباتات واذا تعذر وجود الأشجار واستعمال اغصانها لجأ الى اربع عصي توجد عنده دائماً لهذه الغاية طول الواحدة منها متران ونصف فيركز هذه العصي في الارض و يربط رؤوسها بعضها ببعض ثم يشد الاطراف الاربعة بالحشايش والنباتات . و يوم ترحل القبيلة يحمل كل واحد منهم بيته هذا المؤلف من بضع عصي ولكون الاراضي التي في اطراف هذه المحطة دائمة الخصب ترك صوماليو هذه الجهة الترحال وتحضروا وانشأوا قريةً لهم و بنوا اكواخاً متينة بالنسبة لاكواخ غيرهم وأخذوا يبيعون اللبن وما اشبهه لركاب السكة الحديدية

فلما وقف بنا القطار في المحطة المذكورة هرع البنات الصوماليات لبيع ما استحضروه من اللبن الصريح وهم يضعونه في مقاطف أما اللبن المشوب بالماء فيضعونه في القرب . فاشتريت مقطف لبن من احدى البائعات . والقارئ يستغرب وضع اللبن ضمن مقطف فلبيان ذلك اقول : ان الذين قرأوا رحلتي الى صحراء افريقيا الكبرى يتذكرون ما شرحته في الرحلة المذكورة عن كيفية عمل بعض الأواني من سعف النخل ولنذكر ذلك هنا أيضاً فائدة للقراء : يعمد سكان واحات اوجله وجالو الى النخل و يقطعونه و يحيكونه بعد ذلك كحياكة الحبل الدقيق ومن هذه الحبال الدقيقة يصنعون علباً ذوات أغطية مختلفة الحجم والشكل وموائد كبيرة كالصواني النحاسية التي يؤكل عليها والاغرب من ذلك انهم يحيكون من هذه الحبال قلالاً لوضع الماء والالبان وجميع السوائل وقد تستعمل هذه الأواني الليفية لتبريد الماء لانه يرشح منها رشحاً قليلاً

أما الصوماليون هنا فانهم يستعملون نباتاً ناعماً قوياً بدلاً من اوراق النخل وسعفه في صناعة الاواني والقصاع والجرار و يسودون داخل الاواني الخاصة بالالبان أو السوائل التي يجب حفظها من الترشح بطبقة من هباب الدخان فيسد مسامّها

ويقوم مقام الطلاء ويمنع السائل من الترشح ولا يغسلون هذه الاواني بالماء بل اذا ارادوا وضع شيءٍ آخر في قصعة اللبن عرضوا باطنها للدخان فيطليها بالسواد ويزيل الزفر والفضلات منها ثم يعيدون ذلك كلما ارادوا تنظيفها

قلت اني اشتريت في المحطة المذكورة قصعة لبن رايب فلما ذقته وجدته حامضاً جدًا مائلاً للمرارة فسألت كيف يصنعونه فقيل انهم يضعون اللبن المحلوب هذا اليوم مثلاً في قصعة مدخنة بالهباب كما ذكر آنفاً من غير ان يغلوا اللبن أو يضعوا فيه الروبة اللازمة لترويبه . وفي اليوم الثاني يضيفون عليه ما زاد عن غذائهم من اللبن وما حلبوه من جديد وهكذا يأخذون اللبن القديم ويبيعونه ولذلك لا يمكننا نحن ان نشرب أو نأكل ألبانهم ولكن الضرورات تبيح المحظورات فاننا لشدة الحرارة اضطررنا لشرب اللبن الرايب بعد وضع الماء فيه

وقد أحاط الناس بمركبتنا هنا ايضاً وصاروا يكلموننا وعلامات السرور والارتياح بادية على وجوههم . وليس على رجالهم سوى (فوطة) لستر العورة كما ان نساءهم كنّ مكشوفات بحيث كان القسم الاعلى منهن بادياً أما الاولاد فانهم عراة الابدان بالمرة واكثرهم يتكلمون باللغة العربية وأعضاؤهم متناسبة وسحنهم جميلة جداً

وبعد ان فارق القطار هذه المحطة وأخذ يقطع الفيافي جعلنا نشاهد قطعان المعز لابيض الجميل الشكل سارحة في الاراضي بين الاعشاب والنباتات . وبعد هذه المحطة أخذ الطقس يعتدل قليلاً لان القطار كان آخذاً في الصعود وقرب الساعة التاسعة مررنا في أراض قليلة العشب وقد غلبت الطبيعة البركانية على قوتها الانباتية فصرنا لا نرى في كل بضع ثوانٍ الا الاحجار والصخور السود

وفي الساعة التاسعة بالتمام وقف القطار في محطة (تعسبيه) وأخذت القاطرة الماء اللازم لها منها . وفي هذه المحطة وما جاورها أيضاً كثير من الصوماليين واكواخهم مبنية على أطراف المحطة ورأينا هنا غلاماً صومالياً يبيع القهوة للركاب وقد أحسن صنعته اذ يجهز القهوة قبل وصول القطار فلما أشرفنا على المحطة بادر بتقديم القهوة للمسافرين ضمن فناجين

ولما سار بنا القطار من هذه المحطة راقت في عيني مناظر أشجار جميلة قائمة على جوانبنا تشبه (الدفلي) فسألت عن اسم هذا الشجر فقيل لي انه يسمى (فرحى) وانه ينبت من نفسه كسائر أعشاب هذه الصحارى وانه يعمل من أغصانه نوع من السواك وقد كنت رأيت الصوماليين يضعون في أفواههم قطعاً يعبثون بها بأسنانهم تارة و يمتصونها اخرى فاذا هي من هذا الشجر وعلمت ان الصوماليين كبيرهم وصغيرهم مغرمون باستعمال هذه الاغصان فلا ترى صومالياً الا وفي فمه قطعة منه شبه السواك يمسكها في فمه فاذا أراد التكلم أخذها بيده واذا انتهى كلامه أرجعها الى فمه وامسكها بين شفتيه كسجاير الدخان فيمتصها او يديرها بين اسنانه من غير أن يمسكها بيده وقد ظهر لي ان استعمال هذا السواك خرج عن طور الفائدة المطلوبة منه الى طور المكيفات وهذا السواك ليس باليابس كالذي نستعمله نحن بل هو أخضر وقشره عليه وأظن ان عصارة هذا الشجر فيها مادة مكيفة

وقد وصلنا قبل الساعة العاشرة الى محطة (علي صبح) وهي واقعة بين ولاية (هرر) التابعة للحبش و بين الصومال الفرنسوي و يوجد فيها ما عدا المحطة أبنية تشبه القلاع مبنية على هضبة تشرف على الاطراف حيث يقيم أحد المستخدمين الفرنساويين مع رجاله ورفاقه وهذه المحطة وأطرافها خالية من السكان ومن الاكواخ بسبب جدب الارض وعدم وجود الكلأ فيها

وفي الساعة السادسة والدقيقة ١٠ وصلنا الى محطة (دادانلي) الكائنة في الكيلومتر ١٠٦ وقد شيد الصوماليون قرية حول هذه المحطة ووجدنا هنا مخفراً للجنود يخفق عليه العلم الحبشي وقد صنع هذا العلم من ثلاثة ألوان كألوان قوس قزح . فالأول من الاعلى لونه أخضر والثاني أصفر والثالث احمر وقد رفع العلم عمودياً على السارية ولما وصلنا الى المحطة خرج الجنود من المخفر لأداء التحية العسكرية للوفد السلطاني وسلاح هذا الجند من نوع البنادق الفرنسوية المسماة (غرا) وقد اشترت الحكومة الحبشية هذه الاسلحة من الفرنسويين أما كسوة الجنود فهي عبارة عن سراويل

وقميص ورداء ويرتدون فوقهما برداء ابيض كالذي يرتديه اهل طرابلس الغرب وهم عراة الرؤوس حفاة الاقدام

ويقف القطار في ذهابه من جيبوتي الى الداخول في هذه المحطة ثلاثة أرباع الساعة للطعام ولما عرف الصوماليون الموجودون هنا اني موفد من قبل الحضرة السلطانية أسرعوا اليّ وأخذوا يدعون للحضرة العلية السلطانية ويهنئونني بالوصول سالماً واكرمونا غاية الاكرام كما حصل في كل المحلات التي مررنا بها وقد زاد عددهم في برهة قليلة حتى صارت المحطة تموج بالناس كأنهم وجدوا ورود الوفد السلطاني فرصة انتهزوها لاظهار اخلاصهم وصدق ولائهم للحضرة المعظمة السلطانية وقد تذكرت هنا ما قاله لي والي الصومال الفرنسوي عند ما كنت في جيبوتي من ان اهالي هذه الجهات سيكونون في غاية الانشراح والسرور من رؤية الوفد العثماني في بلادهم لشدة تعلقهم بالعرش الأسمى السلطاني

وقمنا من محطة (دادانلي) في الساعة الحادية عشرة وعند تحرك القطار طلب الصوماليون اليّ ان أخبرهم بوقت رجوعي ووصولي في العودة

وبعد ان مررنا على كوبري قائم على وادٍ وصلنا في الساعة الثانية عشرة الا بضع عشرة دقيقة الى محطة (عدالى) الكائنة في الكيلومتر ١٣٢ وهذه المحطة صغيرة ليس فيها الا بضعة اكواخ وفي منتصف الساعة الثانية عشرة قطعنا صحارى واسعة جداً ومراعي عظيمة ممتلئة بجمال الصوماليين وحميرهم ومعزهم وكنا نرى اكواخ اصحاب تلك المواشي تلوح بين البهائم وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى محطة (عائشة) وليس في هذه المحطة سوى ثلاثة أبنية خشبية صغيرة تشبه الاكواخ وحيالها قرية صومالية صغيرة تسمى (سالاري) فيها ثلاثون كوخاً والاراضي هنا مستوية مخصبة خصباً يجعلها مرعى جيداً للخرفان الصومالية وفي الساعة الثانية وصلنا الى محطة (عد الفلا) الواقعة في الكيلومتر ٢٠١ ويوجد هنا ورشة تصليح لشركة السكة الحديدية وبضعة اكواخ صومالية

وفي الساعة الثالثة بينما كنا نقطع صحراء مستوية رأينا من بعدٍ اكواخاً كثيرة من الطين لا يمكن عدها لكثرتها تشبه اكواخ الصوماليين فسألت عنها مأمور القطار فقال انها بيوت لصنف من النمل الابيض وقد صنع هـذا النمل بيوته بطريقة متينة للغاية فهي متحجرة حتى إن الانسان ليعجز عن هدمها الا بالمعول وبين البيت الواحد والآخر (٥٠) متراً او اكثر وارتفاع كل بيت نحو متر ونصف ومنها ما هو نحو مترين وقطره يقرب من ذلك أيضاً . ما أعظم همة هذا المخلوق الصغير ! ما هي الأبنية التي يبنيها الانسان في هذا الزمان وما هو حجمها بالنسبة الى حجمه وارتفاعها بالنسبة الى ارتفاعه ! فانا لو قسنا ما يبنيه هذا الحيوان من البيوت التي هي اكبر من جسمه على هذه النسبة بما يبنيه الانسان لنفسه لوجدناهذا متأخراً جداً بالنسبة اليه . والغالب على الظن ان هذا النمل هو من صنف النمل الابيض الموجود بصحارى الحجاز وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولكن النمل الحجازي لا يبني مساكنه فوق الارض بل يبنيها تحت الارض ولكن فعلها لا يكون أقل من فعل النمل الصومالي . والنمل الحجازي هو من الحشرات المضرة المخربة جداً فانها تقرض الاشجار والاخشاب واذا مكثت تحت صندوق أحد المسافرين او السياح تأكل أسفل الصندوق وتتلف ما فيه . واذا نظر الانسان في المدينة المنورة الى سقف الغرفة يرى خطاً من الطين يعمله النمل ويختفي تحته للقيام بعمله دون ان يراه أحد . وقد كان هذا النمل قرض أسفل بعض العواميد التي كنا وضعناها لاجل السلك البرقي الحجازي فاضطررنا الى قلعها وقطع المحل المقروض ووضعه ثانياً وقد كان القسم الفني قرر قبلاً ان تكون أعمدة الخط البرقي المذكور من الحديد ولكن لبعد المسافة وصعوبة النقل بقيت الأعمدة خشبية واذا أخذت السكة الحديد الحجازية الآن تتقدم في ظل الحضرة السلطانية الى القطر الحجازي فستبدل أعمدة السلك البرقي بعواميد من حديد

ولنرجع الآن الى حديثنا أي الما كنا فيه : في منتصف الساعة الثالثة بعد ان مررنا على كوبري من حديد طوله (٢٠) متراً دخلنا في أراضٍ مستويةواسعة مستورة

بكثير من شجيرات السواك الاخضر محاطة من اليسار بالجبال فتذكرت حينئذ صحراء ليبيا والصحراء الكبيرة ورأيت ان صحارى الحبشة كالجنة بالنسبة للصحارى المذكورة وفي الساعة الثالثة و ٤٥ دقيقة وصلنا الى محطة (مللو) الكائنة في الكيلومتر ٢٤١ حيث يوجد ايضاً بعض اكواخ صومالية . وفي منتصف الساعة الرابعة وصلنا الى محطة (هرووا) والاكواخ الموجودة هنا هي أجسم واكثر من الاكواخ الاخرى التي رأيناها على طريقنا وهي على شكل قرية كبيرة . ورأينا في هذه المحطة النساء الصوماليات مكشوفات الاكتاف والصدور والسواعد يحلبن الماعز اللطيف الناصع البياض . أما الرجال فكان البعض منهم مشتغلاً بحك سواكه بشفتيه على أسنانه والبعض منهمكاً باستعمال المضغة وهذه المضغة مركبة من التبغ مع قليل من الرماد . يعملون من هذا الخليط معجوناً يقطعونه قطعاً او حبوباً بقدر قطع اللبان التي يمضغها الاولاد ويضع أحدهم حبة منه في الفك الاسفل بين الاسنان والشفة ويمصه من غير أن يفتح فاه واذا ملّ من المص يخرج هذه المضغة ويلصقها فوق أذنه أي بين الرأس والاذن . كذلك اذا ملّ أحدهم من مص السواك يدخله بين ثنايا شعر رأسه الكث

وفي الساعة الخامسة وربع وصلنا الى محطة (الباحة) الكائنة في الكيلومتر ٢٨٠ حيث لا يوجد أحد من السكان . مع ان الاراضي هنا منبتة ذات شجر أي انها مناسبة لسكنى الصوماليين اكثر من سواها . واظن ان السبب في عدم اقبال الصوماليين على السكنى في جوار هذه المحطة هو انهم لا يحبون الاستظلال بالظل بل تعودوا ان يكونوا معرضين دائماً لأشعة الشمس حتى ان أحدهم اذا أراد ان ينام ليستريح قليلاً يترك ظلال الاشجار والبيوت والجدران ويذهب فينام تحت الشمس كأن الظل يضرهم

وبعد هذه المحطة أخذت الشجيرات الواقعة على ممر السكة الحديدية تكبر بالتدريج حتى صارت في شكل غابات جميلة . ويوجد في هذه الاشجار غير شجيرات السواك الشديد الاخضرار اجناس اخرى كثيرة من الاشجار التي لا اعرف اسمها وكلها تنمو من نفسها بغير عناية الانسان ورأينا كثيراً من الاشجار المقطوعة ملقاة على حافتي

ممر السكة الحديدية قطعها المهندسون لفتح الطريق وأما الارض فانها مستورة بصنوف النبات وتوجد كروم العنب بكثرة والياسمين العراتيلي والنباتات المتعرشة متسلقة على الاشجار ومؤلفة انفاقاً ونوافذ طبيعية ، وصواوين زمردية بحيث يعجز أعظم مهندس بستاني عن عمل مثلها ويجاري في أمر هذه الطبيعة البديعة . وكانت هذه المناظر البديعة الرائقة تتنوع أمامنا كلما تقدم القطار الى الأمام واليك ما يستطيعه قلمي من وصف هذه المباني الخضراء المصنوعة بقدرة الخالق جلت قدرته :

تصوّر أيها القارئ شجرة تدلت أغصانها ، وانبسطت أفنانها انبساطاً منتظماً واسعاً بنسبة جذعها حتى صارت كدائرة متحدبة تشبه الشمسية أي المظلة وقد تسلقت على جذعها النباتات حتى اذا بلغت الاغصان عادت فتدلت من الاطراف بهيئة عمود الى الارض وهناك غرزت في التراب ثم نبت منها فرع آخر وتساق على اصله وهكذا حتى تكون من هذه الشجرة غرفة طبيعية ذات جدران دائرة بها من تلك النباتات الزمردية اللون لا تنفذ منها أشعة الشمس الى الداخل . وهناك منظر آخر أيضاً وهو ان تلك النباتات البديعة قد تسلقت على جذوع الاشجار الكبيرة المقطوعة واحاطتها بنسيج اخضر نتج منه ظلال جميلة حسب وضع الجذع وجسامته . ثم ان النباتات التي تنمو داخل هذه الغرف الطبيعية ليست مثل الموجود خارجها كبيرة وخشنة الملمس بل هي قصيرة ناعمة جداً تشبه الطنافس النفيسة الخضراء . وهذه أول مرة صادفت فيها في البر الافريقي مناظر جميلة كهذه حتى نسيت نفسي اني موجود في افريقيا وهي أول مرة أيضاً سمعت فيها تغريد الطيور التي تشبه السماني والقماري والحمام مما لا أعرف اسماءها وهي تنتقل من شجرة الى شجرة في ابدع الاشكال

وبينما كان قطارنا سائراً بين تلك المناظر الطبيعية اللطيفة وانا مشتغل بضبط ما يجب قيده لكتابة الرحلة اذ وقف القطار فاشرفت من النافذة فرأيت كثيراً من الجنود والمستخدمين الحبشيين وعرفت اننا وصلنا الى محطة (دريدوه) التي هي آخر محطة من السكة الحديد واقعة على الكيلومتر (٣١٠) وقد كانت الساعة حينئذٍ السادسة

مساء وعلى ذلك نكون قطعنا المسافة من جيبوتي الى (دريدوه) وقدرها ٣١٠ كيلومترات في اثنتي عشرة ساعة بما فيها زمن وقوف القطار في المحطات

وقد استوقفت نظري في هذة الجهة مساكن النمل الابيض الموجودة بكثرة في الأحراش والغابات مع انه لا يوجد فيها كوخ واحد للصوماليين فياللعجب ان النمل هذا ليس كأهل الصومال الذين لا يألفون الظلال بل منه ما يميل الى السكنى في الظل ومنه ما يميل الى السكنى في الشمس

وقد رأينا المحطة مزدحمة بالناس وكوكبة من الجنود الحبشية فيها ٢٠٠ جندي مصطفة على الرصيف لاداء التحية العسكرية للوفد السلطاني . و بينما نحن كذلك اذ فتح باب العربة ودخل شاب مهذب جميل الوجه والهيئة و بعد ان سلم عليّ بأدب كلمني باللغة الافرنسية فعرفني انه (آتو بيانا) نجل (آتو مارشا) مدير دريدوه وانه حضر مع الجند والمستخدمين ليقوم بالاستقبال مقام والده الغائب عن مركز وظيفته و بعد ذلك عرفني برجال حاشيته وسائر المأمورين ووجدنا صاحب الاوتيل الذي سننزل فيه وهو رجل رومي بين المستقبلين وقد علم بوصولنا فحضر لمقابلة الوفد . و بعد اتمام هذه المراسم ذهبنا الى الاوتيل وهو واقع أمام المحطة وليس ثمة غيره واقام (آتو بيانا) الخفراء من الجنود على الابواب الخارجية احتراماً للوفد السلطاني . وهنا يجب ان اصف الاوتيل قليلاً لنفهم ما هي الابواب الخارجية : ان هذا النزل مبني بالحجر على دور واحد وله ضلعان قائمان عمودياً على بعضهما وفي الوسط الخالي من الابنية يوجد جنينة أمامها درابزين والغرف والبهوات يحيط بها الطريق ولها ابواب للطريق كما للرواق الداخلي وقد وجدت هذا الفندق احسن من فندق (ده زاركاد) الكائن في جيبوتي او انه تراءى لي ذلك لجمال المناظر الطبيعية المحيطة بهذا النزل ووجود الاشجار وبرد الهواء والطقس . واخبرني صاحبه انه هيأ لنا الغرف اللازمة كما انه جهز بهواً للطعام . والحق يقال ان هذا النزل بالنسبة لدريدوه في غاية النظافة والترتيب . و بعد ان تناولنا الطعام واسترحنا قليلاً من وعثاء السفر ذهب كل منا لغرفته ونمنا نومة هنيئة لاعتدال الهواء ولما نالنا من التعب في السفر

دريدوه ٩ مايو (مايس)

دريدوه — التهيؤ لسفر البر — اخلاص الصوماليين الوطنيين للحضرة السلطانية — الصومال والصوماليون — (توالت) بالتراب والسمن — الترضية الكبرى

—

انتهى هنا في (دريدوه) القسم السهل من سفرنا وأتى القسم الذي نقطعه على الجبال والبغال فاخذنا في إعداد ما يلزم بما يمكن من السرعة من غير ان نضيع ساعة واحدة وذلك لقرب موسم المطر الغزير في هذه البلاد . وقد كنا في مساء اليوم الماضي نقلنا الى الفندق حقائبنا الصغيرة التي كانت معنا في مركبات السكة الحديدية . واليوم اشتغلنا قبل كل شيء بجلب الصناديق المحفوظة فيها الهدايا السلطانية وما بقي من متاعنا من الجمرك وقد اضطررنا ان نصغر هذه الصناديق لأنها كانت صنعت في الاستانة كبيرة جداً بحيث يصعب تحميلها على الجمال فضلاً عن البغال وجعلنا كل صندوق اثنين وقام لنا بهذا العمل اربعة نجارين اوربيين ولم يقبلوا ان يشتغلوا الا باجرة زائدة جداً لمصادفة ذلك اليوم عيدهم . وقد راقبتهم بنفسي طول ذلك النهار حتى تمكنا من تصغير الصناديق على قدر الامكان و بعد ان وضعنا ضمنها الاشياء لففنا كل صندوق بصفائح الزنك اتقاء المطر

أما (دريدوه) هذه فهي آخر محطة من سكة الحديد وآخذة في التقدم والعمران يوجد فيها ورشة السكة الحديد وصناع ونجارون وحدادون

ولما أقبل المساء ورأيت الصناديق عملت على ما أريد ولم يبق هناك مانع من السفر في اليوم التالي فرحت كثيراً لما كنت أسمعه من بعض الناس في جيبوتي وعند وصولنا الى (دريدوه) من عدم وجود قيمة للوقت في نظر الاهالي الوطنيين في هذه الربوع حتى انني عند ما وصلت الى (دريدوه) سألني بعض الناس عن المدة التي

أقضيها في (دريدوه) فلما أجبتهم بأني سأقوم من هنا بعد يومين ضحكوا من كلامي وقالوا انك تكون سعيداً اذا استطعت السفر من هنا بعد أسبوع . على أني لما كان الصناع والنجارون يشتغلون كنت أضطر الى الذهاب لمقابلة الذين كانوا يأتون للزيارة وأترك طالب بك ويس جاويش ناظران الشغل . وكان الزائرون من العرب يأتون كل خمسة او ستة معاً ولكن الصوماليين كانوا يأتون أفواجاً أفواجاً كل فوج لا يقل عدده عن سمائة فكنا نسمع ضجيجهم وأصوات التهليل والتكبير والاناشيد الحربية من نصف كيلومتر ولما اكتمل جمعهم وقفوا أمام الفندق ورفعوا أكف الدعاء للحضرة السلطانية ورحبوا بالوفد ثم أخذوا يرقصون على الاناشيد الحربية . وكانت الساحة التي أمام الفندق تموج بالناس الذين أتوا ليتفرجوا على رقص الصوماليين . وقد قال لي الاوربيون الذين كانوا هناك ان هذه اول مرة رأوا فيها اجتماع هذا العدد العظيم من الصوماليين للرقص وانه لم يحصل قبل ذلك لهؤلاء الناس سرور كما حصل لهم الآن وانه لم يحصل لأحد من الاستقبال البهيج كما حصل لنا

وفي المساء خرجت متجولاً في المدينة . واليك ما علمته بخصوص هذه الجهة من الزائرين ومن تجوالي في المدينة

ان (دريدوه) الاصلية هي قرية صغيرة واقعة على بعد عشر دقائق من المحطة وقبل وصول السكة الحديدية اليها كانت تجمع البضائع في هرر وتنقل منها على ظهر الجمال الى جيبوتي عن طريق (جلدسا) ولكن بسبب قرب هرر الى دريدوه أخذت البضائع بعد مد السكة الحديدية تأتي الى هنا كما ان البضائع الآتية من الساحل صارت توزع من دريدوه الى البلاد الداخلية ولذا صارت دريدوه مدينة ذات بال حتى ان الافرنج وشركة السكة الحديد أطلقوا عليها اسم (آديسا هرر) ظناً بأنها ستقوم مقام هرر وقيدوا اسمها كذلك في خرطهم ولكن النجاشي لم يرض بتغيير الاسم فبقيت دريدوه كما كانت قبلاً . وكلمة آديس باللغة الحبشية هي محرفة من الحديث العربية فيكون معنى (آديس هرر) هرر الجديدة

أما سكان دريدوه فقد أخذوا في الازدياد بعد ما صار لها هذا الشأن وذلك بما يأتيها من الناس من الخارج حتى صار عدد أهلها الآن يربو على ألفين . واكثر هؤلاء السكان من المسلمين وهم ينتسبون الى قبائل جورجورا وغاللا وصومال و بعض تجار من اليمن والهند . أما رؤساء مستخدمي السكة الحديد فيها فهم فرنسويون وأصاغر المستخدمين من المسلمين . وسكان الضواحي والكفور الكائنة على أطراف دريدوه هم من فرع (ايسسا) المنتسبين الى الصوماليين المنتشرين بين دريدوه وجيبوتي . وأما بقية سكان دريدوه وسكان جهة (اورسو) التي تبعد عشرين كيلومتر الى الغرب من دريدوه فهم من قبيلة جورجورا المؤلفة من أخلاط الصوماليين والغاللا ولكثرة عدد الصوماليين وترداد ذكرهم كثيراً في هذه الرحلة رأيت أن أفرد فصلاً مخصوصاً بما علمته من أخبار هؤلاء القوم :

الصومال

ان الاقوام الصومالية يقطنون في الاراضي الساحلية الواسعة الممتدة من شمال خليج تاجورا الكائن خارج مضيق باب المندب الى قرب حدود زنجبار . وجزء من هذه السواحل مع قسم صغير من الاراضي الواقعة خلفها واقعان تحت حكم الفرنسويين والقسم الذي يلي ذلك حتى تصل الى قرب انتهاء ساحل عدن يتبع الانكليز وقسم آخر منه وهو الواصل الى انتهاء خليج عدن مع ما بقي من الاراضي الواسعة المتجهة الى حدود زنجبار يتبع ايطاليا ولذلك سمي كل قسم منه باسم الدولة التي تحكمه ورسمت هذه الاقسام على الخرطة الجغرافية بالصومال الانكليزي والصومال الفرنساوي والصومال الايطالي كما انه يوجد قسم من الصوماليين داخل الاراضي الحبشية كما مر ذكره آنفاً . وتنقسم الاقوام الصوماليون الى قبائل أعظمها قبائل (ايسسا) و (دانقالي) و (غاللا) . واكثر القبائل متعادية وكثيراً ما تؤدي العداوة والضغائن الشديدة الموجودة بينهم الى مواقع دموية تحصل من هجوم بعضهم على بعض بقصد الغزو والسلب . أما عدد نفوسهم فيبلغ على وجه التقريب مليوناً ونصفاً . وأصل

هؤلاء الاقوام ليس من أفريقيا بل هم هنود : كان في القرن الحادي عشر الميلادي قد جاء أحد رجاوات الهند بحراً بجيش عظيم على مضيق باب المندب وغلب ساحل جزيرة العرب ومرّ من هناك على البر الغربي واستولى على ساحل افريقيا واستوطن هناك هو وجنوده . فالصوماليون هم من سلالة هؤلاء الجنود . وقد استمر حكم الهنود حتى القرن الثالث عشر الميلادي حيث امتنع عندئذ أمير مسقط من اداء الجزية للهنود واجتاز الى ساحل الصومال بجيش كبير واستولى على تلك البلاد باسم الاسلام وخرّب المعالم والمعابد الوثنية وقلب بعض المعابد الى مساجد ومن ثم أخذ الصوماليون يدخلون في الاسلام حتى صاروا كلهم مسلمين وقد وجد بعض ضباط الانكليز الذين كانوا يشتغلون برسم خريطة الصومال بعض آثار المعابد الهندية كما أن العلماء المتخصصين باللغات قد وجدوا مشابهة عظيمة بين لغة هؤلاء الصوماليين و بين لغة دكن الهندية ولهم على ذلك أدلة يوردونها في المقابلة بين بعض الالفاظ في اللغتين

والاسلام الآن هو دين الصوماليين وجلهم يثابرون على أداء الصلوات الخمس ولكن لعدم معرفتهم الدين معرفةً جيدةً اشتهر البعض منهم بسفك الدماء وقتل النفوس ومن عاداتهم الوحشية أن يضع الواحد منهم على رأسه من الريش بعدد ما قتل من الناس أو ان يجعل على معصمه اسورة او يعلق قرطاً بأذنه علامة على القتل واذا تزوّج أحدهم يضرب زوجته ليلة زفافه بسوط غليظ ضرباً مبرحاً حتى يدميها زاعماً ان هذه القساوة تجعلها في المستقبل مطيعة له . وكان الصوماليون يشتغلون قبلاً بتجارة الرقيق أما الآن فانهم لا يجرأون على ذلك

وكان الذين يسافرون قبل انشاء السكة الحديد من جيبوتي او من زيلع الى حدود الحبشة يضطرون ان يذهبوا بدلالة هؤلاء الصوماليين وحمايتهم ويمروا من أراضٍ شديدة الحر جداً والمسافة بين الحدود الحبشية والثغرين المذكورين خمسة عشر يوماً واذا طلب السائح او التاجر جواز السفر من الساحل الى الداخل كانت الحكومة تأذن له بالسفر على شرط ان لا تكون مسئولة عن حياته وعما يلحق تجارته



وجوه الصوماليين

وأمواله من الضرر لذلك كان المسافر مضطراً لتقديم بعض هدايا لمشايخ القبائل التي يمر من أراضيها كما انه كان يحتاج لحماية جمّـال يسمى (ابان) ويستصحب معه محافظين يرافقونه ليقوموا بحراسته في الطريق . واذا لقي المسافر (لا سيما اذا كان من البيض وعلى الاخص اذا كان افرنجياً) في الليل او في محل خال صومالياً خاطباً بنتاً للزواج فانه يكون معرضاً لخطر القتل لا محالة . والسبب في ذلك أن الصومالي اذا عزم على الزواج يتحتم عليه قتل رجل وان يبعث بعضو من أعضاء المقتول الى أهل البنت التي يريد الاقتران بها اثباتاً لفعلته الشنعاء وبغير تقديم هـذه الضحية البشرية لا يجوز له خطبة البنت ولا يتأتى له الزواج

والصومالي كسائر الاقوام البدوية متعظم مغرور وبسبب تحمله المشاق والمتاعب وتعوده خشونة البداوة تراه دائماً شديد المحافظة على كبريائه أمام سكان المدن المتنعمين بلذائذ المدنية وينظر اليهم والى انغماسهم في الراحة والترف بنظر الاستخفاف والاحتقار . وأضرب لك مثلاً بالصوماليين الذين يشتغلون في مهن حقيرة كالشيال والخادم والوقاد في البواخر فانهم مع ضعتهم واختلاطهم بالافرنج ورؤيتهم كل يوم آثار ذلك التمدن وقوة الغربيين ورقيهم لا يزالون ينظرون أهل المدن وبالاخص الافرنج منهم بنظر الأعلى الى الأدنى ويتظاهرون بالغرور والعظمة أمامهم

والصومالي شجاع باسل للغاية جريء حمول للعطش والجوع . أما سلاحه فهو رمح طول قامة الرجل وترس وخنجر يضعه في وسطه ولهم مهارة كبيرة في استعمال السلاح حتى ان احدهم ليصيب عدوه في أي عضو شاء من اعضائه اذا صوب رمحه نحوه ولو من مسافة بعيدة والصومالي يخرج وحده ليصيد الاسد والنمر والفيل والغزلان والارنب وليس معه من السلاح سوى رمحه الذي يتخذه في سائر الاوقات عكازاً يتوكأ عليه في سيره وقد جرى ذلك عند الصوماليين مجرى العادة حتى ان احدهم اذا لم يحمل الرمح لسبب من الاسباب حمل عصاً يتوكأ عليها في طول الرمح . وهم لا يعرفون الفلاحة والزراعة بل يتعيشون من الماشية واذا لم يجدوا بضائع للحمل على الجمال الى

الداخل بقوا عطلاً من الشغل ولهم اعتناء كبير وولع شديد بأخذ الاخبار والحوادث من كل من يأتي من محل أو يذهب الى محل . ويحمل البعض في رقابهم سبحاً ذات حبات كبيرة واكثر من يفعلون ذلك من الرجال . وهم يدهنون رؤوسهم بالزبدة والسمن بدلاً من الروائح الطيبة والرجال يزيدون على السمن والزبدة الكثيرة المقدار طلاءً من التراب الناعم فيأخذ الرأس لون التربة التي أخذ منها التراب لذا ترى لون رؤوس الصوماليين يختلف بين الحمرة والسواد . وقد تكون التربة المأخوذ منها التراب كاسية تبيض رأس الصومالي فيشبه رأس تمثال من رخام ناصع البياض أو الشعر المستعار الابيض الذي كان يستعمله قديماً الاوروبيون . والشعر وان يكن متجعداً بالطبع يصير بكثرة استعمال التراب والسمن والزبدة متدلياً بتجعد اذا مشط يأخذ هيئة الشعر المستعار المسمى في اوروبا (پروك)

واذا دعا الصومالي أحد اصحابه أو احبائه الى كوخه فانه قبل كل اكرام يجلس المدعو أمامه فيطلي رأسه بالسمن والزبدة وكلما زاد من هذا الدهن كان زيادة في الاكرام وقياماً بما يجب عليه من تعظيم الضيف . واذا مس أحدهم شرف الآخر أو تعدى عليه بقول أو فعل فسبيله ان يأخذ المعتدى عليه الى كوخه ويطلي رأسه بكثير من السمن وهذه اكبر ترضية لرد الشرف عندهم

وألوان الصوماليين تختلف من لون السمرة الحبشية الى اللون الحالك السواد وعيونهم كبيرة جميلة جداً وهم عراض الجباه



النساء الصوماليات

يوم الاثنين ١٠ مايو (١٠ مايس)

القيام من دريدوه — رحل وكوخ — ركابات للاصبع — التعظيم — مهارة النساء — شجرة اللستيك — المعاول الخشبية — بحيرة هراما — الطيور البرية — البرد القارص — المستقبلين

——

كان من المقرر ان نسافر هذا اليوم من دريدوه لذلك استأجرنا بمعرفة (آتو بينا) البغال والجمال اللازمة لركوبنا ولأحمالنا . وقد جاء صباح هذا اليوم الرجال ومعهم البغال والجمال وأخذوا في تحميل الأثقال والجمالة كلهم صوماليون ولهم المام ومهارة في صنع ما يلزم لهم ولجمالهم من غير ان يحتاجوا الى استحضارها من الخارج

ان الصوماليين لا يستخدمون في عمل هذه الرحال لا السروجي ولا الحبال . يتألف القسم اللين من الرحل من حصر خشنة يحيكونها بأيديهم من الياف النبات ويضعون ثلاث حصر أو اربعاً بعضها فوق بعض حتى لا يجرح ثقل الحمل الجمل . وأما القسم الخشبي من الرحل فهو عبارة عن اربعة عصي طوال يربطون كل اثنتين منها ببعض في شكل زاوية · وهاتان الزاويتان المؤلفتان من العصي الاربع مرتبطتان ببعضهما أيضاً من رؤوس الزاويتين . وبعد وضع هذا الرحل فوق الحصر الموضوعة على ظهر الجمل تربطان بواسطة حبل من بطن الجمل ربطاً محكماً . فهذا الرحل في غاية البساطة والخفة والمتانة . واذ يحملون الأثقال يربطون حبل كل شقة من الحمل بالزاوية التي في الجانب الآخر وبالعكس فيكون الحمل بهذا الرباط في غاية المتانة لا يخشى عليه من السقوط قطعاً ولا يؤذي الجمل بسبب اتكاء الاحمال على الزوايا . وأما الحبال التي يستعملونها لهذا القصد فهي من نبات ناعم ينسجه الصومالي بيده . وللرحال الآنفة الذكر فائدة اخرى في غاية الأهمية وهي ان القافلة حين تحط رحالها عند المساء تأخذ العصي من الرحل وتركز بعضها على بعض كما تركز الجنود بنادقها

وتضع فوقها الحصر السابق ذكرها فيؤلف من ذلك اكواخ للجمالة يأوون اليها واذا زاد شئ من الحصر يفرشونه على الارض للجلوس عليه وبالجملة ان هؤلاء الناس يصيدون بحجر عصفورين

ولو كنت أعلم هذه الطريقة لكنت استعملتها في أسفاري بين المدينة المنورة وسورية حينما كنت قائماً بوظيفة مد الخط البرقي الحجازي اذ ان رحال الأقطار الحجازية بين المدينة المنورة وسورية تؤلف من مخدتين بسيطتين مملوئتين بالقش مرتبطتين ببعضهما لا شئ من الخشب عليهما لهذا كان من الصعب نقل العواميد اللازمة للخط على هذه الرحال فأضطرنا الحال الى أن نلتمس من ولاية سورية اسعافنا برحال مناسبة فبعثت بها الينا من دمشق الشام بعد نفقات كبيرة وزمن طويل

**

انتهينا من تحميل الصناديق والمتاع في الساعة الثامنة ووضعنا السروج التي احضرناها معنا من الاستانة على ظهر البغال . وبعد قليل وصل (آتو مارشا) المتصرف (المدير) الذي كان عاد الى المدينة ليلاً ومعه ولده (آتو بينا) وبعض مستخدمي المديرية وكوكبة من الجنود لوداعنا . وقد كانت بغال المدير ومن معه مهيأة أيضاً . أما السروج الموضوعة على البغال الحبشية فانها تشبه سروج العثمانيين القديمة وانما الركابات صغيرة جداً بحيث تسع رجل طفل صغير فعجبت من ذلك وصرت انظر الى الركاب مرة والى ارجل المدير ومن معه مرة اخرى . ولا اعلم كيف تدخل هاته الأقدام الكبيرة في تلك الركابات الصغيرة . ولما آن وقت الرحيل ركبنا وركب أيضاً المدير وسائر الأحباش فأرسلت نظري الى أرجلهم فرأيتهم قد خلعوا الأحذية وألقوها الى الخدم وأخذ كل منهم بوضع الأبهام في الركاب فقط . والركوب من جهة اليمين. وقد علمت فيما بعد ان عادة الأحباش ان لا يضعوا في الركاب الا الابهام وأما سبب ركوبهم من جهة اليمين فهو أن الأحباش يتقلدون سيوفهم على اليمين ويشدونها بقطعة من جلد على اوساطهم شداً محكماً بحيث يكون السيف والجسم كأنهما

قطعة واحدة . وفي هذه الحالة لا يتمكن الرجل من الركوب من اليسار فيضطر الى الركوب من اليمين . وقد اعتادت بغالهم ان تركب من يسارها حتى اننا لما هممنا بالركوب من اليمين استغربت ذلك وخافت فأضطررنا الى ان ندعو الخدام لمسك ازمتها

**

قمنا من دريدوه في الساعة الثانية وكنا قافلة مؤلفة من نحو خمسين رجلاً وأخذنا نسير على الطريق المرصوص (شوسه) التي انشأته شركة السكة الحديد وتمتد هذه الطريق الى مسافة بضع ساعات من (دريدوه) وكان يمشي وراءنا كل من (آتو مارشا) وابنه وخادم واضع يده من وراء سيده محتضن له بيده مما يلي كفل البغل

وكان أمامنا وخلفنا كثير من الجنود الحبشية سائرين من غير انتظام مكشوفي الرؤوس حفاة الأقدام يحملون بنادقهم على اكتافهم . وكنا نصادف الأحباش في طريقنا فالمسلمون منهم يسلمون علينا حسب العادة المتبعة عند المسلمين وأما المسيحيون فانهم يقفون على حافة الطريق و يضعون الرجل اليسار أمام الرجل اليمين ثم يضعون أيديهم الواحدة فوق الاخرى على صدرهم وينحنون حتى تحاذي رؤوسهم افخاذهم و بهذه الصورة كانوا يؤدون السلام . وكان بين الرجال المارين كثير من النساء يحملن احمالاً من الحطب أو الحشائش مربوطة على ظهورهن بجلد طويل و بأيديهن اوانٍ من الزجاج أو القرع وفيها الألبان أو العسل أو الزبدة وما أشبه وهؤلاء النسوة معفيات من اداء السلام لنا أو لغيرنا . وكن ذاهبات الى المدن لبيع ما بأيديهنّ وما على ظهورهنّ وربما يكنّ قائمات من قرىً بعيدة منذ بضع ساعات وهنّ حفايا عرايا وقد رثيت لحال هؤلاء النسوة ولا يستطيع انسان ان لا يرقّ قلبه لهنّ لما هنّ عليه من التعاسة وما يحملنه من المشاق والمتاعب وقد كان في صحبتنا رجل الباني يسمى ابراهيم بكر افندي من حاشية الامبراطور منليك أقام في آديس آبابا بضع سنين وكثيراً ما ساح في هذه البلاد فأظهرت له أسفي مما يقاسيه النساء من المشاق فقال لي : نعم ان هذا هو الحال هنا وفوق كل ذلك تجبر المرأة على اعطاء ما تكسبه من الدراهم الى زوجها أو الى ابيها أو

أخيها فيذهب هذا ويشتري قبل كل شيء قراطيس (خرطوش) للبندقية ليطلقها في الهواء كلما أراد أن يسلي نفسه وعلى هذه الصورة تذهب اتعاب هذه المرأة التعيسة في الهواء من غير أن تنتفع هي أو ينتفع هو مما اكتسبته بكد يمينها فتأمل

وبعد ان تركنا المدينة وراءنا وعبرنا النهر الصغير الجاري الى البلد طلبت الى آتو مارشا وابنه ومن معهما أن يعودوا الى المدينة ولكنهم لم يفعلوا بل رافقونا جميعاً الى محل يبعد ساعة واحدة عن دريدوه وهناك ودّعونا وعادوا الى المدينة بعد ان تركوا خمسة من الجنود الحبشية تحت أمرة (آتو يومرو) مأمور بوليس دريدوه ليرافقونا . واستمر بنا السير داخل غابة كبيرة صاعدين بالتدريج الى الأعلى والنساء المحملات تمر بنا . وبعد ان سرنا على الطريق المرصوص (شوسه) ساعتين تركنا الطريق ودخلنا في السكة القديمة لنقتصر من السير . وهذه السكة القديمة هي عبارة عن طريق ضيق ذي صعود وهبوط وكنا في اثناء سيرنا نرى على الأشجار التي هي من نوع السرو والسنديان كثيراً من انواع الطيور مثل الحمام واليمام والطرغل والسمان والعصافير على اختلاف أجناسها وكثيراً من الطيور التي لا اعرف لها اسماً ولم أرها قط . وقد استوقف نظري بصفة مخصوصة منظر شجرة شكلها تشبه جنس نبات من فصيلة الصبار (تين برشومي) يوجد بكثرة في جنائن الزهور بالاستانة اغصانه مخرمة تخريماً حلزونياً يشبه الأداة التي يفتح بها القناني (تيربون) ولكن هذه التي رأيتها هنا هي اضخم وجذعها أقوى واكبر وتشبه جذع الحور وأغصانها من جنس أغصان الصبار ولكن ليست عريضة مثلها بل هي رفيعة طويلة ورؤوسها متجهة الى السماء وليس لها زهر ولا ورق وحين يراها الانسان لاول وهلة يحكم انها شجرة مصنوعة بيد الانسان من قطع الخشب ومدهونة بالدهان الاخضر . وسألت آتو يومرو عن اسم هذه الشجرة فاخبرني انها تسمى بالحبشية (قول قوال) واننا سنرى كثيراً من نوعها في طريقنا وقد علمت منه ان الافرنج يستخرجون من عصارتها المادة المسماة (كاوتشوك) فاذا كسرت غصناً من أغصان هذه الشجرة ترى سائلاً لزجاً جداً

يسيل بكثرة لونه أبيض كاللبن هو الكاوتشوك

كنا في دريدوه على علو ١١٩٣ متر عن سطح البحر فظننا وقتئذٍ أن الحر يبقى معتدلاً حتى نصل الى آديس أبابا ولذلك سافرنا منها بالاكسية البيضاء ولكن لم نسر مسافة ثلاث ساعات حتى صرنا على علو ٢١٩٣ متر عن سطح البحر فأخذنا نشعر بالبرد . وبعد أن مررنا بعدة قرى حبشية صغيرة وصلنا الى محل وجدنا فيه خيمة صغيرة لبائع يبيع ما عنده فنزلنا هناك لنستريح قليلاً وننتظر وصول جمالنا . وقبل الوصول الى خيمة الرجل البائع كانت بغالنا تمشي مسرعة فتضطر جنود الأحباش المشاة المرافقون لنا الى الجري معها فلما رأيت ذلك قلت لآتو يومرو انما ترحم الجنود بتنقيص سرعة سيرنا فأجاب ضاحكاً ان هؤلاء قد اعتادوا ان يمشوا من الصبح الى المساء دون أن يصيبهم تعب ثم التفت الى رجاله وقال لهم يجب علينا ان نصل الى الخيمة قبل وصول الوفد حتى نتمكن من تنظيفها فهلموا بنا نسرع بالسير . قال ذلك وهمز بغلته التي أخذت تنهب الارض نهباً ووراءها الجنود فكان يلتفت اليَّ ويشير أن انظر الى الجنود. أما قلت لك انهم معتادون على تحمل المشي السريع

ولما وصلنا الى الخيمة ونزلنا فيها أتى صاحبها بعدة صناديق من صناديق غاز البترول الفارغة ووضعهم أمامنا ليقوموا مقام الكراسي والموائد . وكان قرب الخيمة شجرة فجلسنا بينها وبين الخيمة وكان مكاننا مرتفعاً في الجبل ومشرفاً على ما دونه فأخذنا نسرّح الطرف في تلك الوهاد والفيافي والغابات والأنهار التي قطعناها ولولا وجود الاحباش حولي لتخيلت أني في جبال سويسرا أو في جهة (ادابازارى) من أسيا الصغرى أو أني في الجبال والغابات التي بين طرابزون وأرضروم . وكان في الخيمة مع الرجل البائع امرأة جميلة ذات لطف فقامت هي والرجل وطحنت القهوة وقدماها لنا مع اللبن وشراب الرمان فجلسنا نتناول فطورنا وقهوتنا

قلت ان المرأة طحنت القهوة ولم أقل انها طبختها ولذلك سبب : اني كنت رأيت في جيبوتي (كما مرّ ذكره آنفاً) الاحجار التي يسحقون بها الحنطة وهنا أرى

الآن الاحجار التي يسحق بها البن فان سكان هذه البلاد يطحنون الحبوب بهذه الاحجار لعدم وجود الأرحية الكبيرة عندهم فتتألف طواحينهم من حجر مستدير أو مستطيل الشكل ومستوي السطح فتوضع الحبوب عليه ويؤتى بحجر آخر كالنشاب الخاص بفتح رقائق العجين ويضغط به على الحجر الاول ذهاباً وجيئة حتى يطحن ما عليه من الحبوب وكذلك الحال في سحق البن عندهم

**

بعد ان مكثنا هنا ساعتين وتناولنا الفطور الذي كان فيه نوع من الحمام صدناه بالبندق استأنفنا السير في طريقنا وكنا كلما تدرجنا في الصعود على الجبل يزداد امامنا رواء الطبيعة ومناظر الغابات البديعة ونرى الاشجار الضخمة الكبيرة . ولما انتهينا الى قمة الجبل انتهت هناك الغابات وظهرت امامنا اراض واسعة ممتدة على قدر ما يصل اليه النظر معمورة بالقرى والمزارع فعلمنا ان هذا الجبل الذي صعدناه ما كان الا هضبة لهذه المروج العالية . وقد تغيرت المناظر امامنا فظننت اني في بلاد الروم ايلي (تركية اوربا) أو اني في أحسن بقعة من الاناضول (آسيا الصغرى) بكثرة سكانها وزهو عمرانها

والقرى في هذه الاراضي الواسعة متقاربة متماسكة الاطراف ومساكنها مبنية بانتظام وسكانها من نساء ورجال كبار وصغار منتشرون في الحقول والغيطان يشتغلون في زراعتهم والاطفال يجرون وراء الخرفان والماعز ويلعبون بصغار البهائم. والماشية من البقر والغنم والمعز تسرح في تلك المروج الخضراء وترعى والحمام البري تطير أسرابه ألوفاً ألوفاً من حقل الى حقل لالتقاط الحب وقد اصطدنا منها بضعة عشر طائراً . ورأينا الزراع يعزقون أراضي الذرة المرتفعة نحو نصف ذراع بمعازق من الخشب كما ان جميع سكان تلك البلاد الذين هم على جانب عظيم من النشاط والاجتهاد يستعملون من الخشب كل المعاول والادوات اللازمة لحفر الاراضي حتى محاريثهم فانها مصنوعة من الخشب . ويشتغل الرجل وهو مكشوف الجسم لحد وسطه والمرأة

تستر كل جسمها ما عدا صدرها و يديها الى اكتافها

أما سكان هذه البلاد فكلهم مسلمون من جنس الفاللا و يظهر انهم مستفيدون من الثروة الطبيعية التي أنعم الله بها عليهم لان آثار السعادة بادية على وجوههم

وفي الساعة الثانية ونصف بعدالظهر وصلنا الى نقطة تلاقي الطرق الذاهب احدها الى هرر والآخر الى آديس أبابا فسلكنا الطريق الموصل الى هرر لأننا كنا اكترينا الدواب والبغال الى هرر فقط لكي نتمم بعض نقائصنا السفرية في المدينة المشار اليها ومنها نقصد عاصمة الحبشة عن طريق (چرچر)

يوجد ثلاث طرق مختلفة توصل الى آديس أبابا وأحسن هذه الطرق في هذا الموسم هو طريق (چرچر) الآنف الذكر وانما لا تسير الجمال على هذا الطريق الكثير الوعورة الكثير الصعود والنزول أما الطريقان الآخران فانهما شديدا الحرارة وماؤهما قليل جداً تنتاب طارقهما الحميات . وسنفرد فصلاً مخصوصاً للطرق في البلاد الحبشة فيما يلي . وقد كنا نرى أعمدة السلك البرقي الى ملتقى الطرق من الحديد ولكن بعد نقطة ملتقى الطرق المذكورة أخذنا نراها من الخشب . هذا و بعد قليل من السير أخذنا في الانحدار الخفيف حتى اذا بلغنا نهاية الانحدار ظهرت امامنا بحيرة كالمرآة الصقيلة في غاية الجمال واللطافة . هذه البحيرة هي بحيرة (هرمايا) وكنا كلما اقتربنا منها وظهرت لنا أطرافها يأخذ منظرها بمجامع قلوبنا ويحيط بهذه البحيرة من كل الجوانب أكمات خضراء كالزمرد ومياهها حلوة عذبة تجتمع من سيول الامطار وطول هذه البحيرة كيلومتران ونصف تقريباً (٢٠٠٠ متر) وعرضها كيلو متر واحد وبها ألوف من الاوز والبط البري يقوم على وجه الماء و يطير من جهة الى أخرى وكنا نرى أعشاشها على ساحل البحيرة بين الحشائش والنباتات وفيها صغارها . وموقع هذه البحيرة يرتفع ٢٢٥٠ متراً عن سطح البحر لذلك أخذت درجة الحرارة تهبط وبرد الطقس بعد العصر . وكان معنا شاب الباني يسمى شوكت أفندي ذاهباً مع بكر ابراهيم أفندي الى آديس آبابا فاطلق على أسراب البط والاوز بضع طلقات من

بندقيته فكان يصيب في كل طلقة عدداً وافراً منها فتمكن من الوصول الى بعضها في البحيرة ودخل غلام من قبيلة الفاللا وأتى بها من مسافة بعيدة عن الساحل واطلقت أنا أيضاً بعض طلقات على هذه الطيور البرية فكان لنا منها عدد وافر . والطير هنا لا يخاف من صوت البنادق لانه لم يألفه قط . يطلق الانسان عليها النار فلا تطير بل تكتفي بالتصويت وسبب ذلك عدم اصطياد الناس لها لرخص ثمن اللحوم وكثرتها ولغلاء ثمن قراطيس البارود . وترى الحبشي يحرص على قراطيسه أشد الحرص فلا يرمي بها الطيور وانما يرميهم الاجانب الذين يندر مرورهم من هذه الجهات

يحفر الفاليون حفراً كبيرة في حقولهم بين الحفرة والاخرى مئات من الامتار فتملأ هذه الحفر بماء الامطار فيسقي الفالي ماشيته ويأخذ منها ما يلزم له من المياه

وبعد قليل أقبل علينا بعض العثمانيين من أتراك وألبانيين واكراد وهم من المقيمين في هرر وكانوا عالمين بخبر وصولنا فجاؤونا ممتطين صهوات الخيول واستقبلونا بغاية الاحترام وقد علمنا من هؤلاء المستقبلين أن الحكومة المحلية في هرر تستعد لاستقبالنا استقبالاً باهراً وأن سكان المدينة الذين كلهم من المسلمين على غاية من السرور بمجيئنا وانهم سيخرجون لاستقبالنا بأجمعهم . هذا وقد سرنا مع المستقبلين بضع ساعات ثم نزلنا للمبيت بسفح اكمة مرتفعة تشرف على نهر جارٍ وكانت الخيم والصواوين لم تصل بعد فاضطررنا أن ننتظر وصول البغال في العراء فبردنا جداً من هبوب الريح الباردة وبعد وصول البغال أشعلت النيران في محل نزولنا وأخذ البعض منا يشتغل بتدفئة نفسه والبعض يهتم بتحضير الطعام . ولما أقبل الليل نزل المطر منهمراً فزاد الرطوبة والبرد حتى عدنا في الغد الى لبس القمصان الصوف والملابس الشتوية

يوم الثلاثاء ١١ مايس (مايو) الوصول الى هرر

الوصول الى هرر — الاستعداد للسفر — وصف هرر — من اين يشتق اسم القهوة — الخرز — شمسية بالوان قوس قزح — قصر رأس ماكونن — شعار من الذنب — صلاة الجمعة

——

لما استيقظنا هذا الصباح من النوم بادرنا بالاستعداد للسفر و بعد بضع دقائق كنا سائرين على الطريق على اني كنت متألماً من الروماتيزم الذي اشتد عليّ مساء البارحة من البرد وكثرة الرطوبة المتأتية من الأمطار ومع ذلك تحملت وتجلدت . وكنت في أثناء السير أسرح الطرف بتلك الاطراف والاكناف وأستعلم عن احوال المدينة من المستقبلين السائرين معنا وسأبين ذلك بعد وصولنا الى هرر . ولما اقتربنا من هرر ولم يبق بيننا و بينها سوى ساعة ونصف أخذ الناس المستقبلون يردون أفواجاً أفواجاً و بينهم كثير من أشراف مكة والمدينة ومن أهالي تركية آسيا والهنود ومن أهالي جزيرة العرب وكلهم يشتغلون بالتجارة هناك فكان جل هذا الجمع راكبين خيولهم و بعضهم مشاة على أقدامهم وكانوا يطلقون مسدساتهم و بنادقهم في الهواء والشبان منهم ينشدون الأناشيد الحماسية احتفالاً بالوفد . وقدضاق السهل على رحبه وسعته بالناس حتى خيل لي انه لم يبق في المدينة سوى العجائز والأطفال والنساء وكانت تلك الافواج عند اقترابها منا تنزل عن خيولها للتسليم علينا فكنت أضطر في كل مرة الى النزول عن الحصان للتسليم عليهم . و بالجملة كان الاستقبال هنا حافلاً باهراً تظهر منه دلائل الحب والود لان احتفال الناس هذا كان من تلقاء أنفسهم وكان بين المستقبلين مفتي هرر وقاضيها الشرعي وأئمة الجوامع والمساجد . وقد سررت جداً باستقبال الهنود واحتفائهم بنا فانهم كانوا يقدمون لنا المناديل الحريرية ذات

الروائح العطرية وصحاف الورد والزهور المختلفة الاشكال ويرشون علينا من كل جانب المياه المعطرة مثل ماء الملكة واللاوندا وما أشبه

أخذنا نقترب من هرر بهذه الهيئة الحافلة والجمع الغفير وكنا كلما تقدمنا خمس عشرة دقيقة نرى كوكبة من الجنود الحبشية بقيادة ضابط حبشي وبعد ان يؤدوا التحية العسكرية للوفد السلطاني يلتحقون بنا ويسيرون معنا . ولما صرنا على بعد ساعة واحدة من البلد وجدنا جنداً حبشياً يقربون من ألفين واقفين في سهل متسع لأداء التحية للوفد ، ولما اقترب بنا منهم ترجّلنا وقصدنا الموظفين المأمورين باستقبالنا وقواد الجيش الواقفين أمام جنودهم فلما رأونا توجهوا هم ايضاً نحونا فالتقينا في وسط تلك الساحة المتسعة . وكان جماعة المستقبلين من قبل الحكومة مؤلفين من قينازماج جنمي وكيل رأس ما كونن وبالمبراس شتى نائبه الثاني وكثير من كبار المستخدمين . وبعد السلام والتحية بلغني قينازماج جنمي أن الرأس ما كونن الموجود الآن في آديس آبابا أنابه قبل سفره باستقبال الوفد بدلاً عنه وانه يهدي رئيس الوفد السلطاني وسائر أعضائه تحياته وسلامه ثم أخذ يعرفني برجال حاشيته والمستقبلين والموظفين الآتين معه . وبعد الانتهاء من هذه الرسوم سرنا قاصدين المدينة ولما دخلناها من باب السور أخذوا يطلقون المدافع من الابراج ايذاناً بقدوم الوفد . وكانت الطرق مزدحمة ازدحاماً شديداً بالناس حتى خيل لي ان هذا اليوم هو يوم الحشر وكذلك أسطح الحوانيت والمنازل مملوءة بالنساء والاطفال وهم يرحبون بالوفد العثماني بالزغاريت (لولولولو) الواصل دويّها مع دوي المدافع الى عنان السماء . سرنا هكذا حتى وصلنا الى قصر رأس ما كونن الكائن في بقعة مرتفعة تشرف على البلد كانت الحكومة خصصته لنزولنا فيه . وهنا أعاد قينازماج جنمي وسائر المستقبلين ورجال الحكومة عبارات الترحيب وانصرفوا بعد أن عرفونا بالرجال الذين خصصوا لمرافقتنا وخدمتنا وقبل ذهاب القينازماج أظهرت له رغبتي في مقابلة المدير النائب عن الحكومة في دار الحكومة فأجاب (انكم الآن في تعب من مشاق الطريق فليكن هذا في يوم آخر)

و بعد وصولنا بقليل وفد قنصل انكلترا وفرنسا وايطاليا للزيارة فأفادوني جداً بما يعلمونه من أحوال هذه الجهات . و بعد ذهابهم جاء المهماندار (المصاحب الذي أختير لمرافقتي) وأخبرني ان قدجاء لمطبخنا من منزل رأس ما كونين ثور كبير و بعض خرفان و بضع سلال من العنب والموز فامرت بهم جميعهم للجنود والخدمة المرافقين لنا من دريدوه فذبحوا الثور حالاً وسلخوه وجلسوا يأكلونه نيئاً وتكاد الروح لم تفارقه بعد وكنت أشاهدهم من النافذة فلما رأيت هذا المنظر قفلت راجعاً متعجباً مما رأيت

أما المهماندار المخصص لمرافقتنا فانه رجل من أعيان هرر يسمى سيد محمدالنقيب وهو شاب مليح الوجه أديب مهذب نشيط . ولما أخذنا نستعد للسفر الى (آديس أبابا) فوّضنا اليه أمر ابتياع ما يلزم لنا من الزاد والمؤن وكراء البغال للاحمال والركوب وتقرر ان يكون القيام من هرر يوم السبت

ومن عادات هذه البلاد اذا أراد الانسان السفر من بلد الى بلد ان ينوط الامر برجل يسمى (نجادي) وهو الذي يوجد البغال اللازمة للسفر . واذا كانت البغال عائدة حديثاً من سفر بعيد لا يؤجرونها ثانياً ولا يسافرون بها الا بعد ان يريحوها الراحة اللازمة و يتركونها ترعى في المراعي زمناً كافياً اذ ان البغال والخيل هنا لاتعطى شعيراً بل تقتات بالكلاء في السفر والاقامة

ويجب على المسافر ان يأخذ معه غير أصحاب البغال (المكارين) طاهياً لمعالجة الطعام ومساعداً له وعدداً من الخدم لنقل الماء ولجمع الحطب اللازم وقت النزول ولنصب الخيام ورفعها ويجب ان يكون هؤلاء الخدام من الذين تعودوا الاسفار في صحبة السياح . وكثيراً ما تحدث للسياح والمسافرين عوائق بسبب هؤلاء الناس فلا يتمكنون من تجهيز قافلتهم الا في برهة ١٥ يوماً

وكان قبل انشاء السكة الحديد يستعد المسافر للسفر من الساحل ولكن الآن يستعدون لذلك في دريدوه أو في هرر وهذه الاخيرة هي أحسن لانها مدينة كبيرة

تجارية كما سنصفها في فصل مخصوص لانها محطة لجميع القوافل الذاهبة والآتية فاذا ورد على هذه المدينة سائح أو مندوب مثلنا يأتيه من يرغب ان يكون في خدمته اثناء سفره ويبرز له شهادة من الذي ساح معه قبل ذلك . ويطلق على هؤلاء الخدام (اسكري) . ويدل هـذا الاسم على انه محرف من كلمة (عسكري) ذلك لانهم يكونون كالجنود طوع أوامر مخدومهم منذ يوم دخولهم في خدمته ولا يبالون باقتحام المهالك حتى الموت في سبيل طاعته وخدمته ويقومون بحراسته ليلاً بالمناوبة والمخدوم يعطيهم الاسلحة اللازمة لهم . والسياح الذين يقصدون الجهات القاصية من أفريقيا ذات المخاطر والمهالك لا يستغنون عن هؤلاء الاسكريين . ويمكن للانسان ان يأخذ لخدمته العدد الذي يريده من هؤلاء والحكومة لا تمانع بذلك أبداً . ولنصف الآن مدينة هرر

هرر

ان الانسان الذي يقترب من هرر آتياً من الشمال أي من الطريق الذي أتينا منه لا يتأتى له رؤية المدينة بسبب وقوعها وراء أكمات هي اكثر ارتفاعاً من المدينة نفسها . والمدينة قائمة على اكمة من هذه الاكمات بيضاوية الشكل مستطيلته لذلك ترى منازلها مشرفة بعضها على بعض ويحيط بالمدينةسور قديم يجعل الدفاع عنهاسهلاً

والمنزل الذي تخصص لنا واقع في أعلى نقطة من المدينة فيشرف الناظر منه على أطراف المدينة واكنافها لا سيما اذا كان في الدور الأعلى حيث يظن نفسه انه في البلاد العربية لما يرى امامه من المنازل المشيدة من الحجر والطوب النيء والسطوح المسطحة وعليها النساء المعصبات رؤوسهن يشتغلن اما بتجفيف الحنطة وتنقيتها وجمعها أو بنشر الملابس المغسولة واكثرهن يستعملن الخمار الاحمر

أما طرق المدينة فانها غير منظمة وهي صاعدة هابطة ذات تعاريج وضيق وذلك لانها لم تخطط حين تأسيسها على أصول هندسية لذا كانت ممراتها ضيقة جداً كما انها

في غاية من القذارة ولكون هذه المدينة محاطة من كل جوانبها بالرياض الغناء والاكمات الخضراء فهي تشبه دمشق الشام أو تشبه قصراً كبيراً قائماً في وسط حديقة واسعة الاطراف . ويزرع في حدائقها من الفواكه قصب السكر والموز والبن (القهوة) والعنب والليمون والبرتقال ومن الخضار القرع والخيار والباذنجان والقوطة والفاصولية وما أشبه ذلك . ولكل منزل فناء (حوش أو ديار) واسع مكشوف وفيه الاشجار الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فتزين منظر البلد وتزيد في رونقها . وسبب ضيق طرق هذه المدينة ما كنا نرى داخلها من أعلى منزلنا ولو لم نرَ بعض النساء على السطوح أو نسمع من حين الى حين صوت الكلاب تنبح أو أصوات الجمال ترغو لظننا ان هذا البلد خال من السكان

و يبلغ سكان المدينة (٤٠٠٠٠) نسمة منها (٣٥٠٠٠) مسلمون والخمسة آلاف الباقية هم خليط من الاحباش والافرنج والارمن والروم . و يظن الانسان لاول وهلة ان الحر في مدينة (هرر) شديد جداً لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض الشمالي لخط الاستواء ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ متراً عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل طقسها معتدلاً لطيفاً جداً . وقد قال لي القناصل الذين هنا ان درجة الحرارة في هرر لا تتجاوز الستة والعشرين في موسم الصيف الذي يعتدل فيه الهواء لسقوط الامطار الغزيرة . وفي الشتاء يكون معتدلاً بواسطة حرارة الشمس. وموسم المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الحبشية والسودانية هو في الصيف أما في الشتاء فانه لا يسقط المطر ويبتدئ نزول الامطار من مايو (مايس) وينتهي في أواخر ستمبر (ايلول) و يبلغ سقوط المطر أشده في شهر يونيو (تموز) و يوليو (حزيران) واغسطس وسبتمبر . واعتدال هذه البلاد مما يساعد على زرع البن (القهوة) في جوار وضواحي هرر وفي البلاد الحبشية الاخرى حتى ان الجهات الجنوبية الغربية من الحبشة خصوصاً في جهات بلاد (كافا) ينمو فيها شجر البن نمواً عجيباً بحيث يصير كالغياض والغابات الطبيعية . ولعل الناس أخذوا اسم القهوة من اسم بلاد (كافا)

الآنفة الذكر التي تنبت فيها أشجار البن في حالة طبيعية . وتوجد أشجار البن في هرر وضواحيها بكثرة

يمر من هرر نهير يسمى (ارر) و بعد ان يقطع مسافة الف كيلومتر باراضي الصومال واوجاده يغور في الرمال قبل ان يصل الى البحر . وتأتي النساء كل يوم أفواجاً أفواجاً من القرى والمزارع المجاورة لهرر بالحب والدجاج والعسل والزبدة ويجلسن في ساحة خاصة للسوق و يبعن ما معهن من السلع والمأذون لها من وليها بصرف قسم من الدراهم ترى من الواجب عليها ان تشتري قبل ايابها الى القرية حلياً تزين بها نفسها ويجعلها محبوبة في عين الناظر اليها فتذهب بعد بيع سلعها الى الصائغ وهو بائع الخرز فتقف امامه وتأخذ في تقليب العقود والاساور والخواتم فتغير وتبدل وتلبس عقداً وتنزعه ثم تلبس خاتماً ثم تنزعه ثم اسورة كذلك وهكذا تبقى بين تردد واحتياط حتى يستقر رأيها على شيء وربما استشارت رفيقاتها عدة مرار وفي النهاية تنتخب اسورة مثلاً وتأخذ المرآة بيدها لترى نفسها فتطيل النظر في المرآة و بعد ان تبتسم عن أسنانها البيضاء تدفع الثمن واذا لم يكن عندها مرآة فانها تبتاع واحدة اذ من الضروري ان ترى نفسها هي أيضاً كما يراها الآخرون وهي بحليها ومصاغها . لذلك يروج الخرز (وهو مصنوع تقليداً للأحجار الكريمة) والمرايا رواجاً عظيماً في هذه الأقطار فعلب الخرز التي في أسواق هرر كل سنة يبلغ عددها (١٠٠,٠٠٠) علبة في كل علبة (٦٠٠٠) خرزة والمرايا يبلغ عددها (٣٠٠,٠٠٠) وهاته الأصناف تأتي الى الحبشة من تريستا وألمانيا . ومن الاصناف الرائجة في التجارة بعد الخرز الأقمشة الافرنكية . والاكثر رواجاً من هذه الاقمشة هي ذات اللون الاحمر والازرق لان نساء هرر يرغبن الاقمشة الملوّنة بهذين اللونين و يلبسن الكساوي المعمولة منها . أما التجارة فان القسم الاعظم منها في يد فرعي التاجرين الهنديين محمد علي وطيب علي اكبر . ومركز تجارة هذين التاجرين المسلمين هي في (بومباي) وتجارتهما واسعة ومحلهما كبير جداً . ويوجد غير ذلك تجار من الارمن والاروام

والفرنساويين والطليان وغيرهم وكل هؤلاء التجار يعترفون بعدم استطاعتهم لمجاراة التاجرين الهنديين السابق ذكرهما في التجارة لان معيشتهما المبنية على الزهد والقناعة تمكنهما من بيع سلعهما بأرخص ثمن وبأقل ربح وهذا مما لا يقدر عليه الاوروبي أبداً . وقد ابتعنا كل ما يلزم لقافلتنا من هذين التاجرين . وتجارة الهنود في هذه الاقطار قديمة جداً . والمصنوعات الأوروبية لم تأت الى هذه البلاد بكثرة الا بعد فتح ترعة السويس أما البضائع الهندية فانها كانت تأتي الى افريقيا من قديم الزمان عن طريق زيلع قبل تأسيس ثغر جيبوتي . ولما كنا في جيبوتي بحثنا عن ارز مصري لنبتاع منه فلم نجد له اثراً فيها فارتضينا بالارز الهندي وهنا كذلك لم نجد الارز المصري على أن المسافة بين مصر وبين جيبوتي ليست الا بضعة أيام . أليس بعجيب أن لا يرد اليها الأرز المصري ؟

يرى من دور منزلنا الاعلى اكبر أسواق المدينة وهو ساحة متسعة تزدحم كل يوم بالبائعين والمشترين . والحوانيت الشبيهة بالاكواخ مبنية اما في وسط الساحة أو على أطرافها ويوجد بهذا السوق كل ما يوجد في المدن مثل الجمال والبغال والحمير والبقر والخراف والماعز والدجاج والذرة والبصل واللحم ويؤتى بكل هذه الاشياء من القرى المجاورة . ويرى الناظر امامه في السوق منظرًا جميلاً بسبب شدة الازدحام وتنوع ملابس الناس المختلفة الاشكال فالاحباش عامة يرتدون ثوباً يسمى (شما) مصنوعاً من القماش الابيض . والشما التي يرتدونها هي ثلاث قطع فالطرفان أبيضا اللون والوسط أحمر اللون فيخيل لمن يرى الرجل في ردائه انه علَم يمشي أو شخص مرتد بعلم وكثيرًا ما يرى بعض اكابر الاحباش وفي أيديهم انواع من المظلات الغريبة الاشكال التي تليق ان تعلق فوق حوانيت بائعي الشمسيات لتقوم مقام اعلان أو دليل (يافته) على المحل فقد جرت العادة ان تكون الشمسيات ذات لون واحد أما هؤلاء فيحملون شمسيات ذات لون فضي زاوية من زوايا الشمسية القائمة قطعة بلون يخالف الآخر بحيث تصير التسمية جامعة لكل ألوان قوس قزح . وهذه الشمسيات

تُصنع لهذه البلاد خاصة لانها مقبولة ورائجة عند القوم والحبشي يحمل الشمسية لاظهار التأنق لا لاتقاء حر الشمس لان أغلب الاحباش رؤوسهم عارية . وقد أخذ منذ مدة يتفشى لبس القبع بين الاكابر من مسيحي الاحباش

يرى من هرر جبل عالي يسمى (غوندور) يرتفع على سطح البحر ٣٢٠٠ متراً . وكان قديماً يرسل محصول البن من هذه البلاد الى (مخا) ومنها يصدر الى الخارج فسمى البن باسم (موقا) والى يومنا هـذا يباع في اوروبا تحت هذا الاسم ويظن الكثيرون ان (مخا) هي بلاد البن ومحل زرعه على انه من محصولات هرر وضواحيها . وقد قامت الآن عدن بدل (مخا) ومع ذلك فان اسم موقا لم يزل الى الآن يطلق على البن الآتي من هرر عن طريق عدن. وقد كان رؤوف باشا أحد القواد المصريين احتل هرر وما يتبعها بالجنود التي كانت تحت امرته عام ١٨٧٥ وذلك بعد تفويض أمر ادارة ساحل البحر الاحمر الافريقي للخديوية المصرية . وفي اثناء فتنة المتمهدي سنة ١٨٨٤ أخلى المصريون هرر من جنودهم وتركوا المدينة لرجل يسمى عبد الله كان أمير المدينة قبل احتلال المصريين لها . فقام هـذا المغرور ببضع مئات من البنادق كانت تحت أمرته وأنزل العلم العثماني ورفع بدلاً عنه علماً خاصاً به وأوصله الجهل الى ان تجرأ وانتحل لنفسه لقب أمير المؤمنين وأمر بقراءة الخطبة باسمه ولم يكتف بذلك بل أرسل الى منليك سجادة صلاة وكوزاً وطستاً للوضوء فدعاه الى اعتناق الاسلام وهدده بالمسير اذا لم يجب طلبه . وأما منليك فقد بعث اليه يلاطفه بكلام لين ولكن عبد الله لم يصغ لاقواله فنشبت الحرب بينهما سنة ١٨٨٧ فدارت الدائرة فيها على عبد الله فوقع هذا الغر أسيراً بين يدي منليك ودخلت هرر في قبضة امبراطور الاحباش ولا تزال كذلك الى الآن . وأما عبد الله فان الامبراطور منليك رتّب له راتباً من الحكومة وأمره ان يقيم في هرر وهو الآن منزوٍ فيها لا يقدر على مقابلة الناس خجلاً وحياء مما صدر منه من الهفوات التي أذهبت بلاده . ولما كنت في هرر جاء أخوه لزيارتي. وأما حكاية عبد الله هذه فقد سمعتها من الالبانيين والاكراد

الذين كانوا أتوا لاستقبالنا وهم من الذين حضروا كل الوقائع التي حدثت وعلموا بالامور من أولها الى آخرها . وهؤلاء كانوا ممن وفدوا على هرر مع المصريين عند ما احتلتها جنود رؤوف باشا وتزوّجوا بها وأقاموا فيها الى اليوم

وفي عام ١٩٠٠ تفشت الكوليرا في مدينة هرر تفشياً مريعاً فأبادت ثلثي سكان المدينة · أما هرر في القديم فقد كانت تابعة للحبش فاتى المسلمون سنة ١٥٢١ ميلادية فافتتحت على أيديهم و بقيت مستقلةفي ادارتها استقلالاً نوعياً حتى ورود المصريين واحتلالها لهم . ولكن لسوء عمل عبد الله السابق الذكر وطمعه الاشعبي عادت فدخلت تحت السيادة الحبشية

ان القصر الذي نزلنا فيه هنا وهو قصر الرأس ماكونن مشيد في أعلى نقطة من المدينة وليس بين أبنية المدينة ما يماثله في الفخامة والانتظام والمتانة . وهو مبني من الحجر وذو ثلاثة أدوار فيه كثير من الغرف والبهوات والشرفات يضاهي في شكله طرز منازل الاستانة واوربا . وغرفه متسعة وأرضها مفروشة بنوع من المونة المتينة المسماة في سوريا (زريقة) وفي الحجاز (طابطاب) ونوافذه صغيرة بالنسبة لاتساع الغرف . صنعت كذلك كي لا يكون النور داخل الغرف زائداً عن اللزوم ولأجل منع نفوذ النور للغرف وضع على كل نافذة (تكعيبة) ثابتة من الخشب شبيهة بالستائر التيلية البيضاء التي توضع عادةفي الاستانةلحجب أشعة الشمس عن النوافذوالدكاكين. وقد طليت الغرف من الداخل بالنقوش والالوان غير الزاهية وفرشت الغرف بالطنافس الشرقية ووضعت في بهو الاستقبال الكراسي ذات الايدي والمتكئات والموائد وفي صدر الغرفة رسم الامبراطور منليك نجاشي الحبشة مرفوعاً تحيط به الاعلام الحبشية . وعلى أطراف القصر فضاء واسع مسوّر جعل قسم منه حديقة والقسم الآخر أي الجهة الامامية تركت كفناء للقصر . ويدخل الانسان الى الفناء من مدخل عمومي ويرى الداخل ذنب فيل معلق على قوس الباب وعلى طرفيه من الاعمال تمثالا أسدين مصنوعان من الجبس . وقد علمنا ان الذنب الذي رأيناه هو ذنب فيل كان الرأس

ما كونن قتله في الصيد . والصيد في الحبشة من ملاهي الكبار والاعيان والرؤوس حتى النجاشي نفسه . واذا صاد أحدهم حيواناً من الحيوانات الوحشية يعلق ذنبه على باب منزله وتقام لتعليقه احتفالات ومآدب مخصوصة . ومن يقتل أسداً أو نمراً يعلق شعر الحيوان على رأسه في الايام الرسمية والتشريفات وفي المواسم والاعياد كعلامة شرف أو اكليل فخار ولا يحق لمن لم يقتل من هذه الحيوانات الكاسرة وضع شعر على رأسه واذا وضع يتهم بارتكاب التزوير والغش والتدليس .

وفي الرابع عشر من مايس (مايو) أعدت الزيارة لقينازماج جنمي وكيل الرأس ما كونن ولجميع القناصل . ومنزل القينازماج مبني من دورين . وأما دور القناصل فمن دورين فقط وليس بينها وبين منازل آحاد الناس فرق من الخارج وانما متى دخل اليها الانسان يرى الانتظام التام والنظافة والترتيب ويكاد ينسى نفسه انه موجود في هرر . وقد رأى الوفد السلطاني من القناصل لا سيما المستر جون القنصل الانكليزي والموسيو جابريل جينوتي القنصل الفرنسوي واليوزباشي ستريني القنصل الطلياني غاية الاكرام والاحترام وكرم الاخلاق وقد أرادوا ان يعدوا المآدب للوفد ولكن اعتذرت لهم بضيق الوقت فقبلوا عذري وقد بينوا غير مرة استعدادهم لمعاونة الوفد السلطاني بكل ما يقتضي له فكنا نشكرهم على عنايتهم هذه أحسن الشكر . وكذلك جاءنا الموسيو قارره وكيل الموسيو شفنو الذي له المقام السامي لدى بلاط النجاشي منليك والحائز على شهرة عظيمة في البلاد الحبشية والموسيو آدولف ميشل وكيل الموسيو ايلج ومدير التلغراف في هرر و بلّغانا السلام من قبل موكليهم ثم عرضا أنفسهما للقيام بخدمتنا حتى نصل الى آديس آبابا ، ولكن بسبب استكمالنا معداتنا لم أر لزوماً لمساعدتهما فشكرتهما أيضاً على ما أظهراه من الميل لنا وكلفتهما ابلاغ شكرنا وامتناننا الى موكليهما . وقد زارني أيضاً الدكتور جان كوزما مراراً لما ألمّ بي من المرض اثناء وجودنا في هرر . و بالجملة ان الوفد حيثما حل في رحلته هذه كان يرى بظل الحضرة السلطانية ضروب الاحتفاء والاحتفال والاكرام والاحترام

يوجد في هرر عدة مساجد جامعة أدّينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير منها الكائن امام القصر فكانت أنظار المصلين كلها متجهة الى أعضاء الوفد حين وجودنا في الجامع . وقد تأثرت تأثرًا شديدًا حتى دمعت عيناي لما سمعت الخطيب وهو يدعو للحضرة السلطانية و يؤمّن على دعائه قدر الفين من المؤمنين الموحدين . نعم ان هذه العادة جارية في كل الممالك الاسلامية ولكن العثماني الصادق لا يملك نفسه من التأثر عند سماع ذاك الاسم الفخيم يذكر بالتبجيل والتعظيم في ممالك شاسعة يقطع اليها الفيافي و يجوز البحار وهي غير مطروقة بالعثمانيين . هذا وقد سمعت المصلين بينما هم يخرجون من المسجد بعد الصلاة يدعون أيضًا بحفظ صاحب الخلافة و بتوفيقه ومن هذا يظهر ان قلوب الموحدين أينما كانوا بعدوا أو قربوا مرتبطة بذاك المقام الاسمى ارتباطًا متينًا أساسه الدين . فما أعظم هذه الرابطة وما أسمى هذا الدين الذي يجعل المؤمنين كلهم كجسم واحد

السبت ١٥ مايس مايو

السفر من هرر

المرافعة — رحل من البضائع — البغال الحبشية — القيام من هرر — عدد أفراد القافلة الخدمات السفرية — صواويننا — دورتو — الحاج يوسف طباخنا — خبز سهل — الطعام مخفياً .

—

كان أصحاب البغال الذين اكتريناهم يأتون كل يوم لمنزلنا ويرون الطرود واحداً واحداً ويزنون بأيديهم ثقلها فاذا وجدوا طرداً ثقيلا أو تخيّل لهم انه ثقيل عزلوه عن باقي الطرود بحجة ان البغال لاتقدر على حمله فكنا نجاريهم على رأيهم فننقص من الاشياء الموجودة ضمن الطرود . وفي هذا اليوم وهو يوم السفر أتى أصحاب البغال من غير بغالهم فأنزلوا كل الطرود ووضعوها في الفناء . ولما كان أصحاب البغال عدة أشخاص أراد كل منهم ان يأخذ الأخف من الطرود والصناديق ليحمله على بغله . فلم يمض بضع دقائق حتى قامت قيامة هؤلاء المكارين واشتبك بينهم الخصام وعلا الصراخ والصياح دون ان يسمع بعضهم مايقوله الآخرون . وما كنت افقه مايقولون لعدم معرفتي باللغة الحبشية ولكن كنت أسأل من المهماندار عن سبب هذا الخصام . وكان معهم رئيسهم المسمى (بنجادي) فلم يستطع اسكاتهم وكيف يستطيع ذلك وأصواتهم العالية قد بلغت عنان السماء . فلما رأيت ذلك عيل صبري فأرسلت الى القينازماج جنمي وأخبرته بالواقع فأرسل من قبله رجلاً يسمى (آتو جاناخ) . فلم يكد هذا المأمور يضع رجله في الفناء حتى انقطعت الأصوات وخمدت الأنفاس . فجاءني الأتو وبلغني سلام قينازماج جنمي ثم أخذ برؤية الطرود وتقدير ثقلها بيده وبعد ان أتم عمله هذا صعد على أضخم طرد وأعلاه ووضع رجله اليمنى على اليسرى

وامال قبعته الى الأمام وصار ينظر الى المكارين بوجه عبوس يظهر منه الغضب فنظرت الى اولئك المكارين فرأيتهم صامتين ساكتين لايبدون حراكاً كأنما على رؤوسهم الطير و بسؤالي عن سر ذلك علمت ان رسول قينازماج جنمي تقلد بهذه الهيئة صفته الرسمية وان المكارين قائمون الآن أمام المحكمة . أما هؤلاء فانهم لما رأوا أنفسهم امام الحاكم أنكروا ان كلاً منهم يريد أخذ الأخف من الطرود ليحمله على بغله وادّعوا ان بعض الصناديق لا يمكن تحميلها على البغال . على انهم كانوا كل يوم يأتون و يرون الصناديق امام المهماندار الذي ساوموه على ماسبق ذكره ودفعنالهم الأجرة كلها مقدماً . و بناء على ادعائهم هذا صارت الدعوى بينهم و بين المهماندار فوقف النجادي والمهماندار امام الآتو الواحد بصفة مدعي والآخر بصفة مدعى عليه . فصرح النجادي انه يقدم قدرة عسل رسماً للقضية أما المهماندار الذي كان عالماً ان الحق من جانبه والحكم له زاد في قيمة الرسم الى بغل واحد فلم يستطع النجادي الزيادة عليه لأن العادة ان من يحكم عليه يجبر على دفع قيمة الرسم . أما نحن فانا كنا واقفين نتفرج على هذه الرواية المضحكة ولا نفهم مايقال فيها وقد علمنا من الترجمان ان النجادي يدعي ان بعض الصناديق ثقيلة جداً وانه لم يرها بين الصناديق من قبل أي لما ساومنا على الأجرة ودحض المهماندار ادعاء النجادي وأثبت ذلك بشهادة خدمة القصر

وكانت المرافعة تجري في غاية الغرابة فكان المدعي عند مايسرد أدلته يتكلم مشيراً بيديه متقدماً مرة الى الامام متأخراً أخرى الى الوراء و يأتي بحركات عجيبة كأنه على مرسح تشخيص . يرفع تارة يديه الى السماء وطوراً يمدها الى الأمام و يرغي ويزبد بصوت عال أو بعبارة أخرى بصراخ عظيم . كل ذلك لاظهار بلاغته وفصاحته التي ستوصله الى اثبات مدعاه على زعمه . أما المدعى عليه فيمكث ساكتاً صامتاً طول هذه المدة فلا يحرك ساكناً ولا ينبس ببنت شفة ، وحين ينتهي المدعي من كلامه يبدأ المدعى عليه فيدافع كما فعل الأول الذي يلزم جانب الصمت طول مدة كلام

المدعى عليه . ولما تم ايراد أدلة المدعى عليه سمع الأتو الشهود واتبعه باصدار الحكم لصالحنا أي ان جميع الصناديق والطرود يمكن تحميلها على البغال . ولما صدر هذا الحكم خرّ النجادي ساجداً امام الأتو ولم يفه بكلمة وقد كان قبل صدور الحكم كمن مسه الشيطان من الحدة والغضب . وعقب ذلك قام أصحاب البغال وتقاسموا المتاع والصناديق بعد ان عدّلوا بين الثقيل والخفيف و بعض الطرود الصغيرة وذهبوا ليأتوا ببغالهم . و بقي الأتو معنا حتى ساعة سفرنا . وهنا يجب ان أقول بضع كلمات فيما علمته في شأن رسوم القضايا التي تؤخذ في هذه البلاد :

ان الرجل الذي يريد اقامة دعوى على آخر يهدده قبل الدخول بالدعوى بأنه سيقدم رسماً للقضية كذا درهماً أو كذا شيئاً لانه اذا صدر الحكم فيما بعد لصالح المدعي فان المحكوم عليه ربما يضطر ان يدفع أضعاف ثمن الشيء الذي تسبب عنه رفع الدعوى . فعلى المدعى عليه ان يقبل هذا الرسم ويزيد عليه اذا رأى الحق من جانبه حتى يصل الرسم في بعض الاحيان الى مبلغ عظيم . فالذي يحكم عليه من المتقاضين يضطر ان يدفع المبلغ المعين الذي تعهد باعطائه .

بعد بضع دقائق وردت البغال فأخذ المكارون يحملون الأحمال . و بغالهم ليس لها نعال ولا أرسن . وقد وضع على ظهر كل بغل من الأمام مايشبه رحلاً صغيراً مصنوعاً من الجلد مربوطاً بقطعة من الخشب على رسم ٨ وقد وضعوا فوق هذا الرحل العجيب الشكل ثوبين من البفتة ملفوفين لفاً طولياً ثم ملفوف فوقهما الخيش فيصير من هاتين اللفافتين رحل كبير وأما البفتة التي تستعمل لهذا الرحل فان المكارين يشترونها لينتفعوا بها في الرحل ثم يبيعونها في أديس أبابا بثمن أغلى مما اشتروها به و بذلك يربحون من جهتين . ويحملون على البغل كل اثنين من الطرود الصغيرة بوضع واحد كبير يقابله من الجهة الأخرى كالعادة المتبعة عند مكاري بلادنا . وأما الأحمال الثقيلة والصناديق الكبيرة فانهم يضعون الواحد منها على ظهر البغل كما يضعون الطرد على الارض و يأتون بسيور من الجلد رفيعة طويلة غير مدبوغة فيلفونها على الصندوق

و بطن البغل عدة لفات ثم يأتي اثنان من المكارين فيمسك كل منهما بطرف السير واضعاً رجله الواحدة على الارض والأخرى على بطن البغل ويشدان السيور بكل قوتهما حتى يصغر بطن البغل المسكين وتلتصق السيور و يبرز جلده من خلال السيور بحيث لا تعود ترى تلك السيور و يصبح الحمل وجسم الحيوان كأنهما قطعة واحدة. وقد اعتادت البغال مع التمادي على هذا العذاب وتكون في مكان السيور من جسمها طبقة خشنة ربما تقيه ولو قليلاً من هذه الآلام . وكلما كانوا يحملون بغلاً يتركونه وشأنه و يذهبون لتحميل آخر فينام الاول و يتمرغ على الارض ويقوم ويمشي ويرعى والحمل على ظهره لا يتزحزح من محله لانه أضحى هو والبغل قطعة واحدة كما قلنا آنفاً

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر انتهى تحميل البغال فقمنا مع القافلة من هرر وأرسلت الحكومة معنا نفراً من الجند تحت قيادة صف ضابط (جاويش) ومشى معنا القينازماج وسائر المأمورين لوداعنا

و بعد سير ساعتين نزلت القافلة على سفح اكمة تسمى (قارصة) وكان معنا وقتئذ البغال المأخوذة احتياطاً ما عدا بغال الركوب و بغال الاحمال فبلغ عدد جميع بغال القافلة نحو أربعين بغلاً . ولما نزلنا واسترحنا ضبطت عدد وأسماء النفوس الموجودة بالقافلة

(أنظر الاسماء بالصحيفة التالية)

وها هي الاسماء أوردها هنا نموذجاً للاسماء الحبشية :

(أعضاء الوفد)

أنا . البكباشي طالب بك . الجاويش يسين افندي . ابراهيم بكر افندي . شوكت افندي

(الجنود الحبشية)	(البغالة وعددهم عشرة)	(الاسكريين اي الخدمة وعددهم أربعة عشر)
أبو بكر جاويش	عياللا نجادي	الحاج يوسف طاهي
عمر جندي	لمما	جمعه
عثمان «	بوقوللا	أحمد
حسين «	شفاو	محمد
اتمي «	بلاي	عبد الرحمن
	آديس	علامو
	حيلو	محمد
	بوتفاس	غرادو
	اغا	نورو
	بواط	دوغوبا
	عياللا	واق غيرا
	قبر مريم	بشرا
	غوشو	علامو
	زكارترادا	عبد الرحمن مارمطون الطاهي
	كزمو	

وقد انضم الى قافلتنا بعض الفقراء من أهالي البلاد بكفالة الخدمة للذهاب الى آديس آبابا من غير أن يكلفهم ذلك شيئاً من الدراهم فبلغ عدد القافلة ٤٠ شخصاً



جنودنا وخدمنا

و ٤٠ بغلاً . ولما وضعت القافلة رحالها أخذ الخدمة يؤدون وظائفهم فالبعض منهم كان يشتغل بنصب الخيم والبعض بوضع الصناديق والأحمال ضمن الصواوين وترتيبها والبعض ذهب ليحتطب والبعض اشتغل بنقل الماء الى المطبخ

ونقل الماء والحطب هي خدمة ذات أهمية في القوافل التي تسير في هذه الفيافي لان القوافل مضطرة أن تنزل على بعد ٨٠٠ متر من الينابيع او الأنهار ابتعاداً عن أذى الحيوانات المفترسة كالأسد والنمر والذئب التي ترد على الماء ليلاً . أما الحطب فانه لازم جداً لطرد الحيوانات باشعاله ليلاً على أطراف القافلة فلا تقرب من محل نزولها . ويقوم الجنود والخدمة بالمناوبة بحراسة القافلة وبايقاد النيران على أطرافها فتخافها الحيوانات الوحشية فتهرب منها ولولا ذلك لهاجمتنا الحيوانات المفترسة وأتلفت كثيراً من البغال والبهائم التي ترعى قربنا

مرحلة (هرمايا) دورغو

ان رحلتي هذه اكتبها بطريقة يمكن للسائح في تلك البلاد اتخاذها كدليل له لذلك أرى من الواجب أن أصف مساكننا في هذه القفار فأقول :

ان مساكننا هي خيم وصواوين . عند نزول القافلة في محل تنصب خيمتي دائماً في وسط القافلة وتنصب على أطرافها باقي الخيم . وقد كنت اشتريت صيواناً كبيراً ذا عمودين حتى اتمكن من استقبال الزوار الذين يفدون عليّ ويمكن جعل قسم منه غرفة للنوم بحاجز من نفس قماش الصيوان . ولكون ذيول الصيوان الأربعة مربوطة به بواسطة نوع من العري والأزرار الكبيرة اي انها ليست مخيطة فيمكن للانسان أن يقفل الجهة التي يريد سدها بالنسبة لاستقامة أشعة الشمس والامطار أو الأرياح . والقسم الامامي منه يكون مفتوحاً دائماً ويرفع بواسطة عمودين صغيرين ليمنع أشعة الشمس من النفوذ الى داخل الصيوان . أما الداخل فانه مفروش ببسط من صنع تركية آسيا . ولا بد للمسافر في هذه البلاد من فرش البسط والطنافس داخل خيمته لدفع الرطوبة المتصاعدة من النباتات والحشائش ولاتقاء أضرار الهوام والحشرات المؤذية . ويوجد ما عدا ذلك بضعة كراسٍ يمكن فتحها واقفالها ليسهل نقلها ومائدة (تره بيزا) من جنس الكراسي وثلاثة كراسي من التيل المستعملة للجلوس في البواخر وحقائبنا المصنوعة من الجلد ذات غطاء تيلي . ولا بد للسائح في هذه البلاد من صناديق وحقائب وأربطة تلف بها الفرش ضمنها لا ينفذ منها الماء اذ أن الأمطار في البلاد الحبشية تسقط بكثرة عظيمة . وأما سكان البلاد فانهم يحافظون على متاعهم بوضع جلود الحيوانات الكبيرة عليها . هذا ويوجد في الصيوان غير ما ذكر في القسم المعد للنوم سرير خفيف الحمل مصنوع على هذا الشكل X يفتح

ويغلق ليسهل حمله معنا ومائدة (طاولة) صغيرة وحقائب الملابس وما أشبه . ويعلق الملابس والأسلحة والحقائب الصغيرة في المسامير الموجودة على عمدان الصواوين . وأما صناديق الزاد والذخائر فانها مستورة بطبقة من الزنكو لحفظ ما في داخلها من وصول الماء اليها

بينما كنت مشتغلاً بكتابة وصف مسا كننا اذ رأيت نساء ورجالاً من الأحباش مقبلين على محلتنا يحملون على رؤوسهم سلالاً وأوعية حتى اذا بلغوا المحلة استقبلهم أبو بكر وأتى بهم اليَّ ولما دخلوا الصيوان أدى الرجل الذي كان ماشياً امام الجميع السلام باحناء رأسه الى الارض فقال لي أبو بكر ان هذا الرجل شوم (عمدة) القرى الكائنة قرب محل نزول القافلة وانه أحضر (الدورغو) فقلت لابي بكر وما هو الدورغو ولمن أتى به ؟ فاجاب ان العادة في الحبشة ان يقوم الاهالي لتقديم ما يلزم من الزاد والذخائر لجنود وضيوف الامبراطور عند مرورهم على كل بلد من بلادهم ولكونكم أنتم خير ضيوف النجاشي فقد أرسلت السعاة لكل الجهات لاخبار الاهالي بقدومكم ليؤدوا الواجب عليهم في مثل هذه الاحوال . فقلت له اننا والحمد لله في غنى عن ذلك لا سيما وان لدينا من الزاد والمؤن ما يكفينا ذهاباً واياباً ثم امتنعت عن قبول الدورغو فقال أبو بكر ان كل ما يأتي به الاهالي ليس هو تكرماً منهم بل ان كل ما يقدمونه لضيوف النجاشي يحتسبونه من أصل الضرائب التي يؤدونها للحكومة اذن الدورغو هو من أموال النجاشي والحكومة فلا يليق والحالة هذه رد اكرام الامبراطور . فاضطررت حينئذ لقبول الدورغو . وكان أبو بكر يتكلم معي وعيناه ترمق الدجاج وسلال المؤن والمأكولات الموجودة على رؤوس النساء والرجال . ولما أفهم أبو بكر الشوم انني قبلت الدورغو انحنى هـذا امامي فاخذ يقول (ازكرا اصطلى دهناي اصطلي دجنو) وقد فهمت من حركاته وكيفية كلامه بانه يشكرني على قبول الدورغو . واستلم أبو بكر السلال من الاحباش فارسلنا قسماً منها الى المطبخ والباقي فرقناه على الجنود والخدمة . وأما الدورغو فانه كان عبارة عن دجاج

ونوع من الخبز المصنوع من حبوب رفيعة تسمى (دف) ومن البيض والعسل والسمن وكلها موضوعة ضمن سلال مستورة باقمشة حمراء . ولهم رسوم وعادات غريبة يجرونها عند تسليم الدورغو . ولم أستطع أكل خبزهم لانهم لا يضعون فيه ملحاً لذلك رجحت اكل البيسكوت الموجود معنا . وأما الجنود والخدمة فانهم أوقدوا ناراً وجلسوا على أطرافها فاكلوا الدورغو كله في أقل من ساعة فكان يكفيهم بضع دقائق لتجريد الدجاجة من ريشها وأدنأها من النار لحرق ما بقي على جسمها من الريش الصغير ثم اكلها والتهامها التهاماً .وكان الحاج يوسف الطاهي أشد شرهاً وأقوى معدة من الجميع اذ يأكل الشحم المستخرج من جوف الخاروف نيئاً ويتلذذ كأنه يأكل الحلواء مع انه أي الحاج يوسف كان سبق له السفر مراراً الى داخل أفريقيا مع بعض السياح ورأى آثار الترقي والمدنية حتى صار يعبر بلفظة (الاكوكا) عن البيض البرشت (المسلوق) و (كوتلاتا) عن اللحم المشوي و (ماقارونيا) عن المكارونا وغير ذلك من اصطلاحات المطابخ ولكن معدته التي ليس لها استعداد لقبول التمدن لم تقدر على ترك اكل اللحوم والشحوم النيئة

هذا وكانت الاشغال آخذة في الاستمرار بعد نزول القافلة وكنت ترى بعض المكارين يشتغلون بتمليع جلود الاخشاب التي توضع على ظهور البغال بنوع من الحجر الطري ثم يطليها بالزيت حتى تستكسب شيئاً من اللذوقة والبعض منهم يخبز والبعض يحفر الخنادق على أطراف الخيم منعاً لدخول المياه اليها ليلاً . أما خبزهم فانه في غاية البساطة والسهولة فلا يعرفون تجهيز العجين وتخميره ولا يجعلونه قطعاً مستديرة بل يأخذ القائم بالخبز مقداراً من دقيق الدف السابق ذكره من كشكول و يضعها في قصعة خشبية أو غير خشبية ثم يضع الماء على هذا الدقيق بيد ويخلطه أو يعجنه مع الماء باليد الاخرى حتى يصير الدقيق كعجين الكنافة والقطائف وبعد ذلك يأخذ من هذا السائل مقداراً بيده و يلقيه على الصاج (١) الموضوع على نار حامية ثم يجعل يطلي

(١) الصاج قطعة كبيرة من الحديد المرقق مستديرة محدبة توضع على النار فتحمى ويشوى عليها الخبز

الصاج طلياً حتى لا يتجمع الدقيق السائل في وسط الصاج وهكذا يخبز خبزاً غليظاً بقدر قطع القطائف ذا مسام كثيرة واذا لصق وجه العجين على الصاج يدخل الخابز عوداً من الشجر بين الرغيف والصاج و يرفع الوجه الملصوق و يقلبه على الوجه الآخر . وعلى هذا المنوال لا يمضى قليل من الزمن الا ويكون تحصل على كثير من الخبز من غير عناء . والآن أصف لك كيف يأكل المكارون طعامهم : يضعون امامهم طعامهم وجله من الفلفل الاحمر و يجلسون القرفصاء حول هذه المائدة و يضعون عليهم العباءة أو الرداء الكبير المسمى (شحما) حتى لا يراهم أحد و يأكلون بكل سكون وهدو من غير ان يسمع لهم صوت مستترين تحت هذا الغطاء . ولو لم أرهم بعيني وهم يستعدون للطعام لما كنت علمت انهم يتناولون طعامهم . وكيف يتسنى لي ان أعلم ذلك وليس امامي سوى غطاء كبير تحته أشباح تتحرك كأنهم حواة يقومون ببعض الالعاب الغريبة . ولما سألت عن سبب ذلك قيل لي ان الاحباش يأكلون طعامهم تحت ستار حتى لا تراهم عين فيصيبهم مصيبة من جراء ذلك . وكنت أرى الخادم عند ما يقدم لي شيئاً مثل القهوة أو الماء أو الطعام يخفيها تحت ذيله حتى لا يراها أحد كأنه مال مسروق وعند ما أتناولها ينشر رداءه أمامي منعاً لرؤية الغير

ولما سئمت من تكرر هذا الامر قلت للخادم يوماً ان العين لا تصيبني لأني أحمل في جيبي حجاباً وأن نظّارتى تقوم مقام الخرزة الزرقاء وأن بعض المشايخ كان قرأ على رقية تحميني من اصابة العين . فاقتنع حينئذٍ أنى لا أختنق عند الاكل والشرب ومن ثم أصبحت حراً في أن آكل وأشرب دون أن أتستر بذلك الستر هذا مع طلب أولئك الخدام والجنود الاحباش ان نأكل ولو داخل الصيوان ان لم يكن تحت الستر مع أن تناول الطعام في تلك الحقول الزاهرة والبرية الواسعة في ذلك الطقس الجميل والهواء المعتدل البليل يزيد الانسان نشاطاً ويفعم قلبه سروراً و يعطيه صحة وعافية فما أغرب عادات أولئك الناس وما أقبح بالعقل الاستسلام لمثل تلك الأوهام

و بعد الفراغ من تناول الطعام أخذت الحركة في القافلة تقل شيئاً فشيئاً حتى نام الجميع ما عدا الديدبان (الخفراء) القائمين بحراسة القافلة وايقاد النيران حولها . وكنت كلما استيقظت أنهض لأتحقق بنفسي ان كان الحراس قائمين بواجباتهم أم لا

يوم الاحد ١٦ مايس (مايو) مرحلة قارحة

بيو بيو بيو ! — المطر الشديد في الطريق — رداء لاتقاء المطر عند الاحباش — زيارة الحيوانات الكاسرة ليلا —

ولما أصبح الصباح أخذ الرجال في نزع الصواوين وجمع الحقائب والصناديق استعداداً للرحيل أما أنا فاجتمعت مع بعض رفاقي وذهبت الى المطبخ وجلسنا الى النار لشرب القهوة وتناول قليل من مرق اللحم وكان الطاهي مشغولاً بوضع آنية المطبخ في الصناديق وكانت بقية من الحساء (الشوربا) باقية في القدر فأراد الطاهي صبها على الارض فتقدم اليه أحد الخدم وأخذ منه القدر وصبه في وعاء من القرع يستعملونه لحمل الماء بدل الجرة فالتف عليه الخدم والجنود وأخذوا يشربون الماء من القرع كل واحد بدوره وهم يرقصون ويغنون ويضحكون حتى نفد ما في القرع

ان الصغير في هؤلاء الخدام لا يقل عمره عن ١٩ سنة ومع هذا فهم كالاطفال ليس في قلوبهم أثر للغم ولا يزالون في ضحك ولعب بحيث لا يتركون من وقتهم ساعة تمر بدون ايجادهم سبباً للهزل وفي الساعة السابعة ونصف أتموا تحميل الاثقال وسارت القافلة قبيل الساعة الثامنة . ومن عادات المكارين هنا ان لا يركبوا بل يمشون ويحملون أيضاً شيئاً في أيديهم من متاع المسافرين أو السياح والناس المعروفون مثلنا لا يحملون أسلحتهم بل يحملها الخدام لهذا كان خدامنا يمشون امامنا وواحد يحمل السيف والآخر يحمل البندقية وغيرهم يحملون الماء والكؤوس والآنية التي يحفظ فيها طعام المسافر الذي يحتاج اليه في الطريق (مطبقية) وحامل السلاح يمشي قرب سيده فاذا لاح له شيء من الطير أو غيره مما يصاد من الحيوانات يقدم له البندقية في الحال فاذا أصاب طيراً أو غيره يهرع الخادم اليه هو والشبان من المكارين فيأتون به

هـذا ومن لم يجد منهم شيئاً يحمله يأتي عمود الخيمة ويرفعه على كتفه و يعلق في رأسه كوز الماء و يسير كأنه حامل علماً والقصد من ذلك ان يعود نفسه على حمل الاثقال و يخفف جانباً من الحمل عن بغله

وكانت الاراضي والحقول التي كنا نمر منها في غاية الخصوبة وقوة الانبات وكذلك الضياع والمزارع التي كنا نراها بكثرة تدل على نمو العمران كما هو الحال في كل أراضي هرر

وفي الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ نزلنا تحت شجرة عظيمة وارفة الظل تشبه شجر الجوز وقشورها تشبه قشوره

ولورقه رائحة كرائحة ورق الجوز لذلك حكمنا على ان هذه الشجرة هي شجرة جوز برية . وكان عليها وعلى غيرها من الاشجار كثير من الطيور كالعصفور الاصفر المسمى (كاناريا) والبلبل والشحرور وكلها تغرد باصواتها الجميلة كما اننا سمعنا صوت طير غريب لم نسمع قط صوته قبلاً وكان يشبه نغم البيانو . ولم نر هذا الطير نفسه لانه كان مستتراً باغصان الشجرة الكثيفة وانما بالنظر لصوته الذي كان يصل الى مسامعنا كأنه يقول (بيو بيو بيو بيو) سميناه طير (بيو بيو)

بقينا في هذا المحل نستريح الى الساعة الواحدة بعد الظهر ثم رحلنا بالبغال الحاملة للاثقال والصناديق تركناها ورائنا بالنظر لبطئ سيرها وسرنا ومعنا الخدم والجنود فمرت البغال المذكورة بنا ونحن جلوس تحت الشجرة السابقة الذكر . وعزمنا ان نفعل هكذا من الآن وصاعداً

و بينما نحن سائرون في هـذه الجهات غيمت السماء ثم أخذ المطر يسحّ مدراراً و يكاد البرق يخطف الابصار والرعد يصم الآذان ولم يلحق بنا ضرر من المطر لأن اكسيتنا مستعدة لمثل ذلك ورأيت الخدام والعساكر تسيل مياه المطر من أطرافهم فقلت لاحدهم أخشى ان تمرضوا من الرطوبة فاجابوا وهم يبتسمون اننا نبتل بالماء خمس مرات في اليوم ونتشف خمس مرات اننا تعودنا هذا الحال . ينزل المطر فتبتل

ملابسنا ثم تطلع الشمس فتنشفها وصحيح ما قاله فان المطر يأتي في هـذه البلاد فجأة و ينزل بشدة غريبة و بعد نصف ساعة من الزمن تنقشع السحب وتظهر الغزالة ومع ذلك كنا نرى بين المسافرين الاحباش من يستعدون بملابس خصوصية للمطر فالبعض يلبسون جوخاً ولباداً والبعض يلبسون مشمعاً والبعض واضع على رأسه الكوكولانه والبعض على رأسه وظهره جلد نمر أما الكساء المصنوع لديهم من اللباد فلا يشبه ما نستعمله نحن في بلادنا بل هو أشبه بشكل مخروطي كبير له شق يمر من الرأس في الاوقات غير الممطرة و يرفع قسم هـذا الشق الى الوراء و يكون كرأسية المشمع وعند نزول المطر تلبس هذه الرأسية في الرأس و ينزل الشق امام الوجه

وأما الاكسية المصنوعة من الجوخ أو القماش الذي لا ينفذ منه الماء فهي أحسن انتظاماً من الاولى المار ذكرها و يلبسها الاكابر وقد رأيت في هرر قينازماج جنمي وغيره من الاكابر مرتدين بهذه الاكسية المانعة لنفوذ المطر الى الداخل . بعد ان سرنا نصف ساعة تحت المطر الشديد وصلنا الى مراع واسعة فوجدنا مكارينا قد سبقونا اليها ونزلوا فيها . فوبختهم على نزولهم قبـل الاوان ولكن ما الفائدة وقد سبق السيف العذل ونزعت الاحمال من على ظهور البغال ومن عادة هـذه البلاد ان لا تعطي البغال وقت السفر عليقاً بل تأكل ما تجده في الطريق من الكلاء ولذلك سكت مضطراً

وهذا المكان تحيط به هضاب جميلة ولكن كان كثير الرطوبة لذلك اضطررنا ان ننقل الخيام والصناديق الى محل آخر واقع على سفح هضبة تبعد عن المحل الاول بمسافة ٨٠٠ متر . ونقل المكارون الخيام والامتعة على ظهورهم حتى لا يمنعوا البغال من الرعي .

ولما أرخى الليل سدوله أخذت الحيوانات البرية كالذئاب وابن آوى والضباع تحوم حول القافلة من غير ان تقترب منا ولكنها أزعجتنا طول الليل بصراخها وعويلها . وقد أعطينا لمحل نزولنا اسم مرحلة قارصة لقربها من ضيعة مسماة بهذا الاسم

يوم الاثنين ١٧ مايو (مايس) مرحلة بككا

موكب الشروق — انواع كثيرة من الشجر والطيور — المعز الذي يعزق الارض — تلغ ن من غير سلك — الزهور البرية — مناظر بديعة — فائدة الدواء المسمى (آنتي ديسانتريكوم) — الزائرون في الليلة الماضية

قمنا اليوم من النوم باكرًا وبينما كنا نشرب القهوة ونتناول المرق ونسرح الطرف في تلك الحقول البديعة التي تحاكي الجنان ونتأمل في طلوع الشمس اذ رأينا سرب نساء من الفالا يبلغ عددهن العشرين سائرات في الحقول البعيدة وصوت غنائهن واصل الينا وبعد السؤال علمنا ان هؤلاء النسوة ذاهبات الى أشغالهن في الحقول. وفي هذه الاثناء أشرقت الشمس من وراء الاكمة ونشرت أشعتها النيرة على نسيم الصباح الرطب. فكان المنظر الحاصل من لطافة الهضاب والاكمات المخضرة كقطع الزمرد ومن شروق الشمس وغناء النسوة السائرات في الغيطان بهيجًا بديعًا للغاية ليس في قدرة أحد وصفه ما لم يكن شاعرًا بليغًا أو مصورًا ماهرًا. ويرى الناظر الى هؤلاء النساء المكتسيات بجلباب بسيط الحافيات الاقدام الماشيات على الحشائش الخضراء ان صحتهن أجود بكثير من صحة بنات الحضر المترفات المتنعمات بلذائذ التمدن ولا أخطئ اذا قلت انهن أنعم بالاً وأسعد حالاً من هؤلاء المتمدنات المنغمسات بانواع الملاذ والنعم

وفي الساعة الواحدة تم تحميل الاثقال فقامت القافلة سائرة في طريقها. وهنا يجب ان أشير الى صعوبة تحميل ما معنا من بعض الصناديق على البغال فانه كان يستغرق اكثر من ساعتين لان المكارين كبقية أبناء جلدتهم لا يعرفون ما هو الاستعجال فليس للوقت والزمان قيمة عندهم فاذا قلت لهم (هلموا استعجلوا) تراهم يضحكون لهذه الكلمات ولا ينحرفون عما يعرفونه ولو تركناهم على حالهم وكسلهم

ولم نجبرهم على تحميل الاثقال امام أعيننا لقضي معظم النهار قبل ان نقوم من هذا المحل الذي أحبه المكارية لكثرة نباتاته وحشائشه .

بعد ان سرنا مدة في أراض مزروعة أخذنا نتسلق اكمات جبل (قلوبي) فصرت أرى نفسي كأني في جبال سويسره أو جبال الاناضول (آسيا الصغرى) وغاباتها وكنا نرى من أشجار الراتينج والصنوبر ما يزيد طولها عن ٢٥ متراً ومن أشجار العفص ما ينيف طولها على ١٥ متراً ومن أشجار الزيتون والجوز ما يزيد جسامة عن جسامة الدلب . والارض تحت هذه الاشجار مستورة بطبقة خضراء من الحشائش كالزمرد . هذا غير الاشجار الغريبة الجنس التي ما كنا لنعلم أسماءها . وأصناف الطيور التي تتطاير على أغصان هذه الاشجار كثيرة كأصناف الاشجار وكلها تغرد باصواتها اللطيفة و بالجملة فكان يد القدرة خلقت هذه الغابات لتكون معرضاً أو انموذجاً للاشجار والطيور

وما كنا نحتاج لفتح المظلة بالنظر لعدم نفوذ أشعة الشمس التي كنا لا نراها الا من خلال الاغصان من حين الى حين

و بعد أن سرنا ثلاث ساعات ونصف وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات قليلاً ودخلنا بين حقول ذرة نزلنا تحت بعض أشجار الراتينج وجلسنا على الطنافس التي كانت معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعية . وكنا نرى كثيراً من المعز ترعى بين هذه الحقول والغريب من هذه المعز أنها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل كل ما تجده من الحشائش الطفيلية النامية من نفسها بين الذرة . و بذلك ترعى وتتغذى من جهة وتخدم الحقل والزرع من جهة اخرى . وقد علمت ان هذا الجنس من الماشية قد تعوّد ذلك . كنا نتناول طعامنا ونتأمل أسراب المعز بين حقول الذرة وقطعان البقر والغنم والحمير التي كانت ترعى في المراعي الطبيعية ونسرّح الطرف في الاشجار وما عليها من الطيور الغريبة الاصناف ونتفرج على نفر من أولاد الفالللا كانوا يسبحون في بركة ماء قريبة منا

وبينما نحن كذلك اذ مرّ بنا قافلتان الواحدة آتية من آديس أبابا وذاهبة الى الساحل والاخرى آتية من هرر وذاهبة الى العاصمة . وكان محمول القافلة الذاهبة الى آديس ابابا عبارة عن ألواح من معدن الزنكو ذات تكاسير يصنع في اوروبا لتغطية سطوح المنازل مع كثير من القضبان الحديد . لان الناس في آديس ابابا أخذوا يبنون المنازل على الطراز الحديث فصاروا يغطون سقوف المباني بالألواح المعدنية بدلاً من الحشائش والاغصان اليابسة وقد رجحوا هذا المعدن لخفته . أما القافلة الآتية من العاصمة فانها كانت تحمل حاصلات وطنية مثل العاج وجلود الحيوانات وشمع العسل وما أشبه . وسمعنا شخصين يتكلمان بأعلى أصواتهما الواحد من اكمة والآخر من اكمة أخرى وكان بين الاكمتين مساحة لا تقل عن الساعة . وتوجد هذه العادة في جبل لبنان أيضاً حتى ان سكان هذا الجبل يكلم بعضهم بعضاً من مسافات أبعد فالأحباش بواسطة هذا التلفون اللاسلكي ينقلون الاخبار من اكمة الى اكمة ويوصلونها الى مسافات بعيدة

مكثنا هنا مقدار ساعة ونصف تناولنا في خلالها طعامنا وسرّحنا الطرف في مناظر الأطراف البعيدة واسترحنا ثم استأنفنا السير وعدنا للتسلق على الاكمات وكانت الاشجار تكبر وتتكاثف كلما تقدمنا الى الامام حتى ان الاغصان وأوراق الشجر الكثيف منعت نفوذ أشعة الشمس فاحتجبت عنا . وبعد قليل مررنا من شمال ذروة جبل قلوبي الشاهق وعلى حذائه ورأينا منزلاً مشيداً على القمة هو للرأس ما كونن . ولهذا الرأس كثير من هذه المنازل بناها في المحلات الجميلة الواقعة تحت ادارته بين عاصمة الحبشة وبين هرر حاضرة ولايته لتكون معدة لنزوله فيها في أسفاره الى آديس آبابا او وقت خروجه الى الصيد والقنص او عند تجواله في ولايته ليستطلع أحوالها ويحقق امورها . ويوجد في كل منزل من هذه المنازل بضعة خفراء لحراسة المحل وفي بعض المحلات المساعدة يتبع المنزل مزرعة الرأس أيضاً

وقد بلغنا في صعودنا هذا ٢٥٠٠ متر من الارتفاع عن سطح البحر فكنا عند

ما يقل تكاثف الاشجار وننظر من جهة يميننا نرى على مد البصر صحاري عبسسا ودانقالي المنتهية لسفح جبل قلوبي الذي نحن عليه . وكلما شاهدنا هذه المراعي المنحطة كنا نعلم اننا ارتفعنا جداً عن سطح البحر . وكان طريقنا عن اليمين وعن الشمال مزيناً بالازهار البرية على الاخص نوع من الياسمين البري المتساق وله رائحة حادة مسكية يعطر مشامنا

وما كنا نراه على طريقنا من بقع من الغابات التي اكلتها النيران وأتلفت ما فيها من الاشجار يدل على ان سكان هذه الأرجاء لا يعرفون مقدار قيمة الثروة الطبيعية التي يملكونها وكنا نصادف في طريقنا أسراب طيور تسمى (بيج) وهو بجسامة ديك الرومي فاصطدنا منها جملة

**

وصلنا الى بقعة خضراء محاطة بهضاب مستورة بأشجار الراتينج وعلى أطرافها كثير من الحقول المزروعة ذات منظر بهيج وكانت الاكمات المغطاة باشجار الراتينج قائمة الواحدة تلو الاخرى كدرجات سلم ترتفع كلما بعدت عنا . نزلنا في هذا المحل و بعد ترتيب محل القافلة بساعة وصل (الدورغو) فاستلمها ابو بكر بكل عظمة من غير أن يخبرني هذه المرة و بعد أن عاين ما ورد من المأكولات توجه الى الشوم (العمدة) فتعطف بملاطفته وفي هذا المحل أصيب أحد مكاريتنا بآلام شديدة في معدته لكثرة ما اكله من اللحم او الشحم النيء على ما أظن وصار يتمرغ فوق التراب من شدة الاوجاع . فذهبت وأحضرت له قدحاً من الأدوية التي كانت موجودة في أجزاخانتي النقالة فشربها و بعد قليل زالت عنه الآلام واستراح ولكن أصابه اسهال شديد ما قدرت على قطعه الا بواسطة حبوب (ديسانتريكوم) التي كنت أحضرتها معي . وقد جرّبنا هذا الدواء في كثير من أنواع الاسهال الشديد والديسانتري فرأينا منه خاصية شافية خارقة للعادة فأوصي كل من يصاب بهذه الامراض ان يستعمل الحبوب المار ذكرها

اذا أصيب أحد اهالي هذه البلاد بمرض يرجع الى عناية الرجل الابيض لأن الابيض في نظرهم طبيب وجراح ومقتدر على كل شيء ومع ذلك كله فانهم يكرهون لونه واذا غضبوا عليه يسبونه قائلين (تاج اولاج) اي المملوك الابيض . وبالجملة ان لون الابيض مكروه جداً خصوصاً عند السود من أهالي أواسط افريقيا لعدم ألفة أبصارهم هذا اللون فيظن البعض منهم ان الانسان الابيض انما ابيضّ لأنه ولد من غير أوانه أي قبل ان ينضج في بطن أمه والبعض منهم يذهب الى ان البياض في الرجل الابيض ليس هو الا نتيجة مرض أصابه فغير لونه الاسود الطبيعي

هذا وقد زادت جراءة الضباع هذا المساء حتى صارت تحوم حول منزل القافلة ونحن جلوس على المائدة واقتربت من القافلة جداً حتى لم يبق بيننا و بينهم الا قدر عشرين متراً فقط وكانت أصواتها المزعجة واصلة الى السماء كل ذلك مع وجود النيران الموقدة على أطراف منزل القافلة . وأخذ الحراس طول الليل يطردونها بالعصي كما يطردون الكلاب ولما طال هذا الحال خرجت من خيمتي وأطلقت البندقية مراراً فابتعدت عن القافلة ولكننا كنا نسمع طول الليل أصواتها حتى مطلع الفجر . ويظهر انها كانت تنتظر رحيلنا من هذا المحل حتى تأكل ما تجده من فضلات القافلة

يوم الثلاثاء ١٨ مايس (مايو) مرحلة جالنقو

القرود — حمل الاولاد في السكيس

——

بينما كنا في الصباح نتهيأ للرحيل اذ وفد علينا رجل ممتطياً بغلة وعلى جنبه سيف قرابه من القطيفة ووراءه خادمان ووقف أمامنا و بعد ان انحنى مراراً للتسليم علينا قال انه هو الاتومجي وانه يرجونا الذهاب لعنده لننزل ضيوفاً عليه هذا المساء فشكرناه على انسانيته هذه واعتذرنا اليه و بعد ان ودعناه استأنفنا السير في الساعة الاولى واخذنا نصعد جبل (ايللا تككي) ونسير بين أدغال وغابات كثيفة جسيمة جميلة جداً مهما وصفها الانسان لا يقدر على وصفها حق الوصف . ورأينا في هذه الغابات قطعاناً كثيرة من القرود تثب من شجرة الى أخرى وتصوت بأصوات عجيبة وتنظر الينا بنظر غريب . والحاصل اننا قطعنا المسافة من هرر الى هنا كأننا سائرون في بستان واحد او مزرعة كبيرة . ولو لم تكن وعورة المسالك وطلوعها ونزولها لما كان هناك شيء يشكو منه المسافر وكل البلاد التي مررنا بها آهلة بالعالم وزاهية بآثار العمران

ومع نظافة غابة (ايللاتككا) هذه وجمالها فان لها من الاخطار ما يدهش الانسان فان الانسان اذا حاد عن الطريق يمنة او يسرة ودخل بين الادغال يقع في تهلكة الحيوانات الكاسرة كالأسود والنمور وما أشبه

أما الاسود والنمور فكأنها تعرف انجلودها مما يرغب فيه لذلك تراها لا تخرج كما تخرج الحيوانات الصغيرة الاخرى الا نادراً بل تكمن في نقطة من الطريق بين الادغال والاغصان والنباتات حتى اذا مرّ شخص وحده تهجم عليه وتفترسه ثم لانها تذهب الى موارد الماء ليلاً تبتعد القوافل دائماً في منازلها عن ينابيع الماء والانهار

وصادفنا في هذه الغابة قافلة ذاهبة الى هرر حاملة كثيراً من البن

و بعد ان سرنا ساعتين نزلنا في بقعة تشرف على مراعٍ واسعة ومروج زمردية اللون من كثرة الاعشاب والحشائش وجلسنا على الطنافس التي فرشت تحت الاشجار الجسيمة نستريح قليلاً و بينما كنا نتناول طعامنا اذ مر بنا بضع نسوة فاستوقفت نظري مخلاة معلقة على ظهر احداهن وفيها طفل صغير فعلمت ان النساء الحبشيات يحملن صغارهن على ظهورهن ضمن مخلاة ولا يفارقنهم قط في ذهابهن وايابهن وقيامهن وجلوسهن

وعلى هذا المنوال ينمو الطفل على جسم والدته كما ينمو الغصن الصغير على الشجرة. والناظر لا يرى من الطفل سوى الرأس الذي لا تؤثر الشمس عليه قط مع ان الابيض لا يقدر على الوقوف في الشمس خمس دقائق من غير مظلة . لان شمس هذه البلاد مؤثرة جداً فاذا أصابت الانسان بضربة منها يلتهب الدماغ و يقضى على المصاب في الحال . واذا بكى الطفل اثناء سير الأم فانها تسحب المخلاة اما على اليمين أو على الشمال وترضعه وهو في كيسه و بعد الفراغ من ارضاعه تنتفض فتذهب المخلاة الى محلها القديم على ظهر المرأة

سرنا بعد الطعام مسافة ساعة ثم وصلنا الى مرجة خضراء واسعة تدعى جالنقو تحيط بها هضاب ذات أشجار كثيرة ونزلنا بها وقد كان عبد الله الذي مر ذكره انهزم في حربه مع الاحباش في هذا المحل . ورأينا طابية حربية باقية من زمن المصريين مبنية على اكمة واقعة ازاء هذا المحل . وهنا قام الاتومجي باكرامنا غاية الاكرام . وقد أخذ البرد يشتد ليلاً يوماً عن يوم حتى اني اضطررت ان أدفأ داخل الخيمة بالنار لأزيل الرطوبة فكنا نشعل الحطب خارج الخيمة حتى اذا صار جمراً ندخله الى الخيمة .وقد أزعجتنا الذئاب والضباع بصراخها وعوائها طول الليل ولكن أخذنا نتعود ذلك كما يعتاد الانسان عواء الكلاب

يوم الاربعاء ١٩ مايس (مايو) مرحلة دررو

بوركا — فتك الوباء البقري — التلفون والتلغراف — طعامنا

———

ولما أصبحنا أخذنا في الاستعداد للرحيل وسلمنا الصناديق والحقائب للمكارية وقمنا في الساعة الثانية عشرة عربيـة وصرنا نسير تارة بصعود وطوراً بنزول الى ان قطعنا مرجة واسعة وكانت المناظر جميلة جداً كالسابقة من حيث الاشجار الجسيمة ذوات الظل اللطيف والمراعي الواسعة والسفوح المزروعة وما فيها من الحيوانات الاهلية والقوافل السائرة ذهاباً واياباً

وتسمى هـذه الارض التي نقطعها الآن (بوركا) وكانت قبلاً اكثر عمراناً وسكاناً ولكنها فقدت جانباً عظيماً من عمرانها وسكانها من فتك الوباء البقري الذي كان تفشى في البلاد الحبشية عام ١٨٩٠ وأورث البلاد خسائر جمة . وكان أول ظهور هذا الوباء القتال في ولاية تيغري وسرى الى جميع الاقطار الحبشية ما عدا بعض المحلات (وبوركا) هذه هي المقاطعات التي فتك فيها فتكا ذريعاً وأباد جميع أبقارها فلم يجد السكان المواشي اللازمة لحرث حقولهم وزرعها . فقامت الحكومة في السنة الاولى ببعض ما يلزم من الحبوب لمعيشة الناس ولكنها لم تقدر في السنة الثانية على مد يد المساعدة لهم فلذلك أصابهم القحط وبسبب الجوع تفشى مرض التيفوس والجدري والكوليرا فابادت كثيراً من السكان حتى اني سمعت من بعضهم بان الذين سلموا من الامراض كانوا ضعافاً نحافاً حتى ان الاسود والنمور والذئاب كانت تهجم على القرى وتفترس الرجل امام بقية السكان ولا يقدر أحد من هؤلاء على المدافعة لعجزهم

وبعـد ان سرنا ثلاث ساعات نزلنا تحت ظل بعض الاشجار وتناولنا طعامنا

والطيور تشنف أسماعنا بالحانها حسب المعتاد . واسترحنا مقدار ساعة ثم استأنفنا السير الى ان وصلنا الى (دررو) . وهـذا المحل واقع على اكمة خضراء كسائر الهضاب التي مررنا بها مستورة بالاشجار . وقد وجدنا هنا مركزًا للتلفون وترتبط هرر بثغر جيبوتي بواسطة سلك برقي (تلغراف) من جهة و بعاصمة الحبشة بسلك آخر من جهة أخرى . و يوجد في مكاتب آديس أبابا وهرر وجيبوتي البرقية عدد للتلفون غير عدد التلغراف و بذلك يتسنى للاهالي وخصوصاً للتجار ان يكلم بعضهم بعضاً عند ما يكون الجو صافياً والطقس مساعدًا وأما المراكز الصغيرة الموجودة بين المدن الثلاث المذكورة فليس فيها سوى عدة تلفون فقط وفي كل مركز يوجد موظف . ومن شاء ان يكلم أي مركز من مراكز التليفون فما عليـه الا ان يدفع ريالاً واحدًا لمدة عشر دقائق

واذا لزمت المخابرة بالتلغراف بين المدن الثلاث المار ذكرها فان المأمورين الموجودين بمراكز التليفون المتوسطة تفتح لها طريق المخابرة ومع ذلك فان المخابرات ليست على ما يرام من السهولة لبعد المسافة ولعدم اطراد الطقس والجو قرب آديس أبابا وكثرة حدوث الانواء الشديدة وسأذكر مكتب التلغراف وأصفه باسهاب بعد وصولنا الى آديس أبابا وزيارة هذا المكتب

أما مركز التلفون في هذا المحل فانه عبارة عن كوخ مثل سائر اكواخ الاحباش جدرانه الاربعة البالغ ارتفاعها أربعة أمتار مبنية من أشجار شائـكة (سياج) على شكل دائرة وأركز عمود في وسط الكوخ كعمود الخيام ومدد من هذا العمود عواميد أخرى واصلة الى الحائط وربطت مع بعضها بخيوط مصنوعة من النباتات المعرشة وغطي هذا السقف بالنباتات والحشائش الرفيعة ويشبه هذا الكوخ في شكله خيمة ذات أطراف واسعة وللكوخ أطراف بارزة من الأعلى لمحافظة الحيطان وباب يغلق ويفتح

والارض في داخل الكوخ مفروشة بالنباتات والحشائش اليابسة حيث يوجد

مقعدان الواحد لجلوس الشخص الذي يريد التكلم والآخر لمستخدم المحل

ويرى الداخل الى الكوخ في ركن من أركانه كثيراً من الاسلاك والفناجين المصنوعة من الخزف الابيض لوضعها على رؤوس العواميد لابعاد التيار الكهربائي عن كل ما يلامسه

وبعد ان قضينا ردحاً من الزمن بالكلام وتناولنا عشاءنا انسحبنا الى خيمتنا للراحة والمنام . ربما يوجد بين القراء من يسأل عما كنا نأكله في طريقنا لذلك رأيت ان أدرج هنا أسماء الاطعمة التي كنا نتناولها :

كان طعامنا وقت الظهر يؤخذ من طعام المساء ويوضع في المطبقيات (طاسات) وهكذا يحفظ لليوم الثاني . أما طعامنا هذا فكان مؤلفاً من شوربة عدس وكستلتا من لحم الضاني بالبطاطس ودجاج محمر وكفته شامية (كبيبة) محمرة وخشاف البرقوق وزيتون وجبنه

يوم الخميس ٢٠ مايس (مايو) مرحلة (طوللو)

حفظ المزائع في الطريق — الآنية الموضوع فيها الذخائر — القرى في هذه الجهات — المطر الشديد — رحلة الرأس من محل الى محل — الاكواخ الوقتية —

لم يمر من الليل قليل حتى علمنا من شدة البرد اننا في ارتفاع زائد جداً عن سطح البحر. ولما أصبحنا وجدنا ضباباً كثيفاً غطى كل الاطراف حتى ان الانسان يستحيل عليه ان يرى أمامه من مسافة عشرين متراً . وقام المكارية الذين كانوا عكوفاً أمام النيران المشتعلة يديرون تارة وجوههم الى النار وطوراً ظهورهم ليدفئوا أنفسهم وأخذوا يحملون الاثقال ولما كملوا تحميلها سارت القافلة وكان وقتئذ قد انقشع الضباب قليلاً . وانحدرنا من الجبل الواقع عليه (دررو) ومشينا في صحراء (بوركا) مدة ساعتين . وهذه الصحراء مستورة كلها بالخضرة والاكمات والجبال المحيطة بها كانت مزينة بالأشجار . وفي منتصف الساعة الرابعة وصلنا الى نبع ماء يسمى (بوركاماچللا) وقد وجدنا هذا المحل من ألطف ما يكون وهو واقع على سفح جبل وينابيع الماء الصافي تحت ظل الاشجار الكبيرة تشكل حوضاً طبيعياً . ولكن ويا للأسف لم نقدر على النزول او الوقوف هنا لاننا وجدنا الماء معكراً تعكيراً شديداً من كثرة الجواميس النازلة تستحم فيه والنساء الحبشيات اللاتي يغسلن ملابسهن وحوائجهن وصار الحوض كأنه بركة من طين فاضطررنا ان نبتعد وننزل تحت أشجار واقعة على بعد ٣٠٠ متر من هذه الينابيع . ولم تكن المراعي التي امامنا عارية من الشجر بالمرة بل كانت الاشجار ترى فيها متفرقة هنا وهناك وفي بعض المحلات كانت آخذة هيئة غيضة كبيرة . وكان على الشجرة التي نزلنا تحتها سرب من النسور العظيمة يبلغ عددها عشرين او ثلاثين وتناولنا طعامنا واسترحنا قليلاً وكان في مائدتنا زيادة على المأخوذ

من طعام مساء البارحة عجة لطيفة عملها الحاج يوسف . وهذا الطاهي ما كان يذهب معنا كسائر الخدم بل كان يسير وراءنا راكباً بغلة واذا نزل لاجل الغداء ينزل حالاً ويضرم النار ويقوم بكل ما يلزم لاحضار طعام الغداء لنا

وكلما نزلنا للغداء ندع البغال تسرح في تلك المراعي التي لم تنقطع الى الآن على طول الطريق

وبعد استراحة ساعة واحدة استأنفنا السير ووصلنا الى نهير آخر يسمى كسابقه (بوركا) ايضاً . وكان لجريان ماء هذا النهر خرير عظيم لشدة ميل مجراه وانحدار المياه منه وهي تكفي لادارة بضع أحجار طاحون وتتبعنا مجرى الماء المذكور مدة نصف ساعة ثم قطعناه عرضاً الى الضفة الاخرى وأخذنا نصعد الى اكمة (طوللو) التي ستكون مقر القافلة في مرحلتنا هذه وبلغناها في الساعة السابعة ونصف وكان ارتفاعها عن سطح البحر (٢٢٠٠) متر . وبعد ان ضربنا المضارب أخذنا نتفرّج على الاطراف ، ونسرح الطرف في الاكناف ، التي كانت عبارة عن زمردة خضراء والمراعي الجميلة تمرح فيها قطعان مواشي الضياع القريبة منها وتسرح . ولم تكن منازل القرى هنا ملتصقة بعضها ببعض بل كانت الاكواخ متبعثرة ضمن الاشجار بين الواحد منها والآخر مسافة كبيرة . واكواخ قرية (طوللو) ليست كسائر الاكواخ ترى من بعيد بل لا تظهر للعين الا بعد أن يصير المسافر بجانبها وذلك لاختفائها بين الاشجار

كان طول النهار يوجد ثقل شديد في الطقس والجو مما يدل على قرب سقوط المطر وفي الواقع قرب الساعة التاسعة سحّ المطر والبرد مدراراً . وكانت الخيام الموجودة معنا التي اشتريناها من الاستانة مبطنة من الداخل ببطانة قوية وغليظة وقد كنا أخذناها على شرط ان لا ينفذ الماء منها ولكن لشدة أمطار هذه البلاد لم تكن تكفي لمنع دخول الماء الى داخل الخيمة بل في برهة قليلة أضحت كبركة ماء ويجب علينا ان نتحمل جفاء الطبيعة هذا كما كنا نتمتع بصفائها ولطافة مناظرها

كنا نرى قطيعاً من الغزلان يرعى على الجبل الواقع امامنا وكانت هذه الحيوانات على غاية من الخوف والوجل لانه كان الرأس ما كونن قدمر من هنا قبل أسبوعين فاحاطت رجال حاشيته بهذا الجبل وطردوا الغزلان منها الى السهل واصطادوا ١٥٠ منها فالباقي كان لذلك وجلاً جداً . وعند ما يقوم أحد الرؤوس في البلاد الحبشية راحلاً من محل الى محل ينضم اليه سكان البلاد التي يمر منها نساء ورجالاً كباراً وصغاراً وعلى هذا المنوال يجتمع بمعيته ألوف من الناس وزد على ذلك الذين يأتون الى قافلة الرأس كل يوم مساء (بالدورجو) أي الاتاوة بقطعانهم وحيواناتهم وذخائرهم فمن ذلك يكون محل نزول الرأس كمحشر . وليس لهؤلاء الناس خيام سوى بعض أفراد من أكابر رجال الرأس وأما الباقون فانهم يصنعون لانفسهم اكواخاً في غاية البساطة من بعض أغصان الاشجار يغرزون أسفلها في الارض على شكل دائرة صغيرة . ثم يوصلون القسم الأعلى من الاغصان مع بعضها فيربطونها معاً ثم يغطون أطراف الكوخ وأعلاه بالنباتات المجففة . ويسهل جداً لكل واحد صنع كوخ في الحال لكثرة الغابات والاحراش . وعند قيام القافلة وتحركها تبقى تلك الاكواخ على حالها . لذلك كنا نرى على طريقنا كثيراً من هذه الاكواخ الخالية المتروكة في المحلات التي نزل بها الرأس المشار اليه

هنا وقف أحد المكارين وأخذ ينادي بأعلى صوته رجلاً كان على مسافة بعيدة قائلاً « بوغا كي بوغا كي هو » وكلما كرر الاسم ثلاث مرار يأتي بكلمة هو مرة فذكرني هذا النداء العادة المتبعة عند نساء الاستانة حيث تقول احداهن عند ما تنادي جارتها (فلان هانم هو) وأظن ان هذه القاعدة أتى بها الجواري الحبشيات ولقنتها السيدات في الاستانة

استمر نزول المطر ساعة ونصف ثم انقطع فتمكنا حينئذ من القيام بامور المطبخ وكان هذا المساء طعامنا شوربة ارز ودجاجاً بالبسلة ومحمر الطير المعروف باسم (طرغل) ومقارونا مصنوعة مع البطاطس وكبد الدجاج ومنقوع القمر الدين . وقد ورد لنا

هذا المساء قصب سكر مع الدورغو

وكانت الرطوبة شديدة جداً حتى اني اضطررت ان أدخل لخيمتي من جمر النار لازالة الرطوبة والتدفئة من شدة البرد وقد زدنا هذه الليلة اضرام النيران لكثرة الوحوش الكاسرة في هذه الارجاء وكنت قلما أصحو من النوم ليلاً الا وأحقق بنفسي هل النوبتجية قائمون بوظائفهم أم لا

يوم الجمعة ٢١ مايس (مايو) مرحلة ديبه سو

قرود ذات شعر — سقوط الخيمة عليّ

ولما أصبحنا أخذنا نستعد للرحيل وسلمنا الصناديق الى المكارية الذين كانوا يحملون الاثقال بين ضجيجهم الذي لا نهاية له . و بعد اتمام التحميل أخذنا في السير وكنا نلاحظ ان القرى والاراضي المزروعة كانت تقل شيئاً فشيئاً اعتباراً من (دررو) وكنا نسير كالسابق بين الأدغال والغابات والوديان والهضاب والحزون

ووصلنا الساعة الثانيـة الى غابة كثيفة جداً ذات أشجار مرتفعة وفيها صادفنا صنفاً من القرود غريب الشكل له شعر كشعر المعزى ولذلك يسميه سكان هـذه الجهات أبو شعر وأما اسمه بالحبشية فهو « وانى » وقد ضرب يس جاويش قرداً ببندقيته ولكن لم نقدر على الوصول الى المحل الذي وقع فيـه لكثرة الشوك ولما سمع القرود صوت الطاق الناري أخذت تهرب وتقفز من شجرة الى شجرة وهي تنظر الينا

وصادفنا اثناء سيرنا في الغابة قوافل تحمل العاج وشمع العسل والجلود و بعـد سير أربع ساعات قطعنا فيها التلال والوديان والغابات وصلنا الى صحراء واسعة تسمى هرنا تحيط بها هضاب ويمر منها نهير يسمى باسم المحل نفسه يكفي لادارة حجر طاحون وكان يرى منهـا بحيرة (هرنا) الواقعة على طرف من أطراف الصحراء . وهذا المحل يعلو ١٨٣٠ متراً عن سطح البحر

نزلنا تحت شجرة وتناولنا طعام الغداء و بعد ان استرحنا ساعة استأنفنا السير مصعدين على هضاب مرتفعة وقد بلغنا في الساعة الثامنة محـلاً مرتفعاً جداً يسمى (ديه‌سو) . والناظر من هذا المحل يرى امامه منظراً واسعاً ولطيفاً جداً . فكان على الشرق جبل فوقه المستور بالغابات والاحراش الخضراء وعلى الغرب صحارى واسعة

ذات تلال منحطة ووديان ويرى من هذه الجهة بالافق جبل (عصبوت) الا كثر ارتفاعاً في هذه البلاد بعظمته الكاملة

كان طعامنا هذا المساء شوربة الارز ومشوي لحم العجل بالبسلة وكفتة البرغل وارز مفلفل ونوع من الحلوى يصنع من العجين والعسل والبيض

وفي الليل هبت زوبعة شديدة ونفخت الخيام كما ينفخ الريح قلوع السفن ولم يمض الا قليل حتى سقطت خيمتي علي وأنا فيها فازعجت طول الليل ولكن من حسن الحظ ان المطر الذي كان مصاحباً للزوبعة لم يكن شديداً كهبوب الرياح

يوم السبت ٢٢ مايس (مايو) مرحلة قوني

صاعقة خفيفة كضربة كرباج — المطر , الطين , الرطوبة , البرد — على ارتفاع ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر

———

قمنا الصباح في الساعة الثانية عشرة نسير في طريقنا و بعد ان انحدرنا من هضبة وتسلقنا أخرى اكبر من الاولى نزلنا تحت شجرة جميز للاستراحة قليلاً وتناول الطعام وهنا علمت سر ربط الاحمال ربطاً محكماً يلتصق في جسم البغل حتى يكون كقطعة منه وسبب ذلك كثرة الصعود والنزول وشدة ميلانها ومرونة الاراضي المار منها الطريق حتى ان البغل بعد سير اربع أو خمس ساعات في اليوم تنتهك قواه فلا يعود يقدر ان يستمر على السير وكثيراً ما رأيت البغال تصعد أو تنزل من انحدار يكاد يكون أصعب من صعود أو نزول سلم

استرحنا هنا تحت الشجرة ساعة ونصف وعدنا لقطع التلال والاكمات صعوداً وانحداراً الى ان وصلنا الى قرية (قوني) الكائنة على دورة جبل شامخ . ويرتفع هذا المحل عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر ولكن الاشجار على أطراف واكناف العزبة كانت تكسر شدة الهواء البارد واستمر المطر الذي كان آخذاً في النزول ونحن في الطريق مدة ثلاث ساعات مع صواعق كثيرة فلم نتمكن من ادارة المطبخ . وقد أصابتني صاعقة خفيفة على رأسي أثرت على رأسي كضربة كرباج واستولى على جسمي رعشة شديدة وهي أشد من صدمة كهربائية تلقى على التلامذة اثناء دروس الحكمة الطبيعية . وكانت بيدي المظلة فاظن ان هذه الشرارة الكهربائية جذبت الي بواسطة الحديدة الرفيعة الموجودة على قضيب المظلة و بعد انقطاع المطر أخذت الحياة تدب في القافلة حيث تمكنا من ادارة أمور المطبخ وغيره وأضرمنا النيران وصار كل منا يؤدي وظيفته

وكانت الخيام مبللة بالماء والنباتات غارقة بسيول الامطار . وكان شوكت افندي الأكثر اشتغالاً بيننا فانه مع كثرة الوحول والسيول والامطار ذهب واصطاد بضعة من الطيور فاوجد بذلك بين طعام المساء من لحوم الصفاري والسمان والدجاج البري . وكان داخل الخيام في الليل رطباً وبارداً حتى اني اضطررت ان أضع الماء الغالي ضمن قناني وأدخلها معي في الفراش لتدفئتها . نحن الآن على ارتفاع ٣٠٠٠ متراً من سطح البحر

يوم الاحد ٢٣ مايس (مايو) مرحلة بدوسا

تفاوت طلوع الشمس — الطيور الموسيقية — والقرود البهلوانية — صداقة الارقاء — البغال تخدمها الطبيعة — السكي — ذلك الحيوانات — أنا طبيب — أجناس من الفراش — تعدي الطيور الجارحة على البغال المجروحة — خفة الاحباش

———

وعند الصباح أعطينا أمتعتنا للمكارية وقمنا نسير في الساعة الثانية عشرة والى يومنا هذا ما تمكنا من القيام قبل هذا الميعاد . وربما يوجد من يرى قيامنا في الساعة المذكورة في شهر مايس (مايو) متأخراً جداً . أذان اليوم تشرق الشمس في الاستانة في الساعة ٨ والدقيقة ٥٤ على انها تشرق هنا في الساعة ١١ ونصف . وهذا الفرق ناشئ من كوننا موجودين في جنوب القسم الشمالي من الكرة الارضية لذلك ترى هنا الليل والنهار متساويين تقريباً

أخذنا عقب قيامنا نسير بانحدار من جبل (قوني) وقطعنا غابة عظيمة طبيعية (أي انها نمت من نفسها) في مسافة ساعتين وكانت أشجار هذه الغابة المؤلفة من أجناس مختلفة تمنع نفوذ أشعة الشمس من الوصول الينا لكثافة الاشجار والاغصان . وكنا نرى على طريقنا دائماً أسلاك التلغراف والفناجين البيضاء المصنوعة من الصيني لابعاد التيار الكهربائي مربوطة بالاشجار بدلاً من الاعمدة . وكنا نسمع طول طريقنا تغريد ألوف من الطيور المختلفة الاصناف كما اننا كنا نرى كثيراً من القرود ذوات الشعر الطويل المار ذكرها تقفز من شجرة الى أخرى كأن الطبيعة جعلت تغريد الطيور مقام جوق موسيقي والقرود جوق ألعاب بهلوانية . والطيور التي كنا نراها اكثر من غيرها هي صنف منقارها وطرف عينها أحمر ونصف جناحها اسود والنصف الآخر بلون الاحمر القاني وهي بجسامة الحمام تشبه الببغاء تطير باسراب من شجرة الى شجرة . وقد ضرب شوكت أفندي واحدة منها ببندقيته ولحم هذا الطير لا يؤكل

لذلك منعت شوكت أفندي من صيد هؤلاء الطيور ثانياً وقدحفظ هو أجنحة الطير المضروب الذي كان في غاية الجمال ويليق ان يوضع على برانيط السيدات للزينة

وفي الساعة الثانية أخذت الاشجار تقل بنسبة تقربنا الى سفح الجبل وفي الساعة الثالثة وصلنا الى الوادي القائم بمنتهى الجبل من هذه الجهة . ويوجد هنا نهير تكفي مياهه لادارة حجرين طاحون ويسمى (بوراما) باسم المحل الجاري فيه . وصادفنا في طريقنا امرأة ذاهبة من قرية الى قرية أخرى وقد وقف بغلها الحرون بها لايخطو خطوة الى الامام ويظهر انه جفل من شيء رآه في طريقه . وكانت المرأة تكلم البغل وتقول له بعض كلمات بلسانها . ولدى السؤال عما تقوله علمت انها تستعطف البغل مخاطبة اياه بهذه المكالمات (برأس أبيك وأمك لا تتعبني . بربك أيها البغل امش) لذلك وقفنا قليلاً وساعدناها على اكراه البغل على السير فسار . وبعد هذه المرأة رأينا عبداً مغلولاً بالحديد كان أبق من عند سيده فاخذ ثانياً ليعاد الى منزل سيده . والرقيق في هذه البلاد ممنوع رسماً ولكن قلما يعملون بهذا المنع ولكن اخراج الرقيق الى البلاد الاجنبية ممنوع حقيقة بالفعل . ولا يوجد في داخل البلاد الحبشية من لم يكن عنده عبيد أرقاء حتى ولو كان من المتوسطين اذ ان أشغال الجميع من تاجر وزارع ومكاري تقضى بواسطة هؤلاء الارقاء واذا الغي بيع الرقيق من هذه البلاد بالمرة تقف حركة الاشغال والاعمال لان الناس هنا لا تعلم استخدام العمال بالاجرة . ويرى الرقيق هنا الاطاعة والانقياد لسيده أمراً طبيعياً فتراهم غاية في الصداقة والاطاعة لاسيادهم حتى انه كثيراً ما يسلم السيد ماله وجميع ممتلكاته لرقيقه ويأمن له اكثر مما يأمن لاولاده . وليست هذه الحالة هنا فقط بل انها موجودة أيضاً في البلاد اليمنية والحجازية وعلى الاخص بين العربان الضاربين في البوادي حتى ان أمراء العشائر لا يعتمدون الا على أرقائهم فتراهم يحترزون من أولادهم واخوانهم ويسلمون أرواحهم الى الارقاء الذين يفدون حياتهم في سبيل كلمة سيدهم .

ويعد الرجل رقيقه واحداً من بيته وعضواً من أعضاء عائلته

فرشنا البسط تحت شجرة جميز وجلسنا تحت ظلها ساعة تناولنا فيها الطعام ورعت البغال و بعد ذلك قمنا نسير في سبيلنا فقطعنا نهيرًا آخر يبعد عن الاول خمس دقائق فقط وهو بجسامته وفي الساعة الخامسة قطعنا نهيرًا آخر ودخلنا في صحارى ومراع تحيط بها الجبال والتلال . وهنا تنتهي حدود ولاية هرر وتبتدئ أراضي شرشر . وشدة نمو النباتات البرية هنا تدل على خصوبة الاراضي وقوة انباتها والاشجار فيها ليست بحالة غابات أو أحراش وانما يوجد هنا وهناك أشجار برية صغيرة وكبيرة قريب بعضها من بعض وسفوح الهضاب والاكمات عامرة بالقرى وا كثر سكانها من الفاللا والأينو المسلمين ومنها ما يسكن فيها الامجريون المسيحيون

وكان سكان هذه الجهات من قبل اكثر مما هم الآن فقلل عددهم فتك الاوبئة وتوالي الحروب الداخلية

مررنا الساعة السادسة على نهير ونزلنا أزاء جبل (هلفتا) ويسمى المحل الذي نزلت فيه قافلتنا (بددسا) وقد تعب جدًا رجالنا و بغالنا من حزونة الطريق في هذه المرحلة وكثرة النزول والطلوع في جبال وعرة . فلذلك ما نزلنا في المحل المذكور حتى أخذ الرجال الذين ليس لديهم ما يشغلهم مثل نصب الخيام وغيره يتمددون تحت ظل الاشجار طلبًا للراحة والبغال صارت تتمرغ في التراب على عادتها بعد أخذ ما عليها من الاحمال . والمجاريح منها كانت تنظر الى النيران التي كان المكارية يشعلونها نظر الحزن والكآبة وترفع أذنيها وتظهر بعض حركات وأصوات كأنها تريد تتأوه وسبب ذلك ان سكان هذه البلاد يهملون خدمة البغال الخدمة اللازمة فيرى الانسان حوافرها طويلة بارزة ولا ينظفونها ولا يعطونها العلف اللازم لها بل يتركونها بحالتها الطبيعية فينزل المطر الشديد و يغسلها عند ما تكون هذه الحيوانات خالية من الحمل والشغل اذ تترك دائمًا في العراء و بعد قليل تظهر الشمس الشديدة فتنشفها حالاً وعلى هذا المنوال تخدمها يد الطبيعة والقدرة من نفسها. ولكن لا بد من كي البغال المجروحة وذلك انهم يشعلون نارًا حامية يضعون فيها حدائد منحنية ذات أيدٍ

خشبية طويلة وتؤخذ البغال الجريحة من بين السليمة وتشد في رجلها سيور من الجلد وتلقى على الارض ويجلس المكارية على رأس البغال وعلى سائر أطراف جسمه ويمسكونه كيلا يتحرك ويأتي آخر بالحديدة المحماة لدرجة الاحمرار ويكوي بها الجرح فيمزق الشعر والجلد الذي على أطراف الجرح ويدخل الحديد المحمي حتى يصل الى اللحم وتتصاعد روائح كريهة والبغل يجأر من شدة الألم والبغال المنتظرة دورها تنظر هذه الحال بنظر الاندهاش واليأس آخذ منها مأخذه وفي الغالب لا يحملون البغل عقب الكي بل يتركونه يستريح بضعة أيام . هذه هي الخدمة الوحيدة التي يخدم المكارية بها بغالهم ولقد كنت أسخط على هذا وآمرهم ان يكونوا بعيداً عنا وبالجملة ان هذه الحيوانات تعيش في هذه البلاد بيد الطبيعة ولا يعتني أحد بخدمتها قط على ان الاعتناء بالدواب في الاقطار الحجازية الواقعة أزاء هذه البلاد عظيم جداً حتى ان سائق المركبة في المدينة المنورة ينظفها ويخدمها ويكبسها كل يوم مساء وهو ما يعبر عنه الغربيون بالمساج (Massage) والتكبيس في الحجاز مرغوب جداً فتجد أغلب الناس في الحمامات والمنازل يكبسون أنفسهم من غير ان يكون هناك مرض يستلزم ذلك بل يعملون التكبيس طلباً لراحة البدن فقط حتى ان الانسان ليرى كثيراً من الناس يتمددون على حصيرة في القهاوي أو الساحات العمومية من غير مبالاة بالناس الرائحين والغادين والمكبس يكبسهم

وأغلب المكبسين في الحجاز من الهنود ويكبسون من أراد باجرة نحو عشرين فضة . وهذه القاعدة نفسها جارية في الحيوانات أيضاً . وقد اندهشت عند ما رأيتهم يكبسون الحيوانات لاول مرة وكنت راجعاً ليلاً من مكتب التلغراف في ساحة المناخة الى منزلي فرأيت حماراً كبير الجثة ملقى على الارض وصاحبه جالس عليه يكبسه وكان الحيوان يظهر امارات الراحة والاستحسان بتشخيره الخفيف ويمد رجله الثانية عند ما يتم تكبيس الاولى فقلت لصاحب الحمار ماذا تفعل أيها الرجل فاجابني ان هذا البهيم المسكين تعب جداً هذا اليوم فأنا اكبسه حتى يستريح

هذا والمكارية هنا يداوون بغالهم بأنفسهم أما اذا مرض الواحد منهم فقد كانوا يأتون لعندي ليستمدوا من مهارتي الطبية على زعمهم . فكنت أعالجهم حسب ما تدلني تلك المهارة المزعومة فأعطي مسهلاً لمن يشكو معدته أو بطنه او روح النعنع وحبوب (آنتى ديسانتريكوم) للذي يشكو من الاسهال وفن آستين او انتيبيرين للذي يتألم من وجع الرأس . وقد حضر اليوم لعندي أحد المكارية وهو يعرج فمد رجله ونظرفي وجهي نظر الاستمداد فوجدت في رجله ورماً شديداً من الاصابع الى نصف أخمص القدم و بين الأصابع جروح ملتهبة يكاد يظهر فيها الدود .

فلما رأيت حال هذا الرجل حرت فيما أعمله لاني لست بطبيب ولا علم لي بفن الجراحة وليس عندي شيء من المراهم فخطر في بالي حمض البوريك فقلت له اغلِ ماء صافياً في حلة نظيفة وسأعطيك دواءً تضعه في الماء المغلي فتغسل به رجلك و بعد ذلك اربطها وداوم على هذا الدواء بضعة أيام مساء وصباحاً فتبرأ ان شاء الله . ولكن الرجل أخذ يطلب مني بواسطة الترجمان الاسراع بعلاج فأخرجت من جيبي حقة ماء كولونيا فحقنت محل الجرح بهذا الماء الذي آلم الرجل جداً حتى احمرت عيناه وصار يتمرغ على الارض و يئن و بعد نصف ساعة خف الألم فأحضرت قليلاً من ماء البوريك لغسل الجرح به ثم وضعت السمن ليطري الجرح و يقوم مقام المرهم فليحكم الاطباء ان كنت فعلت حسناً أم لا . وأما رفقاء الرجل المجروح فلما رأوا رفيقهم وهو يتمرغ على التراب و يئن و يتألم أخذوا ينظرون اليّ بطرف عجيب يستر تحته الريب والشك مما أعطيته لرفيقهم ففهمت ذلك في الحال وأردت الحقنة عليّ وصرت ألقي ماء الكولونيا على وجهي فزال ما كان دخل في قلوبهم من الشك والارتياب واقتنعوا بأن ألم الرجل ناشئ من جرحه وان الدواء الذي أعطيته اياه ليس مسموماً .

كان محل نزول قافلتنا هنا كثير الصيد كالطيور والأرانب والغزلان كما انه كان كثير الحشرات والهوام مثل النمل وأبو دقيق (فراش) وما أشبه حتى انه اذا

أراد الانسان ان يأخذ من أنواع أبو دقيق ويلصقها في دفتر يجمع مجموعة من أجمل ما يمكن من المجاميع

كان طباخنا ومساعده كافيين لاحضار الطعام لنا ومع ذلك كان كل واحد منا يريد ان يخدم المطبخ فكنت ترى البعض منا يصطاد الطيور والبعض منا يقوم بعمل الحلويات مثل شوكت افندي الالباني الذي كان يهتم بالمأكل اهتماماً خصوصياً ولكوننا نحن الثلاثة اعضاء الوفد سور يين ما كانت الكبيبة الشامية لتغيب من المائدة قط وقد علمنا الطاهي عمل الكبيبة المذكورة من أول يوم فكان يستعمل لذلك في غالب الاوقات لحم الدجاج الموجود بكثرة عظيمة في هذه الجهات وبالجملة لم نكن لنشكو من الطعام

وقد تعود الجنود والخدم الذين كانوا مسلمين تناول الطعام من غير ستار لعدم تعصبهم وأما البغالة المسيحيون فانهم ما قدروا على ترك عادة الاكل تحت الستار وكان طعامهم على الغالب من الخبز المصنوع من دقيق الدف والقهوة الكثيرة والفلفل الاحمر واللحم النيء . ولا أدري كيف تصيب العين هذا الطعام البسيط ؟

ولما كنت في طريق الحجاز كنت أرى جمالنا الجريحة تتعذب وتتألم من سقوط الطيور الجارحة كالعقبان والغربان وما اشبه على ظهورها لتأكل قطع اللحم من الجرح فيصير الجمل يهدر ويزبد ثم يلقي بنفسه على الارض تخلصاً من أذى الطيور الجارحة وقد رأيت هنا بغالنا الجريحة تتعذب من هذه الحالة نفسها فكأنه لا يكفي ما تقاسيه من شد السيور والجلود على بطونها وكي جروحها حتى تتسلط عليها الطيور الجارحة وتدمي جروحها فترى الطير ينقض على ظهر البغل وقبل ان يتمكن البغل من طرد العقاب بذيله يخطف قطعة من لحم الجرح ويطير ثانياً

هرب اليوم بغل من البغال المجروحة قبل أن يأتيه دور الكي وأخذ يجري من غير لجام وبردعة في هذه الصحارى كغزال شارد وقام ثلاثة من البغالة للجري وراءه وكان بيد اثنين منهم سير طويل يمسك كل منهما بطرفه فصارا يعدوان خلفه ككلاب

الصيد وكان الثالث يسعى لتحويل البغل نحو رفيقيه القابضين على الجلد . و بعد ان ركضا مقدار نصف ساعة نفدت قوى البغل فوقع بالجلد وأدركه المكارية الذين كانوا يعدون عدواً حثيثاً من غير ان يظهر عليهم علامة من علامات التعب . وهذه ايضاً هي حالة أهل البادية الذين وصفتهم في رحلتي الى صحراء افريقيا الكبرى

هنا أصيب أحد جنودنا المسمى (انحى) بألم شديد في بطنه فمسده أحد رفاقه بكل قوته وهذا يدل على ان التكييس معروف في هذه البلاد أيضاً . ومع ذلك فان الألم لم يفارقه فاضطررت ان اداويه بروح النعنع و ببعض أدوية اخرى

أما طعامنا هذا المساء فشوربا بالبيض وشواء اليمام البري وكبد الخروف ومحمر اللحم وكبيبة ولقمة القاضي

يوم الاثنين ٢٤ مايس (مايو) مرحلة قالمو

بحيرة (جرجر) — اعشاب بطول القصب — الاعشاش المتدلية

قمنا اليوم من محل نزولنا في منتصف الساعة الثانية عشرة وأخذنا نقطع أراضي تعد مستوية بالنسبة للتلال والجبال . وخصوبة الاراضي هنا وقوة نمائها عظيمة جداً ويوجد فيها طيور الصيد والحيوانات بكثرة وانما سكان هذا القطر المسمى (چرچر) قليلون جداً على نسبة سعته وفي الساعة الثانية نظرنا بحيرة (چرچر) عن يسارنا وكانت المسافة بيننا وبينها كيلومترين . وكان سيرنا محاذياً لهذه البحيرة فلذلك كنا نراها عند ما نكون سائرين في الارض المستوية وتخفى علينا عند ما نسير بين الجبال والهضاب وهذه البحيرة اكبر من بحيرة (هرمايا) السابق ذكرها بثلاث مرات وعلوها عن سطح البحر ١٧٥٠ متراً وفيها كثير من الطيور مثل الاوز البري والبط البري وغيرها من الطيور كما انه يوجد في مائها بقر الماء (*Hippopotam*)

وتخرج هذه الحيوانات من الماء ليلاً فترعى بالارض الواقعة على أطراف البحيرة وتختفي نهاراً في الماء وبعد أن سرنا ساعتين سيراً موازياً للبحيرة غابت عن انظارنا

وفي الساعة الخامسة وصلنا لقرب بحيرة (جغا انياني) ونزلنا تحت شجرات جسيمة بالقرب من العزبة وفرشنا طنافسنا على قاع غير واسع وقد كانت احدى القوافل المارة قبلنا من هنا قد قلعت كل ما فيها من الحشائش والنبات وأعدته للنزول فيه . وأما ما بقي من الاراضي التي على أطراف محل نزولنا فانها كانت مستورة بالحشائش والنباتات الواصلة الى كتف الانسان والناظر اليها من بعيد يظنها غابة من القصب . والى يومنا هذا من رحلتنا لم نر قط محلاً خالياً من الحشائش والنبات حتى نضرب الخيام فيه . والمحلات الخالية فيها هي الاراضي المحروثة أو المزروعة حديثاً

استرحنا مقدار ساعة وتناولنا طعامنا ورعت بغالنا من غير ان نخرج خطوة واحدة من محل نزولنا ثم استأنفنا السير و بعد قليل وصلنا الى نهر (جغا انياني) . وقوة هذا النهير هي بقدر ما يكفي لادارة حجر طاحون وماؤه عذب كسائر المياه التي كنا نصادفها في طريقنا . وهذه الاراضي التي كنا نسير فيها من الصباح كلها خضرة كالزمرد ولكنها كانت قليلة الاشجار حيث تشبه الاراضي والكروم الواقعة على الضفة الاسيوية من البوسفور . ولما رأينا هذه الاشجار على بعد ظننا بعضها شجر برتقال أو كباد لان أغصانها مزينة بكرات كثيرة كالبرتقال . فلما دنونا منها علمنا ان هذه الكرات المعلقة على الأغصان هي عبارة عن مئات من اعشاش لطيور صغيرة من صنف العصافير المسماة (قناريا) ذوات اللون الاصفر والتغريد الجميل وكانت هذه الاعشاش مصنوعة من الياف النبات الرفيعة القوية بشكل دقيق جداً ومعلقة بالغصن بواسطة حبل مصنوع من الياف النبات أيضاً طوله شبر واحد ولذلك كنت ترى الاعشاش بما فيها من الافراخ تهتز دائماً بتأثير الريح ولا ينفذ من هذه الاعشاش المطر ولكل عش باب جعل قريباً من الاسفل لخروج ودخول العصفور . وكانت هذه الاشجار ملأى بالعصافير التي كانت تتطاير من غصن الى غصن وتغرد بأصواتها اللطيفة

استرحنا مقدار ساعة ثم قمنا واستمرينا في طريقنا و بعد ساعة أخرى مررنا بنهير آخر يسمى (مالقابلاو) وهو بجسامة النهر السابق ذكره وفي الساعة السابعة وصلنا الى محاذاة قرية (قالمر) ووجدنا هنا أيضاً نهيراً آخر ونزلنا لقضاء الليل هنا . وكان محل نزولنا على هضبة صغيرة من حولها هضاب أخرى قليلة الشجر والخضرة . ولم نجد في هذه الهضبة محلا خالياً من الرطوبة فاضطررنا ان نأتي بالحشائش اليابسة (الناشفة) لنضعها على القاع المبلول ونفرش عليها البسط للجلوس عليها . وقد بردنا جداً لوجودنا على علو ١٧٥٠ متراً من سطح البحر فقطعنا الوقت في اصطياد الطيور . وفي اثناء هذه الليلة ثارت زوبعة شديدة نزلت من بعدها أمطار غزيرة وقد اقتلعت الزوبعة خيمتي والقتها عليّ .

يوم الثلاثاء ٢٥ (مايو) لاغاهارديم

منزل رأس ما كونن — المشروبات المسماة ظاللاوتيح ويرز — عقاب شديد لذنب تافه — داخل الكوخ البلدي — الشيشة النباتية

أراد المكارية ان نقضي هذا اليوم هنا بدعوى تنشيف الخيام وقد استمرأوا هنا المرعى لبغالهم ولكن اكتفينا بتنشيف بعض الخيام لحد الساعة الواحدة وقمنا نسير لننزل في أقرب منزل ولقرب هذا المحل تركنا المكارية في (قالمسو) على شرط ان يلحقوا بنا بعد ساعتين . وأخذنا تارة نصعد على مرتفعات عالية وطوراً ننحدر في منحدرات عميقة واحياناً نزلق في الأوحال و بعد ان قطعنا عدة أنهار شديدة الفيضان من السيول وصلنا الى لاغاهارديم . وهذه القرية هي جملة اكواخ مبنية على هضبة مرتفعة يجري في سطحها نهر صغير . وسكان لاغاهارديم من المسلمين مثل البلاد التي مررنا بها في طريقنا وليس فيها من المسيحيين الا قليل

نزلنا في محل قريب من اكواخ القرية حتى اذا نزل المطر التجأنا الى الاكواخ وتركنا الخيام لئلا نقع فيما وقعنا فيه الليلة البارحة . ولرأس ما كونن هنا منزل كبير بيضي الشكل مبني على طرز الاكواخ الاخرى فأحضر لنا الاهالي بعض جلود البقر فبسطناها على القاع تحت شجرة امام منزل الرأس ما كونن وفرشنا عليها البسط الموجودة وجلسنا للاستراحة وتناول الغداء . ولو لم يأت الاهالي بهذه الجلود لما تسنى لنا الجلوس على البسط من كثرة الاشواك النامية في هذه الاراضي . و بعد الطعام زرت منزل الرأس ما كونن فوجدت مساحته ١٦ متراً طولاً و٨ أمتار عرضاً له حاجز في أحد الجوانب من عدة أعمدة يستند عليه السقف و يستعمل هذا المحل المحجوز

لخزانة لحفظ الذخائر وما يلزم للمنزل . وقد ألصق على الحائط الداخلي قماش أبيض ووضع امامه مقعد للجلوس . ليس في هذا المنزل من التزيينات سوى بعض جرائد مصورة معلقة على الحائط وصورة ملكة انكلترا وصورة قيصر الروس وصورة ملك اليونان وصورة الرأس صاحب المنزل نفسه . وأما الرأس فلا يسكن هنا بل يأتي هذا المنزل و يقضي فيه ليلة أو ليلتين عند مروره في تجواله في هذه البلاد او خروجه الى الصيد والقنص . وفيه حارس قد أفرغ المنزل بشكل فندق ينزل فيه أبناء السبيل وكان يبيع فيه الجرار والقرع والمشروبات المسماة (طاللا) و (تج) ضمن قناني تبيعها لعابري السبيل حبشية حسناء تعرف الطرق اللطيفة لاستجلاب الزباين . والمشروب المسمى (طاللا) هو ضرب من الجعة (بيرا) المعروفة يستخرج في هذه البلاد من الشعير أو من الدرة . وأما المشروب المسمى (تج) فانه مزيج من الماء والعسل مختمر بنوع من الاعشاب تسمى (كچو) بعد ان يمر عليه زمن يكون في حدة طعم الشامبانيا . واذا شرب الانسان هذا المشروب وهو جديد يجد له طعماً كطعم عصير العنب ولايسكر شاربه .. والمسلمون هنا يستعملون هذا المشروب من غير ان يضعوا فيه (كچو) و يسمونه برز

ان محل نزولنا هذا اليوم كان أجمل المحلات التي كنا ننزل فيها فكان امامنا سهل زمردي واسع فيه بعض التلال التي تشبه الامواج في البحار . وكان على جوانبنا وورائنا هضاب عالية ذات خضرة لطيفة . وكنا نمر في طريقنا على كثير من أشجار تسمى هناك (قول قوال) وهي شجر اللاستيك وتارة يكون مقدار هذه الاشجار كثيراً وتارة تقل جداً حتى وصلنا الى هنا . والانهار التي مررنا منها لا يمكن قطعها بعد شهرين أي في ابان فيضانها في موسم اشتداد الامطار فتضطر القوافل ان تنتظر أياماً على شاطئ النهر وقت هبوط الفيضان .. لذلك يجب علينا ان نفتكر في طريق آخر للاياب الى ساحل البحر

ان النقطة التي نحن فيها الآن ترتفع عن سطح البحر ١٦٠٠ متر . وهذه الاراضي

وما حولها من نهر (هرنا) الذي كنا مررنا به قبل ثلاثة أيام الى نهر (أواش) الذي سنصل اليه بعد ثلاثة أيام أخر كانت كلها لمدة قريبة تحت ادارة (فينور أرى آصنعا) ولكن الرأس ما كونن نزع ادارة هـذه البلاد منه وألقاه في غيابة السجن مكبلاً بالحديد عقاباً له على ضربه أحد عبيد الرأس الموما اليه بغير حق . وهنا وفد علينا (آتو آفني) شوم هذه الاراضي (اي عمدتها) ومعه سكرتيره اتوسارتي . آتو آفني هذا كان حضر واقعة (عدوه) المشهورة التي حدثت بين الطليان والاحباش وكان تحت امرة رأس ما كونن . وقد شرح لنا بعض حقائق عن هذه المعركة سندرجها في محلها . وكان يحمل مسدساً كان اغتنمه في الواقعة المذكورة من الطليانيين فارانا اياه وقال ان الطليان قتلوا من الاحباش برصاص المسدسات من هذا النوع اكثر ممن قتلوا برصاص البنادق فكنا اذا اقتربنا من المجروح الطلياني يطلق من مسدسه مع ما هو عليه من عدم القوة

رأينا هنا قرب كوخ بجانب كوخ الرأس اثنين من شبان الاحباش يطحنون بمدقات خشبية النبات المار ذكره المسمى (كچو) وقد وضعوه ضمن (هاون) كبير مصنوع من الخشب . فكانا يقولان عنـد كل دقة (اينج اينج اينج) والنساء قد أحطن بهما يغنين بانغام موافقة لضربات المدق

وبعد ان تفرجنا على هذا المنظر والاحباش والحبشيات تفرجوا علينا أيضاً دخلنا لنرى أحد اكواخهم فرأيت فيه فتاة تطحن دقيق الحبوب المسمى (دف) فكانت واقفة على رجليها وراء القسم العالي من الحجر وتضع الحبوب على الحجر وتضغط عليها باسطوانة حجرية فينطحن الحب وينزل دقيقه الى المحل الموجود بالقسم السفلي من الحجر . وطريقة الطحن هـذه لا تشبه قط الطريقة المستعملة عندنا للطحن بواسطة الارحية ومطاحن اليد . ثم كان في وسط الكوخ نار مشتعلة وعليها قدر فيـه طعام فكان الدخان المتصاعد من النار يخرج من شقوق صغيرة بجانب السقف وبقرب القـدر امرأة طاعنة في السن جالسة على الارض وهي تدخن بنوع من الشيشة

مصنوعة من القرع لها فم طويل من البوص بدلاً عن اللي ورأس الشيشة من الفخار موضوع على رأس القرع في القسم الاقل ثخناً منه . ويوجد باحد أركان الكوخ سرير يسمى (الفا) نصب هناك لنوم صاحب المنزل . وقوائم هذا السرير وأطرافه مصنوعة من الخشب والوسط من سيور الجلد . وبركن آخر بضع نسوة جالسات على الارض ينقون القمح والدف واماهن صواني كبيرة مصنوعة من النبات أو من جلد البقر . وفي المخزن الخاص بحفظ ذخائر المنزل يرى الانسان كثيراً من أنواع القرع يستعملونها بدلاً عن القدور والخوابي لوضع السمن والعسل وما ماثله . ما أبسط هذه المعيشة . وبالجملة ان ثروة هؤلاء الناس هي في الحقيقة ثروة الطبيعة

وبعد قليل وردت قافلتنا فنصبت الخيام وأحضر الطاهي الطعام فتناولناه . وكان الماء كدراً جداً من كثرة السيول فاضطررنا لترويقه حتى تمكنا من شربه . ونحن الآن على علو ١٦٠٠ متر عن سطح البحر

يوم الاربعاء ٢٦ مايس (مايو) مرحلة قاجانواها

صعود ونزول في طرق وعرة — طبيعة الاراضي تتغير — الصيد الكثير — قرع بدل تمثال

أصبح المكارية اليوم وطلبوا الصناديق والاعمال باكرًا لوعورة الطريق وكثرة الصعود ولذلك قلعنا الخيم في الساعة الحادية عشرة وسلمنا الاحمال للمكارية وبينما كنا نشرب القهوة قبل قيامنا وفد علينا للوداع آنوآفتي المار ذكره ومعه آتوسارتي ومأمور البوليس وغيرهم

وفي الساعة الثانية عشرة سرنا صاعدين جبل (النوكي) الذي كنا نزلنا في سفحه وهذا الجبل في غاية الوعورة ولكن الطريق الذي كنا نمشي عليه كان كثير المنحنيات فلذلك كانت البغال قادرة على تسلقه ولكن بصعوبة . وبعد ذلك أخذنا نسير في هضاب ذات صعود خفيف وانحدار وفي الساعة الواحدة بلغنا الذروة التي كانت أرفع نقطة من هذا الجبل وهناك ظهر امامنا على استقامة الجهة التي نحن متوجهون اليها حوضة (آواش) يقطعها نهر (آواش) الذي كان بحاله هذه أشبه بسلك رفيع من الفضة كما اننا رأينا جبل (قومبي)

أما الاشجار الموجودة على جبل (آلنوكي) فانها كانت صغيرة بالنسبة لاشجار الجبال الاخرى ولم تكن في حالة غابات بل كانت متفرقة . ويوجد بين هذه الاشجار شجرة تشبه المسلة لا يزيد علوها عن ثلاثة او اربعة امتار ولكن يتكون منها في الارض دائرة لا يعلو قطرها عن عشرة أمتار أو خمسة عشر متراً . وأغصانها ممتدة افقياً . وهنا أخذ منظر الاراضي يتغير فصرنا نرى جبل (قومبي) العاري عن النبات والخضرة كقطعة صخرة عظيمة وكان لون أراضي صحراء (اواس) مصفرًا حتى ان الانسان يظن ان هذه الاراضي سبخة لا تصلح للزراعة ولكن علمت من الذين كانوا برفقتي ان هذا الاصفرار ناشئ من لون الحشائش المصفرة وانه ليس لون الارض واستمر نزولنا في الانحدار على جهة الصحراء من جبل (النوكي) من الساعة الواحدة الى

الساعة الثالثة وكان هذا المنحدر أيضاً وعراً وحزناً كالصعود . ولما رأيت ما يعانيه بغلي من التعب أشفقت عليه فنزلت لأسير راجلاً ولكن ما قطعت مسافة ربع ساعة حتى رأيت نفسي مضطراً للركوب ثانياً لأن رجلي زلت مرتين فوقعت على الصخور وعلمت من ذلك ان البغل امهر مني في السير في هذه المحلات لانه تعود السير في تلك الاودية والجبال الوعرة . وفي الساعة الثالثة بلغنا سفح الانحدار ودخلنا في أراضي (ارغوغا) والاشجار هنا صغيرة لا ظل لها و بعضها متفرق عن بعض .

هنا أخذت طبيعة الارض تتغير . فرأينا حشائش ونباتات قصيرة صفراء بدلاً عن الحشائش الطويلة الخضراء . وصرنا نبحث هنا عن شجرة لننزل في ظلها فنتغدى فوجدنا واحدة بعد بحث طويل ولكن ظلها لم يكف لذلك فقام أبو بكر جاويش الذي كان على غاية من النشاط في اشغاله وقطع أغصاناً كثيرة من الاشجار الأخرى ووضعها على أغصان شجرتنا وأراد المكارية بالنظر لشدة تعب بغالهم ان نقضي الليل في هذا المحل ولكن لم أوافقهم على ذلك، بل بعد ان تناولنا طعام الغداء واسترحنا قليلاً قمنا مستأنفين السير متوجهين الى (قاجانواها) التي كنا اتفقنا على النزول فيها وقد تخلف المكارية والبغال وراءنا فكررت عليهم وجوب اللحاق بنا . وقبل السير سقينا بغالنا من المياه الراكضة هناك المتخلفة من مياه الامطار . والمحل المذكور كان شديد الحرارة لوقوعه في بقعة منحطة .

ورأينا صنفاً من الطيور بجسامة الديك الرومي يسمى بجّا وكثيراً من الدجاج البري والغزلان والأرانب فضربنا بالبندقية ثمانياً من الدجاج المسمى (بجّا) فوقع البعض منها بين الشوك والحشائش فلم نجدها والبقية أخذها الطاهي ليجهزها لطعام المساء . مررنا هنا بشجرة معلق عليها قرع ذو ذنب يستعمل للشرب في هذه البلاد وتحت الشجرة على الارض خرقة مفروشة وقد قيل لنا ان هذا القرع وهذه الخرقة موضوعتان تذكاراً لاحد القابلين المشهور بالشجاعة والبأس .

وفي الساعة عشرة بلغنا (قاجانواها) ومعناها (الماء الصغير) فوجدنا هنا

الاشجار النامية على طرفي النهر كبيرة ومتلاصقة والقاع مستور بالخضرة والناظر على طول النهر يرى امامه منظر الماء تظلله الأشجار الكثيفة كأنه نفق والحاصل ان هذا المحل كروضة من الجنان بالنسبة الى الصحراء القليلة الاشجار والخضرة والكثيرة الحرارة

ويوجد هنا كثير من شجر التمر هندي فأخذنا نقطف منه ونحله بالماء ثم نشربه ومنبع نهر قاجانواها في سفح جبل (كومبي) ويجري ببطء وسط نفق مصنوع من الاشجار من غير ان يرى أشعة الشمس . وهذا النهر اللطيف مشهور بالمهالك والمخاطر وذلك لان الحيوانات الوحشية مثل الاسود والنمور والذئاب والضباع تأتي الى حافته وتلتجئ لظلال الاشجار هرباً من شدة حرارة الصحارى والقفار والذي لا يأتي منها في النهار يأتي ليلاً ليشرب ماءً لذلك أقمنا صواوينا بعيداً عن الماء بمقدار خمسمائة متر حسب عادة هذه الجهات على رابية مرتفعة . ولم نغسل أيدينا وأرجلنا ووجوهنا ونسترح قليلاً على ساحل الماء الا والسلاح بأيدينا وقد استحضرنا معنا الماء اللازم لنا ليلاً قبل ان يهجم الظلام .

يوجد على بعد مسافة كيلو متر واحد من النهر هضبة قليلة الارتفاع عليها بعض اكواخ متروكة وقد علمت ان هذه الاكواخ كانت مخازن لبنادق (جرا) التي اشتراها الامبراطور منليك من الفرنسويين وان الاحباش كانوا يوزعون هذه البنادق من هنا على المعسكرات والبلاد . وقد وجدنا في محل نزولنا كثيراً من الحطب والحشايش المجففة التي تركها الرأس ما كونن وقد كان مرّ من هنا قبلنا بقليل .

وتقرر ان نرحل من الآن وصاعداً من محل نزولنا قبل بزوغ الشمس وذلك لشدة حرارة السهول التي سنمر بها على طريقنا . وقد قضيت الليل تحت الصيوان الصغير ولم اشأ اقامة الصيوان الكبير . أما الجنود والبغالة فانهم ناموا في العراء لشدة الحر . أقمنا هذه الليلة الخفراء اكثر من سائر الليالي كما اننا اكثرنا من وقود النيران ابعاداً للوحوش الكاسرة . وفي الليل ثارت زوبعة شديدة وكان يتخلل صوت الريح الشديد أصوات الجنود والبغالة وهم ينشدون، بعضهم باللغة القابلة و بعضهم باللغة الحبشية

يوم الخميس — ٢٧ مايس (مايو) مرحلة فنطاللي

نهر اواش — الاقتصاد في الجسر (السكوبري) — كره يو — اراض بركانية

قمنا اليوم قبل الفجر وأخذنا نحمّل اثقالنا لنتمكن من السير قبل ان يشتد الحر وسرنا في منتصف الساعة الحادية عشرة أي مع بزوغ الشمس وقطعنا نهر (قاجانواها) ثم اخذنا نسير في أراضٍ ذات هضاب قليلة الارتفاع و بعد أن قطعنا بضعة مجاري انهار ليس فيها ماء وصلنا في الساعة الواحدة وربع الى نهر آواش . وفي اثناء سيرنا كنا نسمع تارة عن يميننا وطوراً عن يسارنا أصوات الضباع والذئاب وغيرها من الحيوانات . يجري نهر اواش في واد كبير كثير الميل والماء عميق بالنسبة لجسامة النهر ولا يتمكن الانسان والحيوان من الوصول الى حافة النهر الا بعد صعوبات جمة اذ يمر من طريق كأنه درجات سلم من كثرة الصخور الكبيرة . ويوجد جسر (كوبري) طوله ٢٥ الى ٣٠ متراً وعرضه متران مشيد على عوارض حديدية واكثر ما فيه من الخشب وقد أقيم على القسم الاقل عرضاً من النهر . وقد شيدت الحكومة الحبشية هذا الجسر عقب الحرب الحبشية الطليانية . والطرف الواحد من الجسر عليه ألوان الراية الحبشية وعلى الطرف الآخر الوان الراية الطليانية فالناظر الى ذلك يظن انه امام قوس قزح او نموذجات من الألوان كلها .

ويمتنع الناس عند انحطاط المياه من المرور من الجسر بل يمرون من النهر نفسه خوضاً ويوضع على طرفي الجسر كثير من السياج والعليق منعاً للمرور ويوجد بالجهة التي أتينا منها كوخ صغير خاص لاقامة الخفير المكلف بملاحظة عدم مرور الناس من الجسر عند نقصان مياه النهر . وقد قيل لنا ان القصد من ذلك هو الاقتصاد في الجسر حتى يبقى مدة طويلة .

جلسنا مدة على حافة النهر ومتعنا أبصارنا بجمال الماء وانحداره البديع والبعض منا استحم من غير ان يجسر أحد على الدخول لوسط النهر خوفاً من التماسيح التي تكثر فيه وقت فيضان النهر . وهذا النهر هو اعظم انهار الحبشة طول مجراه ٧٠٠ كيلو متر من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ثم يغوص في البرك والمستنقعات بأراضي اوسا غربي خليج تاجورا . ووادي اواش هو احط الوديان في هذه الجهات لذلك ينصب فيه كثير من المياه والنهيرات من اليمين واليسار كما انه يأخذ جميع مياه المطر التي تنزل على الجبال والهضاب الواقعة على طرفيه . وهو أحد الطرق الطبيعية المؤدية من ساحل البحر الاحمر الى داخل الحبشة وقد مررنا على الجسر لكثرة الماء في النهر وأخذنا نسير صعوداً على الجهة المقابلة لمحل نزولنا وكانت شديدة الوعورة و بعد قليل وصلنا الى السهل ولشدة الحر لم نشأ ان نستمر على السير فنزلنا تحت شجرة وعزمنا على المكث هنا الى وقت العصر وأخذ البغالة بغالهم وعادوا الى النهر ليسقوها بعد ان انزلوا عنها الأثقال والسبب في ذلك هو انهم لو سقوا البغال ونحن مارون على النهر وعليها الاحمال لعطشت البغال ثانية من شدة التعب الحاصل من تسلق الجبل . وقد اخذنا معنا الماء اللازم لنا لانه لا يوجد ماء في المحل الذي سننزله في هذا المساء

قضينا النهار في حر شديد جداً حتى ان الشمع الموجود معنا ضمن الصناديق ذاب فصار كأنه كتلة طين . ويقال لهذه الاراضي الكائنة على هذه الضفة من نهر اواش (عروس) ولا يوجد هنا من الاشجار الكبيرة الا النادر كما ان الاشجار الصغيرة الموجودة هي عبارة عن شجيرات من العليق والنبات الموجود مصفر اللون قليلاً . ولما كنا ننام ليلاً في الجبال الأخرى التي مررنا بها كنا نقوم في الصباح فنجد الصواوين وكل ما بقي خارجها من الأثقال وغيرها مبتلة جداً من كثرة الندى وأما هنا فلم نر أثراً للندى . وقد قيل لنا ان المطر لا ينزل في هذا المحل الا قليلاً لانحطاط الموقع وقلة الأشجار فيه . ويوجد في هذه البادية قوم يسمون (كره يو) يعيشون عيشة بدوية يرحلون من محل الى محل . لا يعرفون الزراعة والفلاحة ولا يدينون بدين

لونهم اسود ولباسهم فوطة في وسطهم فقط ومنهم من يضع فوطة أخرى على اكتافه ولا يعرفون اكل الخبز بل يتغذون بألبان الماعز والنعاج والنوق والبقر وليس لهم خيام أو صواوين بل يصنعون اكواخاً حقيرة من أغصان النباتات والحشائش المجففة على علو متر واحد و يدخل الواحد منهم الى كوخه زحفاً على يديه .

اشتد الحر اليوم جداً وصار الجلوس داخل الصواوين من المستحيل والاشجار الموجودة في محل نزلنا قليلة الظل لصغرها وقلة أوراقها فاضطررنا لقطع كثير من أغصان الاشجار الاخرى وأوراقها لنضعها على أطراف الاشجار التي كنا نستظل تحتها وكان أنشطنا في هذا العمل شوكت أفندي الالباني فانه أخذ يقيم اكواخاً من أغصان قطعها وأتى بها من أشجار بعيدة كأننا سنقيم هنا مدة طويلة فكان يشتغل بدون تعب وكلل تحت الشمس المحرقة ولما آن أوان السير عصارى النهار كان لا يزال يشتغل في اتمام الكوخ الذي اضطر الى تركه وهو ينظر اليه بتحسر

بعد ان غادرنا هذا المحل وسرنا قليلاً غاب مجرى نهر أواش عن أبصارنا ولم نره ثانية . وكان لون صخور المجرى اسود جداً وقد رأينا قافلة آتية من داخل البلاد ومعها جلد أسد اصطيد حديثاً

داومنا السير الى ما بعد المغرب بساعتين ونصف وقد مررنا من مضيق جبل فنطالي ونزلنا في هذه الساعة في العراء من غير ان ننصب الخيام وكنا قد أخذنا معنا أربع صفايح كبيرة مملوءة ماء من نهر أواش وسلمناها الى البغالة قبل سفرنا من مرحلة النهر المذكور فلما بلغنا المضيق طلبنا منهم صفائح الماء فلم نجد فيها نقطة ماء فاخذوا يعتذرون بان الماء تسرب من خروق الصفائح على اننا كنا صنعنا هذه الصفائح عند ما كنا في هرر بصفة خصوصية لحفظ الماء وجعلنا لها أغطية محكمة الوضع لمنع نفوذ نقطة ماء منها للخارج لكن علمنا ان البغالة أرادوا ان يخففوا الحمل عن البغل فشربوا من الماء ما شربوه وصبوا الباقي في الطريق فدعانا هذا الامر ان نراقب آنية الماء بعد الآن مراقبة دقيقة وكان الطاهي طبخ لنا طعام المساء قبل قيامنا من أواش

ووضعه في أوان مخصوصة كما انه كان ملأ الكيزان الكبيرة بالماء ولولا ذلك لكنا وقعنا في حيرة وارتباكٍ من عدم وجود الماء . هذا وقد أقمنا على أطراف محل نزولنا سورًا من الصناديق والاثقال التي كانت معنا حتى لا تدوسنا بغالنا التي كانت ترعى بجانبنا. وفي الليل ثارت زوبعة شديدة جدًا فحمدنا الله على انَّا لم ننصب الصواوين التي ما كانت تستطيع مقاومة هذه الرياح الشديدة التي أقلقت راحتنا وأذهبت نومنا فاضطرتنا ان نحمل أثقالنا ونستأنف السير ففي أواخر الليل كنا سائرين على الطريق وامامنا مصباح ينير لنا الطريق الذي كان في غاية الوعورة ولولا نور المصباح لسقط كثير منا في حفر عميقة موجودة بين الصخور والاحجار . وقد كان الطريق صخريًا وكانت صخوره كثيرة التعاريج كثيرة الهبوط والصعود والسائر فيها يظن نفسه سائرًا في مقلع أحجار وذلك من تأثير السيول الجارفة وفعل البراكين و بينما يكون السائر متتبعًا أثر الطريق الظاهر في أرض مستوية اذ يقف امام حائط من الصخور الشامخة فيضلّ طريقه و يضطر للبحث عن طريق آخر للنزول أو الصعود . و بعد ساعتين مررنا بمضيق (اباجنبر) وكنا نسير على فم بركان يحيط به كثير من الفحم فكانت روائح الغاز منتشرة جدًا حتى ان يس جاويش سأل (هل كان هذا المحل خاصًا باستخراج الغاز) و بالجملة ان هذا البركان كان كأنه لم يطفأ

وهذا المضيق سمي بهذا الاسم نسبة الى رجل من مشاهير الحبش يسمى (اباجنبر) فقتلته قبيلة (كره يو) المار ذكرها غيلة في المضيق المذكور . ورأينا هنا بغلاً تركه أصحابه لانه انقطع عن السير لما أصابه من التعب فالموت ملاقيه لا محالة لان مورد الماء بعيد عنه فاذا سلم من أنياب الحيوانات المفترسة لا يسلم من العطش . واذ كنا في أواخر الشهر القمري طلع علينا القمر فصار يساعدنا على السير في هذا الطريق ثم نزلنا لنستريح هنيهة ونتناول قليلاً من القهوة

يوم الجمعة ٢٨ مايس (مايو) (مرحلة تاديجامالكا)

ديك ديك ! — بح ! — ارغوبيا — حر شديد — النار والدخان — الذباب الهائل — المواشي الجميلة

—

أخذ الطاهي بعد نزولنا يجهز لنا ما يلزم للفطور صباحاً فطبخ القهوة على نار النباتات الجافة فكان فطورنا عبارة عن القهوة وقليل من خلاصة مرق اللحم المسمى (ليبك) والبقصماد . و بعد استراحة ثلاثة ارباع الساعة استأنفنا المسير . و بعد قليل ظهر جبل فنطالي امامنا ظهوراً تاماً فكان كقوس يحيط بالارض التي كنا نسير فيها و بعد برهة بلغنا طرفه الواقع امامنا وأخذنا نتسلقه من سفحه ذي الصخور العظيمة فلما بلغنا ذروته رأينا امامنا جبل (فرحان) وعلى سفحه (تاديجامالكا) والوادي ذو الاشجار الخضراء والنهر المسمى بهذا الاسم . ولما عاينا هذا المنظر البديع ازداد شوقنا للوصول الى هذا المحل فصرنا ننزل بكل نشاط من هذا الجبل الأجرد الذي كنا نسير عليه . وفي هذا المسير اصطاد شوكت افندي بالبندقية بضعة غزلان صغيرة الجسم تسمى (ديك ديك) وهي اكبر بقليل من الارنب الكبير . ولا يكبر اكثر من ذلك وكنا كلما اقتربنا من تاديجامالكا نرى طيور الصيد مثل البح والدجاج البري واليمام البري بكثرة تشبه العصافير الدورية في مدننا لذلك منعنا صيدهم بالبارود خوفاً من نفاد القراطيس (الخرطوش) الموجودة معنا .

وصلنا الى (تاديجامالكا) بعد ان قطعنا في سيرنا هذا اليوم ست ساعات . ويجري من هذا الوادي نهر يسمى (قسام) وهو من توابع نهر اواش و ينبع نهر قسام من سفوح جبل (مقرز) ويجرى مسافة ٢٠٠ كيلومتر تقريباً من الغرب الى الشرق ثم ينتهي بنهر اواش قرب محل يسمى (سادى مالكا) وسعة هذا النهر

كسعة نهر (كاغدخانه) (١) وماؤه عذب وسريع الجريان . ولكون مجرى النهر في (تاديجا مالقا) يقرب من سطح الارض الواقعة على حافتيه يفيض عند سقوط الامطار على تلك الاراضي و يغمرها فلذلك تنمو الاشجار على طرفيه بكثرة . رأيت هنا لأول مرة أصول الري بفتح الترع فقد حفرت ترعة في نقطة تبعد قليلاً عن (تاديجا مالقا) وجرى فيها الماء من نهير وأسيل الى الاراضي العالية الكائنة هناك فأحياها وجعلها مزارع مخصبة حيث بني فيها بضعة عشر كوخاً للزراع . نرى الآن امامنا جبل فرحان ولا يوجد في هذا الجبل أشجار كبيرة عالية مثل الموجودة في الجبال التي قطعناها ولكن يوجد ما يمكن ان يؤخذ منه الحطب اللازم لنا . وفي هـذا الجبل قوم من المسلمين يسمون (أرغوبة) و يشتغلون بالزراعة والفلاحة وعندهم كثير من المواشي مثل البقر والغنم والماعز وما أشبه . أما الحر هـذا اليوم فانه كان شديداً جداً . وقد كانت لاراضي التي مررنا منها في هذه المرحلة جبلية قليلة الماء والاشجار لذلك سررنا جداً لما رأينا الماء والاشجار والخضرة هنا ورأينا أنفسنا في نعيم عظيم . ولما وصلنا الى حافة النهر مررنا الى الجانب الآخر لنرى محلاً جميلاً نجلس فيه فوجدنا هناك الرجل الحبشي الذي كنا رافقناه في طريقنا فلما رآنا قام واستقبلنا أحسن استقبال ورجانا ان نجلس معه ثم أخذ يكرمنا بتقديم الكازوزه والقهوة و بعد ان جلسنا مدة غير قصيرة تجاذبنا فيها أطراف الحديث معه ذهبنا الى محل نزولنا وجلسنا تحت ظل شجرة بعيدة عن مجرى الماء واقعة في قطعة أرض مزروعة ذرة وسبب عدولنا عن النزول على ضفة النهر ما رأيناه من كثرة الوساخة والاقذار المتخلفة عن نزول القوافل هناك وكثرة الذباب والنمل وسائر الحشرات . لذلك اخترنا هذا المحل ونصبنا مطبخنا فيه وأخذ الطاهي يطبخ ما اصطدناه من الغزلان والدجاج المسمى بحّاً لاحضار طعام الغداء والعشاء معاً . قلنا ان الحر كان شديداً جداً وقد زاد هذا الحر صعوبة الريح الحار التي كانت تأتي بالرمال والغبار والتراب وتلقيها علينا . والحاصل اننا لم نسترح كما كنا ننتظر

---

(١) نهر قرب الاستانة يصب في خليج القرن الذهبي

عند ما أقبلنا على هذا المحل ورأينا الوادي عن بعد

وكنا نرى من محلنا الدخان متصاعداً من النيران التي أوقدها الاهلون على الضفة الاخرى من النهر في الحشايش والنباتات الجافة حسب عادتهم وكان صوت فرقعة الاغصان وهي ملتهبة يصل الينا . وقد اعتاد الناس في الحبشة احراق الغابات والاحراش ليعملوا من أرضها حقلاً يصلح للزرع كما انهم يحرقون كل سنة النباتات الجافة على الارض ليقوم رمادها مقام السماد فتنبت الاعشاب نباتاً حسناً

وقد أنزل البغالة الاحمال بعيداً عن النهر وساقوا امامهم البغال التي كانت قد تعبت وظمئت جداً لانها لم تشرب من حين قيامنا من محطة أواش فاخذوها الى الماء فاخذت تكرع منه كرعاً يخيل لنا انها لا ترتوي من شدة العطش . وقد أثر حر هذا اليوم على رجالنا من الجنود والبغالة مع انهم من أهل هذه البلاد ومتمرنون على احتمال الحر وشدته فاخذوا يستلقون تحت ظلال الاشجار كأنهم اموات لا حراك بهم . وكنت أود ان أعرف مقدار درجة الحرارة في هذه الاصقاع ولكن كنت وضعت في هرر مقياس الحرارة في أسفل احد الصناديق ظناً مني ان الطقس سيكون دائماً معتدلاً مثله في هرر وقتئذ . وهذا الحر أمره طبيعي لاننا بعد ان كنا على ارتفاع ٢٥٠٠ — ٢٧٠٠ متراً في رؤوس الجبال هبطنا مرة واحدة الى ٩٢ متراً والذباب هنا كبير بقدر النحلة أخضر اللون واذا لسع الانسان يؤلمه كالنحلة والزنابير . وبينما كنت اكتب هذه السطور ورد الماء قطيعان أحدهما غنم رأسها مع الرقبة اسود حالك وما بقي من جسمها أبيض كبياض القطن الناصع . والقطيع الآخر عجول صغيرة أجسامها بقدر أجسام الماعز . ويلتقي طريق (چرچير) في هذا المحل بطريق (ادال) لذلك تتقابل القوافل هنا وتوجد أحياناً بكثرة ورأيت بالقرب منا بضعة اكواخ متروكة من اكواخ القبيلة المار ذكرها المسماة (قره يو) ولم أعلم انها اكواخ هؤلاء الناس حتى اقتربت منها وقد كنت ظننتها في بادئ الامر أي عن بعد ٣٠٠ متر خلايا للنحل . وهذه الاكواخ هي عبارة عن عدة أغصان مغطاة بالحشائش الجافة

ليس الا . ولما صار العصر أخذت القوافل النازلة على طرفي النهر تحمل أثقالها استعداداً للرحيل . والعادة عند القوافل في بلاد الحبشة انها اذا وصلت الى نهر تريد النزول عنده تجتازه في الحال الى الضفة الثانية وسبب هذه العادة هو خوف مفاجأة الامطار للقافلة فانها اذا انهمرت يفيض النهر فيتعذر بل ويستحيل وقتئذ العبور الى الضفة الاخرى فتضطر القافلة اذا كانت لم تجتز النهر الى انتظار زوال الفيضان وهذا يؤخر سيرها بالضرورة فلذلك يعبرون الماء وينزلون على الضفة الاخرى حال وصولهم الى النهر ولما أزف الرحيل كان كل واحد منا عديم النشاط مضعضع الجسم كأنه مريض وهذا من كثرة الرطوبة الناشئة عن المياه الراكدة على أطراف هذه الاراضي فقمنا نحمّل أثقالنا ونتزود من الماء لنصعد الهضبة الكائنة امامنا وننزل في محل مرتفع للمبيت فيه فبعد ان سرنا نحو ساعة ونصف وصلنا الى السهل الكائن باعلى الهضبة المذكورة فنزلنا وبعد ان تناولنا طعام العشاء بعزم شديد نمنا ولم نصبح الا وقد زال عنا كل ما طرأ علينا من الكسل قرب النهر

يوم السبت ٢٩ مايس (مايو) مرحلة جوبا

عجلة لتمهيد الطريق — تمهيد طريق للعجلة — نيران هائلة — نزولنا في العراء

استيقظنا قبل بزوغ الشمس فوجد كل واحد منا في نفسه نشاطاً وهمة بفضل الهواء الجيد . وقد كان ذهب اثنان من خدمتنا للبحث عن بغل ضل البارحة منا بينما كنا في (تاديجامالكا) ولما لم يعودا ظننا انهما لم يعثرا على البغل فعزمنا على البقاء هنا للعصر لانتظارهما ولاستجلاب الماء اللازم لنا من نهر (قسام) الذي مررنا عليه البارحة وهي فرصة حسنة أيضاً للبغال لتستريح . وقد كنا نود أن نقضي النهار كله في العراء لنتمتع بذلك الهواء الجاف النقي الخالي من الشوائب ولكن شدة حرارة الشمس اضطرتنا لأن ننصب الخيام والصواوين ففعلنا ورفعنا سجوفها ليتخللها الهواء الطري المنعش للابدان . وعلمنا هنا ان الماء لا يوجد امامنا في مرحلتي (جوبا) و (منابللا) اللتين سنقطعهما لذا أمرت رجالنا بتحضير طعامهم وخبزهم عن يومين حتى لا تضطرهم الحاجة لاخذ الماء الذي سنحمله معنا وهؤلاء الرجال لا يعلمون كيف يحتاطون لأنفسهم وليس عندهم أقل تفكر بما يأتي في الغد ففي الامس كنا نازلين قرب الماء فلم يخطر على بالهم عجن الدقيق وخبزه ولما أمرناهم بتحضير عجينهم أرادوا ان يأخذوا الماء اللازم لهم من الماء الذي حملناه للسفر بدون أدنى تفكر في انه سيلزم لنا في الغد هذا مع ما كنا سمعناه منهم انفسهم من ان كثيراً من الناس هلكوا عطشاً بين نهر اواش و (تاديجامالكا) و بين هذه والمحطات الكائنة امامنا ومع هذا فانك لا تجد واحداً منهم يحمل كوزاً او أناء او ركوة لحمل الماء اللازم له بل ان كل واحد يتكل على زميله بحمل الماء . قلنا اننا نصبنا خيامنا للاستظلال . اما المكارون فما نصبوا خيامهم . بل صنعوا اكواخاً من أغصان الشجر وجلسوا تحتها للاستظلال لان الشمس كانت محرقة هذا مع ارتفاع الهضبة التي كنا نازلين عليها . وما شربنا

قط ماء بكثرة مثلما شر بنا هذا اليوم حتى ان رجالنا اضطروا مراراً ان يذهبوا بالقرب الى النهر ليملؤها منه . بيد ان الحرارة اخذت قبيل الغروب تنخفض فقمنا واستأنفنا السير في طريق ممهّد مثل الطرق التي تعمل في البلاد المتمدنة (شوسه *Chaussé*) وقيل لنا ان جلالة منليك نجاشي الحبشة كان اوصى من أوربا على عدة تدار بالبخار لرصّ الشوارع (مثل التي تستعمل بالقاهرة لرص الشوارع و يسميها العوام وابور الزلط) وقام بجر العدة بضعة آلاف من الرجال بالمناوبة حتى أوصلوها من الساحل الى هذا المحل عن طريق (آدال) لانه اكثر سهولة من الطرق الاخرى ولما وصلت العدة الى هذا المكان لم يعد في الامكان جرها لصعوبة الطريق لذلك استعملوا آلافاً آخرين من الناس لفتح طريق يذهب من هذه الهضاب والحزون الى آديس ابابا عاصمة المملكة و بذلك تسنى لهم ايصال العدة المذكورة الى العاصمة وبالجملة فقد أتوا بالعدة لرص الطريق ولكن عملوا طريقاً لايصالها . وقد كنا نسير مرة على الطريق المذكور ومرة اخرى نحيد عنها ونقطع الاراضي السهلة اختصاراً للمسافة . ولما خيم علينا الظلام رأينا عن بعد ناراً عظيمة متأججة قرب قلعة بلغا على جبل واقع على يميننا وقد سألنا فقيل لنا ان السكان هناك يحرقون غابة كثيفة ليجعلوها حقلا يصلح للزرع ولما اشتد الظلام أوقدنا مصباحاً وحمله احد رجالنا وسرنا نقطع طريقنا على نوره حتى وصلنا (جوبا) . و يسمى مجموع الاراضي من (تاديجامالكا) لحد المحطة المسماة بالجي مقاطعة منجار .

ان جوبا هذه هي عبارة عن قرية صغيرة مؤلفة من بضعة عشر كوخاً كسائر قرى هذه البلاد . وليس فيها مياه جارية ولا ينابيع لذلك تجد نساء أهلها يذهبن الى الاماكن البعيدة ليأتين بالماء من غدران أو برك تجمعت هناك من مياه الامطار . ولما وصلنا جوبا لم تكن وصلت بغالنا بعد فاضطررنا ان ننزل في العراء وان نستعمل البسط بدلاً عن الفرش والكساوي الكبيرة بالطو بدلاً عن اللحف واخراجنا بدلاً عن الوسائد .

يوم الاحد ٣٠ مايس (مايو) محطة منابللا

أعمال النساء الشاقة — طاللا

لم تصل الى الآن أحمالنا ومتاعنا ولم نشأ ان نبقى في محل كهذا ليس فيه ماء لذلك عزمنا على السير الى المرحلة الاخرى الكائنة امامنا وهناك ننتظر وصول البغال والاحمال . وعلى ذلك أخذنا في السير و بعد ساعة مررنا بمسجد خرب ومدافن خاصة بمسلمي قبيلة (اورغو بة) وعاينا من هنا بحيرة ذات ماء مالح تسمى غلوله على بعد خمسة أو ستة كيلومترات على يسارنا . و بعد ان سرنا أر بع ساعات بلغنا (منا بللا) وسكان هذه القرية يأتون بالماء اللازم لهم من غدران تجمعت من ماء المطر كائنة في واد عميق خطر المنحدر جداً . وقد ذهبت الى أعلا الوادي وأشرفت من هناك على تلك الهوة العميقة فهالني ما رأيته من عمق الوادي ووعورة الصخور والاحجار و يكاد الانسان يعتريه دوار من هذا المنظر الرهيب . والوادي ليس فيه شيء من النبات بل كله أحجار وصخور سوداء . وقد تذكرت هنا الوادي الموجود فيه دير مارسابا في فلسطين الخاص بسجن واقامة الرهبان المحكوم عليهم أو المراد تهذيب نفوسهم فانه يشبه من كل الوجوه هذا الوادي الهائل بوحشته وعدم انباته وقلة مائه وانقطاع المرور منه . وقد رأيت النساء وهن صاعدات يتسلقن الصخور وعلى ظهورهن أو رؤوسهن الجرار الكبيرة المملوءة ماء

نزلنا تحت شجرة خفيفة الظل فأخذ أبو بكر جاو يش الذي كان نشيطاً جداً وسائر خدمنا يقطعون الاغصان من الأشجار و يضعونها على شجرتنا ليتسع ظلها ويكفي لاظلالنا على قدر الامكان . و بعد قليل حضر رجل ومعه قر بة ماء فاشتر يناها منه ثم أتت امرأة عجوز تحمل جرة كبيرة من المشروب المسمى طاللا فباعته

لجنودنا وخدمنا الذين أحاطوا بالجرة في الحال لشغفهم بشرب هذا المشروب ثم أخذوا يشربون ما في الجرة بالقرع المجفف الذي يقوم مقام غطاء لها ومقام كأس للشاربين ولم يمض خمس دقائق حتى نفد ما في الجرة فلما رأى بنات القرية ونساؤها اقبال الجنود والخدم على شرب طاللاصرن يأتين بجرار ويحومون حول قافلتنا ليبعنها لجنودنا وخدمنا . ولما رأيت ان هؤلاء الجنود والخدم شربوا كثيراً خشيت أن يتجاوزوا الحد ونقع فيما لا تحمد عقباه فمنعت شرب طاللا هذا اليوم . أما بغالنا والمكارون فانهم ما زالوا متأخرين ولم يصلوا الينا هذا اليوم أيضاً وسبب ذلك ترجيحهم راحة بغالهم ورعيها على حث السير . ولكن نحمد الله على انه كان في اجربتنا واوانينا مقدار كاف من الغذاء والماء . وكان الهواء مساعداً على النزول في العراء وانما كانت الطرق والأطراف كثيرة الغبار من جفاف الطقس وقلة الماء اعتباراً من تاديجاما لكا فكلما هبت الريح يتصاعد الغبار فتعمى الابصار . مكثنا هكذا تحت الشجرة و بيدنا المظلة طول النهار وقضينا الليل تحتها أيضاً متوسدين البساط الموجود معنا وقد وضعنا تحته قليلاً من الحشائش الجافة ليقوم مقام الوسائد .

يوم الاثنين ٣١ مايس (مايو) مرحلة بالجي

طلع النهار وبزغت الشمس ولم يأتِ أحد من بغالتنا سوى المسمى (عياللا) فارسلنا ثلاثة جنود ليبحثوا ويأتوا بهم الى نهر (بوركا) حيث عزمنا على النزول . ثم أخذنا في السير تارة في أراضٍ مستوية وأخرى على هضاب قليلة الارتفاع وكنا نرى على طريقنا كثيرًا من الدجاج البري والدجاج المسمى (تج) والغزلان والارانب فاصطدنا منها ما يكفي لطعام المساء وحملها الخدم . وفي منتصف الساعة الثالثة وصلنا الى (هرني) التي هي محل انعقاد سوق القطر المسمى (منجار) . وجدنا هذه القرية الكبيرة معمورة واكواخها منتظمة . يجتمع فيها كل يوم سبت كثير من الناس يأتون اليها من القرى المجاورة للبيع والشراء . وبينما كنا سائرين في الطريق لقينا عمدة (شوم) چرچر وما حولها المسمى أغاباش ولدو وهو مسلم وقد كان رافق الرأس ماكونن في رحلته الى اديس ابابا حيث كان عائدًا منها الى بلده فبعد ان سلم علينا وتجاذبنا اطراف الحديث قال لنا انه متأسف لعدم وجوده في الاراضي الكائنة تحت ادارته عند مرورنا منها وانه يرجو نزولنا ضيوفًا عليه في الاوبة وان نخبره بسفرنا من العاصمة بالتلفون فتقبلنا دعوته بالشكر له ووعدناه بان نمر عليه حين الرجوع وننزل عنده . وقد مدح جنودنا هذا الرجل واثنوا عليه وقصوا لنا كثيرًا من احواله الخصوصية كثروته العظيمة وكرمه الخاص وشجاعته وعلو همته وانه قتل بضعة عشر فيلاً وعددًا من الاسود والنمور وانه جندل كثيرًا من الاعداء في حومة الوغى

استمرينا في السير حتى بلغنا نهيرًا يسمى (بوركا) . وقد سرّنا مرأى هذا الماء جدًا لاننا بعد ان تركنا (تاديجا مالكا) لم نرَ ماءً ولا أنهارًا . وهذا النهر هو من

توابع نهر (قسام) الذي كنا قطعناه في (تاديجامالكا) الذي مرّ ذكره .

والناظر الى مائه يظن انه واقف لا يجري لقلة انحدار مجراه ويكفي ماء هذا النهر لادارة حجر طاحون واحد فقط . وكنا نرى من هذا المحل قرية (بالجبي) على هضبة مرتفعة صعبة المنال وهي غربينا وما أشبه هذه القرية بعش النسر لارتفاعها ويأخذ أهلها وأهل قرى القربية ماءهم من هذا النهر وقد حفروا أيضاً حفراً يجتمع فيها ماء المطر فينتفعون بها بيد ان هذه الحفر يأسن فيها الماء فيغدو ضاراً

فرشنا بساطنا تحت شجرة تبعد ٣٠ متراً عن الماء ووضعنا على الشجرة بضعة أغصان وعدة من اغطية الجنود وجلسنا تحتها و بينا نحن كذلك اذ مر بنا الوف من القردة فأطلق عليها شوكت افندي بندقيته فأخذت تجري وتصيح وكان صغارها التي لا قدرة لها على الجري تركب على ظهر امهاتها وآبائها فكان منظر هؤلاء الخيالة من القردة أجمل من منظر مشاتها فهو مضحك جداً و بعض هذه القردة سمين كبير الجسم جداً حتى ان شوكت افندي ظنها ادباباً ولو لم أر كثيراً من القردة الكبيرة الجسوم في حدائق الحيوانات في أوروبا لكنت ذهبت مذهب شوكت افندي و بعد قليل من نزولنا اكفهر وجه السماء واشتد البرق والرعدوأخذالمطر ينهمر كأفواه القرب وكنا لابسين أحذية المطر الطويلة الساق (الجزمة العسكرية) والكساء المصنوع من اللستك المانع لنفوذ الماء و بأيدينا المظلات فلم نبتل بالماء ثم انقطع المطر وتقشعت الغيوم وظهرت الشمس وراء السحاب مرسلة اشعتها الحارة . وقد كانت اتسخت أجسامنا من الغبار الذي كان يثيره الريح في وجوهنا من حين قيامنا من مرحلة نهر اواش فلما استرحنا قليلاً اخذ كل منا يذهب وحده الى محل في النهر للاغتسال وازالة هذه الاوساخ وذهبت أنا أيضاً للاستحمام وتجردت من الملابس ووضعتها بين حجرتين ثم دخلت في الماء وأخذت أنظف جسمي بالليف والصابون ولم يكن عندئذ أحد قرب هذا المحل فوضعت الصابون على وجهي وغمضت عيني لئلايدخل الصابون فيهما ولما فتحتهما رأيت شيئاً مخيماً عليّ كقطعة من الغمام ولما أمعنت فيه النظر

استطلاعاً للخبر اذا هو حبشي لونه يقرب للسواد واقف على صخرة مرتفعة تعلو عن رأسي وهو منحن على يديه الى الامام يمسك بهما احرامه الكبير وطرفه الواحد على رأسه وكان عاري الجسد الا القسم الاسفل من جسمه . فسألته بالاشارة عما يريد بهذه الوقفة الغريبة فاشار باصبعه أولاً الى الشمس ثم الى رأسي ففهمت انه يريد ان يحافظ عليَّ من حرارة الشمس فشكرته ونويت ان لا أستحم بعد الآن في الشمس لان شمس هذه البلاد تؤثر في الحال على رؤوس البيض فيصاب الانسان بضربتها كما اني رأيت ان لا أقف بعد ذلك تحت شمسية ذات روح مثل التي وقفت تحتها اليوم

بعد ان أتممنا الاستحمام وجلسنا تحت شجرتنا اقترب منا بعض الاطفال الذين كانوا يتفرجون على ملابسنا وأزيائنا فاعطى يس أفندي للاقرب منهم بعض قطع من السكر . فاخذها وأراها لرفاقه فصاروا ينظرون اليها كمن لا يعلم ما الفائدة منها ثم ذاقوها بالسنتهم فلما وجدوها حلوة الطعم حكموا بانها (ملح افرنجي) وذلك لمشابهتها الملح في اللون وقد ترجم لنا كلامهم أحد خدمنا و بعد ذلك اكلوا قطعة السكر ثم صار كل واحد بالدور يطلب ملحاً أفرنجياً فوزع يس أفندي قطعاً أخرى عليهم فانصرفوا يشكرون ولما وصلنا الى مرحلة بوركا ذهب بكر أفندي الى مكتب التلفون الكائن في قرية (بالجي) وشكا الى عمدة (شوم) البلد والى آديس أبابا من كسل البغالة واهمالهم ففي الحال قام العمدة وركب للبحث على المكارية واحضارهم الى حيث ننزل . ولما قطعنا الامل من انضمام بغالتنا لنا هذه الليلة أيضاً عزمنا على المسير الى قرية (بالجي) فكان الطريق وعراً كثير الصخور والحزون يكتنفه من جهته جبل شامخ يشبه الجدار ومن الجهة الاخرى هوة هائلة يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار فبينما كانت البغال تتسلق صاعدة في هذا الجبل الشاهق بكل مشقة وعناء كنت ترى بعض بنات الاحباش يصعدن بكل راحة وسرور وعلى ظهورهن أحمال الحطب أو جرار الماء وهن ينشدن الاناشيد و يغنين كأنهن راجعات من نزهة

وصلنا بعد ساعة الى (بالجى) . ووجدنا هذه القرية في سفح هضبة مرتفعة

جداً ومشرفة على وادي بوركا الذي مررنا منه وعلى الهوة التي أتينا منها . دخلنا كوخ شوم البلد وكان البرد هنا شديداً فكنا نوقد النار خارج الكوخ ثم ندخله فيه للتدفئة فبينما كنا نشكو نهاراً من شدة الحر نشكو الآن من شدة القر . والكوخ الذي كنا فيه كسائر أبنية هذه البلاد يشبه خيمة ذات سجف مدورة وفي وسط الكوخ عمود تستند عليه عواميد السقف وهي متفرعة منه كتفرع عيدان المظلات الحديدية ومستندة من الجهة الأخرى على حيطان الكوخ .

أما الباب فأطرافه من الخشب وهو نفسه (أي الرتاج) من جلود الثيران وقد كنت ذكرت ان الناس هنا يتخذون هذه الجلود بدلاً عن الطنافس لكثرة هذا الحيوان في هذه البلاد . وبناء الاكواخ في البلاد الحبشية يشابه بعضه بعضاً وانما هناك فرق صغير في بناء اكواخ البلاد التي في السهول المنحطة الشديدة الحرارة حيث يبيضون الجدران المصنوعة من العلايق والنباتات بالكلس أي الجير على قدر قامة الانسان ويتركون ما بقي على حاله استجلاباً لتيار الهواء . وأما اكواخ الجهات المرتفعة الباردة فيتركون بعض ثقوب بنسبة شدة البرد فقط لذلك كنا اذا أقفلنا باب كوخنا هنا نظل في شبه ظلام .

وفي المساء وصل بعض المكارية بالاجمال فتعشينا واسترحنا على قدر الامكان رأيت هنا نوعاً من الحصير أليافه رقيقة جداً كأنها شعر أو وبر ناعم وهو مع ذلك قوي كما اني رأيت نوعاً من الاحرامات يشبه الاحرامات المستعملة في البانيا يستعمله سكان هذه البلاد بدلاً عن الفرش للنوم وللتدفئة .

يوم الثلاثاء ١ حزيران (يونيو) مرحلة تنيجه فيدنسا

مراع مرتفعة — ثيران جميلة — نهر چنقورا — نهر لقادوبى — عراء الحيوانات الوحشية — برد شديد

———

كانت نتيجة تشكي رفيقنا بكر افندي بالتليفون الى آديس ابابا عن بطائة البغالة ان صدر الامر لشوم البلد (اي عمدته) بالبحث عن البغالة فكان كذلك اذ نهض الشوم بنفسه للبحث عن المكارية وساقهم امامه حتى أوصلهم الى حيث كنا نازلين فأخذوا يعتذرون بالتعب الذي أنهك قوى البغال فلم تستطع السير الحثيث فقلنا لهم اننا بعد الآن لا نقوم من محطة ما لم تمش البغال كلها امامنا كما اننا لا نسمح لهم بالابتعاد عنا قطعاً . وفي الحقيقة ان البغال كانت في منتهى التعب والجوع من قلة الكلأ والمرعى في الطريق ومن مواصلة السير منذ بضعة أيام والذي ظهر لنا من حالة البغالة انهم لا يريدون السفر هذا اليوم بل يريدون الراحة وقالوا انهم لا يستطيعون مواصلة السير ما لم نمكث هنا يوماً لتستريح فيه البغال ثم ان بعض البغالة اختفوا عن أعيننا ظناً منهم انه لا يمكن تحميل البغال ما داموا غائبين فأشرت بالبحث عن شعير وذره لنقيت بهما البغال فتقوى على السير ولما أحضروا الشعير وضعوه للبغال و بعد ان اكلت كفايتها أمرتهم بحمل الاثقال فحملوها على البغال على الرغم منهم وشدة رغبتهم بالبقاء هنا هذا اليوم وقمنا في الساعة السادسة ونصف وسرنا في أراض منبتة مخصبة جداً كثيرة السكان والقرى حيث كنا نمر كل خمس عشرة دقيقة على قرى عامرة . والمواشي هنا سمينة كبيرة الجسم كسائر المواشي التي شاهدناها في طريقنا ولم أر قط في حياتي مواشي أجمل من مواشي الحبشة وقد سبق لي ذكر طرف من جمال الماعز و بياض الخرفان الناصع في الفصول السابقة . وأما ثيران الحبشة فانها لا مثيل لها وهي كبيرة الجسم على رقابها سنام من اللحم وقرونها طويلة ومتناسبة كالاهلة

وهي رخيصة جداً . فالثور الذي لا يباع بأقل من ١٢ ليرا في غير هذه البلاد يؤخذ هنا بليرة ونصف وسبب ذلك قوة انبات الارض ووجود المرعى وقد كنت ذكرت آنفاً ان اللحوم في بلاد الحبشة كثيرة ورخيصة للغاية .

وصلنا الى نهر جنقوره بعد ان سرنا ساعة ونصفاً . ويجري هذا النهر في أرض خالية من الأشجار وهو أسرع جرياناً من نهر بوركا فلذا كانت مياهه أنظف وهو يكفي لادارة حجري طاحون . وقد وقفنا هنا بضع دقائق تزوّدنا من الماء وشربت البغال ثم سرنا في طريقنا مارين في سهول قابلة للزرع ولكن المزروع منها جزء صغير والباقي متروك . وأما الشجر في هذا السهل فآخذ في النقصان فما كنا نصادف شجرة الا كل ساعة ونصف . والاراضي المتروكة غير المزروعة كانت مغطاة بطبقة من العليق والنباتات البرية . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى ماء (لقادوبي) الذي يشبه في بطء جريانه وانسلاله بين الصخور والاحجار ماء (بوركا)واصطدنا هنا بطتين بريتين . ثم واصلنا السير الى أن وصلنا في الساعة الحادية عشرة ونصف الى ماء (تجغيدنسا) الجاري أيضاً ببطء و بعد نصف ساعة مررنا بماء آخر بطيء الجريان أيضاً وفي الساعة الحادية ونصف نزلت القافلة في الصحراء لقضاء الليل . وهنا اضطرينا لكسر أحد صناديقنا الخاصة بالمؤن لنتمكن من طبخ طعامنا فحرقناه مع الجلة . وأما نيران الليل فقد كانت كلها من الجلة لذلك كانت ضعيفة فكان ضعفها سبباً لاقتراب الحيوانات الوحشية في الليل منا وازعاجهم ايانا بأصواتهم وعوائهم . وكان البرد في الليل شديداً جداً فكنا طول الليل نرتعش من البرد . وبردت مياهنا حتى نخالها مبردة بالثلج .

يوم الاربعاء ٢ حزيران (يونيو) مرحلة عقاقي

هضاب متوالية — ضيافتنا عند الحاج أحمد أفندي — غرامافون — بوفه

——

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً أشرقت الشمس وأخذت ترسل حرارتها على الاطراف ومع ذلك رأينا ان نشرب الشاي لتدفئة أجسامنا . وما قدرنا ان نقوم من هنا الا في الساعة الحادية ونصف (عربية) صباحاً وذلك لتمنّع البغالة من القيام بسبب وجود الكلأ بكثرة في هذا المحل . ومنذ رحلنا من (بالجبي) أخذنا نقطع الاراضي بصعود خفيف وأما الاراضي التي كنا نقطعها اليوم فانها كانت ذات مرتفعات ووديان خفيفة المنحدرات . وقد لاح لنا على بعد الوادي المسمى عقاقي الذي عزمنا ان تنزل القافلة فيه وظننا اننا اقتربنا منه وان ليس ثمة هضاب تحول بيننا وبين الوادي المذكور ولكن خاب ظننا هذا اذ كنا كلما صعدنا اكمة نرى امامنا أخرى فنصعد في هذه وننحدر في تلك وهذا الطريق أشبه بالطريق بين رابغ والمدينة فانه على هذا النمط أيضاً اذ يرى المسافر رابغ عن بعد فيظنها قريبة منه فاذا صعد هضبة رأى هضبة أخرى امامه وبالجملة فقد وصلنا الى وادي عقاقي في الساعة السابعة بعد ان قطعنا عدة اكمات . وهذا الوادي واسع وعميق جداً الا ان الماء الجاري فيه ليس باكبر من نهير قسام الذي مررنا عليه في تاديجامالكا وفي موسم الامطار ينصب في هذا النهر كثير من السيول فيفيض الماء ويأخذ بالارتفاع في هذا الوادي العميق لذلك أقاموا عليه جسراً (كوبري) منتظماً من الخشب على قوائم مبنية من الحجر طوله ٣٠ متراً وعرضه متران . وأطراف هذا الوادي مثل الاراضي التي مررنا منها عارية من الاشجار . ولما نزلنا في هذا المحل وعزمنا على تهيئة الطعام لم نجد خشباً لايقاد النار لتسخين طعامنا فاضطررنا ان نجمع من هنا ومن هناك قليلاً من القش والنباتات الجافة

كنا اتفقنا مع البغالة على ان ننزل هذا اليوم في (چولا) وهي على بعد ساعة ونصف من آديس آبابا ولكن مضى علينا ونحن في العقاقي بضع ساعات ولم يصل منهم الا بضعة أشخاص كما ان هؤلاء لم يرضوا ان ينتقلوا من عقاقي ولا خطوة بل طلبوا ان نقضي هذه الليلة هنا . ويوجد في أعلا هذا الوادي مزرعة ومنزل للحاج أحمد أفندي عبد القادر الجداوي الاصل أحد التجار الكبار في آديس آبابا وقد كان الموما اليه دعانا بالتلفون عند ما كنا في (بالجي) للنزول في منزله هنا وفي آديس آبابا. وبينما كنا نتناول طعام الظهر قرب النهر اذ وفد علينا حقي أفندي الداغستاني جواهرجي الامبراطور (منليك) وزكريا أفندي الالباني المتعهد للامبراطور بالاشغال القصبية وصحبتهما كثير من الناس ورجال من وكلاء أحمد أفندي ومماليكه فكلفونا ان نصعد الى المنزل الكائن في أعلى الوادي . وبعد الطعام ركبنا البغال وأخذنا نتسلق تلك المرتفعات حتى بلغنا بعد نصف ساعة السهل الذي في أعلى الوادي ودخلنا في أراض مزروعة هي ملك أحمد أفندي عبد القادر . ووجدنا بالمنزل الذي كان عبارة عن كوخ كبير كثيراً من الجواري والسود والمماليك وكلهن مشتغلات بتحضير الطعام وتهيئة المنزل . وقد كن أقمن على الحشائش الخضراء التي امام المنزل صيواناً كبيراً ذا قسمين وفيه فونوغراف كبير فاخذنا نسمع الادوار التركية من أنغام الاستانة ونتناول من أنواع البسكويت والحلويات المجمدة المصنوعة من الفواكه مثل التفاح والكمثرى والاناناس وأشربة الليمون واللوز والرمان والسجاير المختلفة الانواع فظننت نفسي في قاعة أعظم أوتيل وبينما كان الفونوغراف يغني أتى خدمنا وجنودنا الاحباش وأخذوا ينظرون في الآلة الحاكية فحاروا ودهشوا وأخذوا يتساءلون فيما بينهم (كيف دخل هذا الانسان في هذه الآلة) ولم يقتنعوا بكلام القائل لهم انه لا يوجد في الآلة انسان ويظهر انهم لم يروا الفونوغراف الا هذه المرة فقط والحق يقال اني أنا أيضاً دهشت ولكن من رؤية الفونوغراف في هذه الاصقاع اذ لم يكن ليخطر على بالي اني سأجد فونوغرافاً في آديس آبابا . وبعد ان أوقفنا الفونوغراف

أخذنا نتجاذب أطراف الحديث نحن والذين وردوا لاستقبالنا وقال لنا وكيل أحمد أفندي انه تخلف لاشتغاله بتزيين منزله وتهيئته في آديس آبابا وقد علمنا ان سرور المسلمين هنا من ورود الوفد السلطاني لا مزيد عليه حتى اننا رأينا البعض منهم يبكون من فرحهم وأخبرنا بان كل المسلمين القاطنين في آديس آبابا سيخرجون في اليوم التالي لاستقبالنا ولما وصلت البغالة ومعهم الاثقال نصبنا الخيام . وفي هذه الاثناء وصل أحمد أفندي عبد القادر من آديس آبابا وهو رجل على غاية من التربية والأدب والكرم وحب الخير وقد ثبت لي ذلك من أعماله ومن حسن شهادة الناس به ومما سمعته من المدح فيه والثناء عليه من أفواه الناس اثناء الطريق . وقد عجبت جداً من نشاط هذا الرجل الذي مع كثرة خدمه ومماليكه ما كان يرضى الا ان يشتغل بنفسه وقد أرانا ورقة فيها اذن من ناظر قصر الامبراطور بنزول الوفد السلطاني بمنزله عاصمة الحبشة وذلك بناء على التماسه ذلك من النجاشي . ولا يمكننا وصف ما لقيناه من الاكرام هنا والادعية التي رفعت من أجل الحضرة السلطانية . وقد أخبرنا ان الاستقبال الرسمي الذي سيقام للوفد من قبل الحكومة سيكون في المحل المسمى (چولا) الذي يبعد ساعة ونصفاً عن العاصمة

يوم الخميس ٣ حزيران (يوليو) مرحلة جولا

الادعية للحضرة السلطانية — الاستقبال بالمياه المعطرة والزهور — لقاؤنا الموسيو ايلغ — التحية الامبراطورية — المطر والبرد الشديدان — رخص الحيوانات — لماعز والغنم لا تحلب — بردعة من فضة هي مكافأة — الحيوانات الوحشية أيضاً

——

أستيقظنا اليوم مبكرين وأخذ كل منا يتهيأ ويلبس استعداداً للدخول الى عاصمة الحبشة و بعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب العربي قاصدين (چولا) و برفقتنا جم غفير من المستقبلين و بعـد قليل أقبل علينا كثير من أعيان الهنود والعرب والمسلمين الاحباش الوافدين من العاصمة وكانوا را كبين على خيول مطهمة وعليها السروج المزركشة ومرتدين بافخر اللباس وهم يطلقون بنادقهم في الهواء ترحيباً بنا . ولما اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء للحضرة السلطانية و بعد ان تم الدعاء أخذوا يرشون المياه المعطرة علينا و يعطون لكل منا باقة من الزهور ومناديل حريرية ذات روائح عطرية كما انهـم علقوا على رأس الحصان الذي كنت را كباً عليه طوقاً من الزهور ثم استأنفنا السير جميعاً و بعـد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من المستقبلين وهكذا أخذت الوفود تكثر الى ان قربنا من (چولا) فلاح لنا على بعد بضع مئات من الامتار المسيو « ايلغ » السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور منليك ومستشاره الخاص ومعه ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجاله عن الخيل فترجلنا نحن أيضاً فبعد التحايا أبلغنا ان جلالته يهدينا تحياته الخصوصية ثم قال ان الحكومة الحبشية ستستقبل الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود ورجال الحبشة . وان دخولنا الى العاصمة بصفة رسمية أيضاً وان الوفود المستقبلة الرسمية ستحضر في اليوم التالي الى هنا

وبعد ان انتهى ذلك استأذن المسيو « ايلغ » بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوته ان يقدم ويعرض بالتليفون شكري العظيم لجلالته ثم ذهب المسيو « أيلغ » ونصبنا نحن الخيام والصواوين ونزلت قافلتنا هنا لقضاء هذه الليلة وأخذت ترد الوفود أفواجاً افواجاً من اديس ابابا وكان بينهم هذه المرة كثير من الارمن والاروام وشاع بين القافلة ان الوفد لا ينزل بمنزل احمد افندي عبد القادر بل سيكون ضيفاً بمنزل احد أعيان الارمن وقد اكد لنا هذا الخبر أحد رجال معية النجاشي المسلمين وعلى ذلك ركب احمد افندي حصانه وذهب تواً الى اديس ابابا وفي الليل وصلني كتاب من الموسيو ايلغ ينفي ما أشيع ويؤكد صحة الكتاب الذي كان مع احمد افندي عبد القادر وفيه الاذن له بأن يضيف الوفد السلطاني بمنزله وفي الساعة الثامنة من النهار أخذت الامطار تنهمر بشدة فبلت داخل الخيام وتجمعت المياه في الاراضي المنخفضة والحفر التي امامنا حتى صارت كبرك وبحيرات صغيرة . وبينما كان المطر منهمراً أرسل لي أحد الاحباش قبعته لاحفظها داخل الخيمة وبقي هو (أي صاحبها) مكشوف الرأس تحت أهوال المطر . وبعد قليل انقشعت الغيوم وظهرت الشمس وأخذت تعكس حرارتها الشديدة على السهول والوديان الرطبة . وكان امامنا مراعٍ واسعة ترعى فيها المواشي وبينها كثير من الخيول الجميلة . ولا ثمن للخيل هنا أي انها رخيصة جداً حتى ان الحصان الذي يساوي ٥٠ ليرة لا يباع ولا يشرى هنا بأزيد من ست ليرات فقط . والخيل الجميلة في هذه البلاد هي التي تأتي من مقاطعة (ادال) . ورقاب هذه الخيول جميلة جداً الا ان مؤخرها غير جميل ولا ترفع اذنابها وقت السير كما ترفعها الخيول العربية الاصيلة . ولا يستطيع المرء ان يأخذ معه خيلاً من هنا الى الاستانة للموانع الكثيرة التي تعترضه كغلاء الأجور بالسكة الحديد من دريدوه الى الساحل والبواخر من جيبوتي الى السويس كما ان الحكومة المصرية تمنع اخراج الخيول الى السواحل المصرية تحوطاً من الامراض الحيوانية .

كان في صحبتي بضعة عشر فارساً من الجاندارمة الجركس لما كنت قائماً بوظيفة مد السلك البرقي الحجازي بين الشام والحجاز . وكان هؤلاء الجنود تابعين لكوكبة الجاندارمة المقيمة في لواء الكرك لذلك كانت خيولهم من أحسن الخيول العربية فاذا أراد الانسان ان يقتني واحداً من هذه الخيول بالاستانة لا يقدر ان يشتريه بأقل من خمسة وعشرين ليرة عثمانية . ولما عدنا الى سورية عن طريق البحر اضطر الجنود ان يبيعوا خيولهم الجميلة في جدّه بثمن بخس جداً لا يتجاوز ثمن الحصان الواحد ثلاث أو أربع ليرات . وذلك من كثرة المصروف في البحر والمشاق والعوائق . واهل جدة لا يحبون اقتناء الخيل لانهم يركبون الهجن .

وليس هنا أي في البلاد الحبشية طريقة للاستفادة التجارية من رخص اللحوم والمواشي سوى طريقة واحدة وهي تأسيس فابريكات (معامل) في دريدوه التي هي المحطة الاخيرة من السكة الحديد أو في (هرر) القريبة منها لعمل المحاشي المسماة (صوجوق) واللحوم المقددة المسماة (باصديرمة) من الجواميس ولعمل خلاصة مرق اللحم واصداره الى الخارج . ورغم كثرة المواشي والابقار والجواميس في هذه البلاد خصوصاً في البقاع التي مررت بها تجد الاهالي لا يعملون الجبن بل لا يستخرجون من الالبان الا السمن والزبدة فقط . ولا يستفيدون شيئاً ما من البان الماعز والضان لانهم يأنفون من حلب الماعز والضان لصغر أجسامها وقلة ألبانها ويعدون حلب الماعز والنعاج نقصاً وعيباً كبيراً ويقولون ان لبن هذه الحيوانات هي حق لصغارها . وقد كنت كلما تسنح لي فرصة اذكر لهم ان في سورية وحلب تجمع العرب ألبان هذه الحيوانات وتستخرج منها السمن حتى ان السمن الذي نأكله بالاستانة هو من البانها فكانوا يستغربون مقالي جداً . فاذا أنشئ في المحلات الآنفة الذكر معامل للجبن والسمن فانه يكون منها ارباح وافرة لان النقل منها واليها سهل بواسطة السكة الحديد ولان المراعي كثيرة فما من نفقات سوى أجرة الرعي فقط

كان اليوم بين الواردين لاستقبالنا بعض الاعيان الراكبين على براذع من فضة

وهي احسان من النجاشي لان الانسان هنا لا يقدر ان يشتري بردعة من فضة ويركب عليها مهما كان غنياً بل هذه تمنح من لدن الامبراطور كانعام على من شاء . فهي والرمح والسيف والترس تعتبر في هذه البلاد في مقام النيشان والرتبة فلا يجوز استعمالها الا اذا اهداها النجاشي لاحد الناس . وقد كثر الزوار اليوم لدرجة عظيمة حتى صار محل نزولنا كسوق عظيم . والتف كثيرون حول الفونوغراف الذي شغله احمد افندي وأخذوا يسمعون الغناء بحيرة ودهشة عظيمة . وكان من جملة ما اسمعنا الفونوغراف بعض محاورات بين حواة (مزعبر) فكان من وقت لوقت يسمع من هؤلاء الحواة قهقهة فيقهقه القوم وهم مندهلون حائرون والبسطاء منهم ظنوا ان الاصوات اصوات شخص كانت صورته مرسومةً على عدة الفونوغراف وأما الذين هم أعقل من هؤلاء البسطاء فلم يقبلوا هذا التعليل بل ادعوا ان الافرنج حبسوا شيطاناً داخل الماكينة على ان القوم بالجملة في منتهى الذكاء ولكنهم محرومون من نور العلم والمعارف ولا يعرفون ما هي المدارس

بعد الغروب أخذ الناس والزوار ينسحبون الى المدينة ولم يبق في محل نزولنا الا من كان قد أتى معه بخيمة . ولم نوقد هذه الليلة نيراناً عظيمة لان الحطب لم يكن كافياً الا لعمل القهوة وتسخين الطعام . لذلك اقلقنا الذئاب وغيرها بهجماتها طول الليل واضطررنا مراراً لاطلاق البنادق لطردها

يوم الجمعة ٤ حزيران (يونيو) آديس ابابا

السعي في بناء جامع — سرور الاهالي المسلمين — الاحتفال باستقبالنا — دخولنا الى آديس ابابا — دورغو الامبراطور — منزلنا — تاريخ الحبشة مختصراً — وصف الحبشة — الاهالي والتقسيمات الادارية ,

---

وعند الصباح ورد قبل كل الناس التجار الهنود المسلمون ومعهم صحف الورد والزهور والمياه المعطرة والمناديل ذات الروائح الطيبة و بينما كنا نشرب القهوة كنا نتجاذب اطراف الكلام فانتقل حديثنا الى صلاة الجمعة وعلمنا منهم انه لا يوجد في آديس ابابا مسجد وان المسلمين يؤدون صلاة العيد في الفضاء . وقد قيل لي ان المسيحيين في آديس ابابا من غير الاحباش مثل الكاثوليك والروم والارمن أرادوا ان يبنوا كنائس خاصة بهم فعرضوا ذلك للحكومة الحبشية فأجابتهم انكم وايانا مسيحيون فيمكنكم ان تصلوا في كنائسنا فلا لزوم لبناء كنائس أخرى . فلذلك لم يقدم المسلمون لانشاء جامع خوفاً من ان تمنعهم الحكومة كما منعت النزالة الاخرى وقد علمت منهم ايضاً ان المسلمين الذين يبلغ عددهم زهاء الفين في آديس ابابا ليس لهم مقبرة خاصة بهم بل انهم يدفنون موتاهم في منازلهم وحدائقهم . فوعدتهم عند سنوح الفرصة ان التمس من جلالة الامبراطور منح قطعة أرض لبناء جامع وأخرى لتكون مدفناً للمسلمين . فسرهم هذا الوعد أي سرور ودعوا للحضرة السلطانية وعلمت ان المسلمين في آديس ابابا كانوا منذ بضعة أيام يوالون الاجتماع في منزل أحدهم للتذاكر في كيفية استقبال الوفد السلطاني

وفي الساعة الثالثة ونصف جاء المسيو ايلغ والمندو بون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع الحرس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجود في آديس آباباوأخذ

المسيو ايلغ يعرفنا بالذين جاءوا معه وكان بينهم من الاحباش رأس ولدي حاكم مقاطعة جرد السابق والنائب الامبراطوري الآن « وغراج كزو » و « فيتوراري آبردي » قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيله « دجاج آباتا » ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن الهنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصوعي والشيخ أبو زرعة والحاج محمد أبو بكر

وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل وأخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم نقطع مسافة قليلة حتى قدم علينا المسيو مارتن ده كا الملحق الحربي في سفارة فرنسا لابساً ملابسه الرسمية لاستقبالنا من قبل الموسيو لاغرد السفير الفرنسوي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين المسيو ايلغ والمسيو مارتن ده كا وتارة بيني وبين رأس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كزمردة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين أتوا من آديس آبابا لاستقبالنا بالالبسة الرسمية الحربية فعلى رؤوس أناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين قتلوا أسداً) ومنهم من هو واضع على رأسه خوذة يتدلى منها على وجهه وصدره حلقات وسلاسل رفيعة ومنهم من هو معلق في أذنيه أقراطاً وآخرون لابسون أساور في معاصمهم وكل من هذه الاشياء هي علامة فارقة وبمثابة وسام . وأما الجنود فانهم كانوا حفاة الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا برفقتنا فانهم لابسون في أرجلهم حذاء من لباد ثخين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا آديس آبابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملآى وغاصة بالناس قد خرجوا ليتفرجوا على دخول الوفد السلطاني وليروا (الجنرال التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى

المنزل الخاص بنزولنا فترجلنا وصافحت المستقبلين وشكرتهم وطلبت الى كبار المستقبلين ان يعرضوا شكري لجلالة الامبراطور والامبراطورة ثم دخلنا منزلنا وانصرف رجال الحكومة الى منازلهم

ولم يكن النجاشي وقتئذ موجوداً في عاصمته بل كان في مصيفه في محل يسمى آديس علم وهولتا يبني بعض قصور منذ مدة . وقد أخذت رأي الموسيو ايلغ في الذهاب الى المحل المذكور لاداء ما علينا فقال لي أنتم الآن في حاجة الى الراحة من التعب الذي نالكم من هذه السفرة البعيدة وان النجاشي سيحضر بعد بضعة أيام الى آديس آبابا بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني

والمنزل الذي نزلنا به هو ملك الحاج أحمد أفندي الذي مرّ ذكره آنفاً قد خصصه الامبراطور لنزولنا فيه بناء على التماس أحمد أفندي من جلالته وكان المأكل والمشرب وكل ما يلزم لنا يأتي من قصر النجاشي . وكانت المؤن التي أرسلت اليوم عبارة من عجل كبير وثلاثة خراف كبيرة وثلاثة خراف صغيرة (قوزي) ومائة رغيف من الخبز وخمس جرار عسل وخمس جرار من المشروب المسمى (تبج) وقدرة كبيرة من السمن وقدرة أخرى من البربري (وهو صالصة الفلفل الاحمر المقلي) وأشياء أخرى . وقد أرسل محمد أبو كر على طريق الهدية ثوراً وثلاثة خراف وثلاث قزايز من الشراب وكان هذا الثور هائجاً جداً حتى ان الخدمة والجنود لم يقدروا على ضبطه فاضطروا ان يضربوا رجله بالسيف لذبحه .

ومنزلنا هذا ذو دورين مع ان جميع منازل آديس ابابا ما فيها الا دور واحد فقط ولمنزلنا بهو كبير على أطرافه شرفات واسعة والمنزل امام ساحة واسعة حيث تقام سوق المدينة والبهو الذي كان طوله ١٥ متراً وعرضه ٨ أمتار كان مفروشاً بالطنافس الجميلة وأبوابه وشبابيكه مزينة بالستائر المزركشة التي نراها عند بائعي الآثار القديمة (الأنتيكات) في الاستانة . وقد عمل صاحب المنزل الحاج احمد افندي كل ما في وسعه وأحضر كل ما يلزم لراحتنا وكان على سرور عظيم من وجود الوفد بمنزله

يستقبل الزائرين بوجه باش و يناظر أعمال الخدمة والطهاة ومحضري القهوة والخوانات (سفر الاكل) و بالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسه والناس من حوله تهنئه على نزولنا بمنزله . وقد سافرت كثيرًا وجلت في بلاد كثيرة فلم أر اكرامًا بهذه الدرجة .

قلنا آنفًا ان النجاشي لم يكن موجودًا في آديس ابابا والعادة هنا ان القادم لا يمكنه رد زيارة أحد قبل مقابلة النجاشي فلذلك عزمت أن اشتغل لحين عودة جلالته من مصيفه باستطلاع أحوال هذه البلاد وتدوينها في مذكراتي.

مجمل ماضي الحبشة

عند ما جعلت السلالة الثانية عشرة من الفراعنة الاراضي الكائنة بين الشلال لاول والثاني ولاية تابعةً للحكومة المصرية تقدمت الجنود المصرية الى أن وصلت الى سفوح جبال الحبشة وأخذت في غزو المدن والنهب والسلب . وفي زمن السلالة الثالثة عشرة تغلغلت الجنود المصرية الى ان وصلوا الى ملتقى نهر تاكازا بنهر النيل و بذلك جعلوا الحبشة شبه تابعة لمصر وانتشر الدين واللغة المصرية اذ ذاك في هذه البلاد وصارت الحبشة كولاية ممتازة تفوّض ادارتها في الغالب لامراء من أولاد الفراعنة . وقد أقام المصريون في بعض المحال من الحبشة مسلات وأبنية فخيمة وآثاراً ضخمة كالآثار المصرية القديمة . وفي سنة ٩٣٠ قبل الميلاد استقلت هذه البلاد و بين سنة ٧٤٠ و ٧٣٠ قبل الميلاد هاجم بيونكي ميامون صاحب الحبشة البلاد المصرية واستحوذ عليها و بعد خمسة عشر عاماً تقدم فرعون الحبشة المسمي ساباسون بجنوده حتى اوصل فتوحه الى ساحل البحر المتوسط وصار رسمياً في عداد الملوك العظماء واسس عائلة حاكمةً جديدةً . ولما أخذ فراعنة الحبشة من خلفاء هذا الملك يتداخلون في شؤون السوريين واليهود وقعت محاربات بينهم و بين الملوك الاشوريين فانتصر اسسار هندو أحد الملوك الأشوريين على الاحباش سنة ٦٧٠ قبل الميلاد فاوغلت جنوده في البلاد المصرية حتى وصلوا الى منفيس وفي سنة ٦٦٦ قبل الميلاد تقوى قانواتامانو ابن ساباسون المار ذكره لاسترجاع البلاد المصرية ولكن لم تبق هذ البلاد في حوزته كثيراً اذ هاجمه أسور بانيال الملك الاشوري سنة ٦٦٣ قبل الميلاد فانتصر عليه في واقعة قرب طيبه واستولى على البلاد المصرية مرةً أخرى . و بعد هذه الواقعة انزوت الحكومة الحبشية عن باقي الدول المتمدنة الموجودة اذ ذاك وانفردت

عنهم . وكانت مدينة (ناباتا) عاصمة الحبشة وقتئذ وادارتها بيد عمون والكهنة . وقد كان هؤلاء الكهنة الروحانيون مستبدين للغاية حتى ان ارادتهم كانت غالبة ارادة الملوك وحتى انهم كانوا يأمرون الفرعون من الحبشة ان ينتحر اذا لم ينفذ ارادتهم أو ان قام بعمل ضد رأيهم ثم ينتخبون آخر من العائلة الحاكمة . واستمر نفوذ الكهنة حتى أتى ارغامق الى العرش الحبشي فكسر سطوة الكهنة ومحا نفوذهم . وقد أخذ ملوك الحبشة في زمن بطالسة مصر يسعون في توسيع حدود مملكتهم شمالاً فاستولى ارغامق هذا على فيلة اعتماداً على أن أخلافه يستردون (طيبة)

ولما استولى الرومانيون على البلاد المصرية تحت قيادة غوستاف اوغوست سنة ٢٠٠ قبل الميلاد أراد ملوك الاحباش ان يؤسسوا علاقات حسنة بينهم وبين الرومانيين ولكن هاجمهم نيرونيوس الروماني سنة ٢٣ قبل الميلاد وأحرق (ناباتا) عاصمة البلاد الحبشية التي بقيت متخربة ولم تعمر ثانية وقامت مقامها مدينة (بارودا) الكائنة جنوباً والتي يسميها اليونانيون (مەروه) كعاصمة البلاد . وللسلالة الثالثة من الاحباش آثار قديمة كمعابد واهرام ومدافن أقيمت في الاراضي التي بين الحبشة وقرب ملتقى النيل الازرق والنيل الابيض . وكانت لغتهم وقتئذ هي اللغة المصرية وخطوطهم هي خط الهيروجليف . واتخذ الاحباش فيما بعد هيروجليفاً آخر ولكن متخصصي الآثار القديمة لم يقدروا على حل رموزها

وأما حدود الحبشة القديمة فانها كانت تجاوزت حدودها الحالية شمالاً كما انها كانت تجاوزت خط الاستواء جنوباً وتخطت النيل الابيض وتوابعه غرباً ويقال انها بلغت حوض السنغال والنيجر في ما وراء بحيرة (چاد) واما من الشرق فانها وقفت عند ساحل البحر الذي هو حد طبيعي فيدل ذلك على ان البلاد الحبشية القديمة كانت قد أدمجت فيها كثيراً من الاقوام والعناصر الاخرى السودانية غير العنصر الحبشي الموجود الآن ولكن أخذت فيما بعد حدود الحبشة تنكمش وتضيع شيئاً فشيئاً من بلادها الواسعة حتى انحصرت بين البحر الاحمر والنيل الابيض والسودان المصري

وزنجبار ولم ينصرم القرن الاخير الا وكانت أخرجت من يدها سواحل البحر الاحمر كله أيضاً و بقيت محصورة في الحدود الحالية التي سنصفها فيما بعد

والبلاد الحبشية الاصلية هي جبال ووهاد وحزون صعبة المرور كأنها قلاع وآطام قائمة للدفاع عن البلاد . فلذلك لم يكن فراعنة مصر يعمدون الى التوغل في داخل الحبشة بل يكتفون بارسال جنودهم برًا للنهب والسلب على طول النيل الازرق ونهر تاكازا لحد الجبال المذكورة ومن جهة البحر يكتفون بغزو مصوع وجيبوتي والسواحل الاخرى . وسكان الحبشة القدماء كانوا يشبهون في احمرار لونهم سكان البلاد المصرية والبلاد الجنوبية من جزيرة العرب .وقد كان هاجر قبل الميلاد على مدى العصور أقوام من جزيرة العرب مارين من مضيق باب المندب الى بلاد الحبشة حتى ان اليونانيين عند ما أتوا لاول مرة لاكتشاف هذه البلاد من سواحل البحر الاحمر وجدوا فيها سكاناً يتكلمون لغة أهل حمير وسبا الكائنين في جنوب جزيرة العرب

وقد احتل أمراء العرب الاقدمون البلاد الواسعة التي لم يستحوذ عليها فراعنة تابانا ومروة وجعلوها تابعة لهم وحكموها مباشرة أو بطريق الحماية من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الرابع بعده . وكانت وقتئذ مدينة (آقسوم) هي أعظم عواصم البلاد الحبشية . وكان للاحباش وقتئذ علاقات وصلات بواسطة التجارة بالمصريين والرومانيين واليونانيين الذين كانوا يردون على بلادهم وكانت الديانة الاسرائيلية دخلت اليها من اليمن قبل الاسلام والنصرانية . وأما النصرانية فانها دخلت اليها على يد الراهب فرمانتيوس الذي أرسلته الامبراطورة (الني) زوجة قسطنطين امبراطور القسطنطينية ولم تنتشر هذه الديانة في البلاد الحبشية الا بعد قرنين من دخولها على يد الرهبان الذين أرسلهم يوستنيان من مصر وهم الذين لقنوا سكان الحبشة المذهب الاوتيكوسي من الديانة المسيحية

ويقول الرهبان الاحباش ورجال الدين عندهم ان التواريخ والقيود المحفوظة

بالكنائس والاديرة تصرح بان العائلة المالكة الموجودة الآن هي من سلالة منليك ابن سليمان بن داود من زوجته بلقيس ملكة سبا وان ملوك هذه السلالة كانت فيما مضى اتخذت (آقسوم) عاصمة لملكهم . هذا ما يعتقده كبار الاحباش . وهذه الحكومة الموجودة في اقسوم لم تقدر على حفظ قوتها وأخذت بالانحطاط حتى بلغ بها الضعف الى ان طمع فيها اليهود الساكنون في أراضي (سمين) الكائنة على شمال الحبشة الى الشرق فقامت فتاة منهم اسمها (ايوديت) أو (استير) وزحفت على رأس الثوار اليهود وكانت سبباً لادخال الاراضي لحد شووا تحت حكم أولئك اليهود . وقد حكم منهم بعد أستير أحد عشر ملكاً أشهرهم (لالبلابا) الذي حكم وعاش في أواسط القرن الثاني عشر . ويقال ان لهذا الملك الاسرائيلي كثيراً من آثار العمران باقية الى يومنا هذا في تلك البلاد . وقام سنة ١٢٥٥ م ايفون عملق ملك شووا الذي هو من السلالة الحاكمة القديمة أي من نسل منليك الاول وأعاد الامن والراحة لداخل البلاد ولكن كانت السواحل كلها وقعت بيد المسلمين الذين كانوا دائماً يغيرون مع اليهود على البلاد الحبشية . وفي أوائل القرن الرابع عشر استرد آمداسيون مدينة زيلع . وقد بلغت هذه العائلة الحاكمة الدرجة القصوى من السطوة والقوة في زمن اسحاق . ولكن بعد ذلك أخذت قوتها تفتر بسبب حروب المسلمين وبسبب الفتن الداخلية . وقد غزا محمد غراني هذه البلاد وفتح القسم الكبير منها وترك حكومتها على وشك الانقراض ولم تتخلص من وهدة الدمار الا بمعاونة البورتغاليين الذين عقدوا عهداً مع الحكومة السالفة الذكر على اباحة دخول قسس الكاثوليك الى الحبشة نظير معاونتهم لها على المسلمين

وفي سنة ١٥٣٣ هاجم المسلمون البلاد الحبشية تحت قيادة أمير زيلع وداسوا امحرا وتيغري بخيلهم ورجلهم وضربوا اقسوم عاصمة البلاد الحبشية ثم عادوا متقهقرين أمام الجنود البورتغالية المتحدة مع الاحباش . وبعد ذلك قامت الفتن في داخلية البلاد الحبشية بسبب انهماك البورتغاليين لنشر الكثلكة في الحبشة فغضب لذلك

رجال الدين الحبشي فوقعت وقائع دموية بين أتباع المذهب الاوتيكوسي و بين أتباع المذهب الكاثوليكي واستمرت هذه المحاربات الدينية قرناً كاملاً و بالنهاية تيسر للاحباش في القرن السابع عشر أن يطردوا القسس الكاثوليك من بلادهم ونقلوا عاصمة ملكهم الى (غوندار) . و بعد هذا التاريخ بقيت بلاد الحبشة مغلقة في وجه الاورو بيين قرناً ونصف قرن . وفي سنة ١٧٥٠ قام قسس الكاثوليك المرسلين لنشر مذهبهم بين الاحباش فنشأ من ذلك ثورات أدت الى مهاجمة الفالين للحبشة ووقوع ثقلاها بما نوت الملك الحبشي في الاسر . وفي سنة ١٨٠٠ نجح ملك تيغري بتسكين البلاد واعادة الامن اليها ولكن الفتن والثورات عادت اليها بعد وفاته ودامت للقرن التاسع عشر فتركت اجتهاد الاورو بيين لاكتشاف الحبشة وتمدين سكانها عقيماً

وقد انقسمت وقتئذ بلاد الحبشة الى ثلاث حكومات تابعة اسماً لملك واحد وهذه الحكومات هي شووا وتيغري وامحرا . وفي سنة ١٨٥٠ قام مدير قصر أمير شووا المدعو (قاسسا) واغتصب الحكم من رأس عسلي الامير الاصلي ثم هاجم حكومة امحرا سنة ١٨٥٢ واستولى عليها كما هاجم عام ١٨٥٥ حكومة تيغري وفتحها أيضاً وأعلن نفسه في أنقوبر ملكاً باسم تيودوروس . وقد انتصر على الفالين ثم ألّف جيشاً من ١٥٠،٠٠٠ جندي وأراد أن ينظمهم على الطراز الغربي الجديد كل ذلك لاعادة سطوة الحبشة القديمة واعلاء مجدها

وكانت علاقاته بالدولة الانكليزية حسنة ولكنها ساءت هذه الصلات الحسنة فيما بعد وانقلبت الى العداوة فارسلت انكلترا في سنة ١٨٦٨ حملة حربية تحت قيادة الجنرال نايير فانهزم تيودوروس في واقعة مجدلا فانتحر . وأما الجنرال نايير فانه انسحب هو وجنوده من الحبشة في سنة ١٨٦٩ بعد أن عقد عهداً مع رأس قاسسا أميرتيغري . وفي سنة ١٨٧١ أرغم رأس قاسسا رأس غو بازية امير امحرا ورأس منليك (وهو الامبراطور الحالي) أمير شوعا للطاعة اليه والاعتراف بملكه على الحبشة كلها ولبس تاج الامبراطورية باسم يوحانس وفي هذه الاثناء قام اسماعيل باشا خديو مصر

الاسبق لضم بلاد الحبشة الى الخديوية المصرية واستولى في سنة ١٨٧٢ على بلاد بوغوس وقصبتها كره تي ولكن الحملة المصرية التي أرسلها في سنة ١٨٧٤ وفي سنة ١٨٧٦ للاستيلاء على تيغري انهزمت أمام جنود الحبشة فرجعت من حيث أتت . وحدث في اثناء ذلك حوادث ذات بال مثل عزل اسماعيل باشا ثم فتنة عرابي وظهور المتمهدي فنجت هذه الحوادث يوحانس من حملة المصريين ولكنه وقع بين مطامع ايطاليا الاشعبية من جهة وهجمات شيعة المتمهدي من جهة أخرى . أما الطليان فانهم دخلوا مصوع في شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٨٥ فارسل يوحانس عليهم حملة يقودها رأس الولد فانتصر في دوغالي على فرقة صغيرة من الجنود الايطالية . وفي سنة ١٨٨٩ انصاع يوحانس لنصائح الانكليز وتحريضاتهم فهاجم شيعة المتمهدي في القلابات حيث انهزمت جنوده وقتل هو في الواقعة نفسها . وبعد ذلك خلفه في الامبراطورية منليك أمير شوعا . وقد استفادت ايطاليا من وفاة يوحانس وانهزام جنوده ولكنها طمحت وأرادت المزيد فاعلنت الحرب على الحبشة فعادت الدائرة عليها في واقعة عدوه حيث انهزمت شر هزيمة واضطرت ان تعقد مصالحة مع جلالة منليك الذي تأيد مركزه وصار بعد ذلك ملكاً لملوك الحبشة بدون منازع وهو الآن يحكم بلاده بكل هدوء وسكون

مختصر جغرافية الحبشة

ان بلاد الحبشة يحدها من الشمال بلاد السودان المصري ومستعمرة أرتيرة الطليانية ومن الشرق المستعمرة المذكورة أيضاً والصومال الفرنسوية والصومال الانكليزية ومن الجنوب أوغادن الانكليزية ومن الغرب بلاد السودان المصري أيضاً . وهذه البلاد ليست كلها أراضي جبلية بل تحتوي على أراض مختلفة الطبيعة من حيث الاقاليم والتكون فخذ مثلاً هذه الاراضي القائمة عليها آديس آبابا والبلاد الاخرى التي على هذا السهل الجبلي فانه لا فرق كثيراً بينها و بين البلاد الباردة كما ان أراضي هرر الوسيعة التي مررنا منها هي سهول جبلية مرتفعة مناخها في غاية الاعتدال. أما الاراضي المحاذية لساحل البحر الاحمر المسماة « سمهرا » فهي منحطة وشديدة الحرارة . والاراضي الجنوبية الواقعة في جوار نهر صوبات من توابع النيل الابيض هي مستنقعات . وسلسلة الجبال الواقعة في « السمهرا » الجهة البحرية منها شاهقة جداً والجهة الاخرى تأخذ بالميل والانحدار بالتدريج و بذلك يكون منها سهل مرتفع يعلو عن سطح البحر ١٥٠٠ متر .ويوجد على هذا السهل بعض جبال وهضاب مختلفة الارتفاع والبعض منها تعرف باسم امبا وتشبه شكل المنشور القائم الهندسي و يصعد بصعوبة على بعض هذه الهضاب و بعضها يتعذر الصعود عليها . وأعالي هذه الجبال كلها سهول معمورة ذات خصب و بعضها تعلو عن سطح البحر كثيراً مثل سهول سمين وغوجام فان علو كل منهما عن سطح البحر يبلغ ٢٤ متر وعلو سهل (سوويرا) ٣٠٠٠ متر وعلوسهل رأس داشان ٤٦٢٠ متر وعلوجبل (قوللو) ٤٣٠٠متر والبحيرات الكبيرة المشهورة في الحبشة هي بحيرة (تسانا) التي ينبع منها النيل الازرق وكثير من البحيرات في الجنوب الشرقي منها

ان القسم المنحط في البلاد الحبشية حار جداً وهو خصب لحرارته مع كثرة سقوط الامطار حتى ان التمر الهندي والقصب الهندي ينبتان هنا بحالة طبيعية ويكون منهما غابات جسيمة . والقسم الوسط معتدل يحتوي على الارض التي تعلو عن سطح البحر من ١٨٠٠ متر الى ٢٤٠٠ متر وينبت فيها جميع ما ينبت في جنوب اوروبا مثل أشجار الزيتون والعنب والدرة والدخان والقهوة رما أشبه . والقسم المرتفع بارد ويعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٤٠٠ متر ومناخه جيد جداً ويُذكر الانسان بجبال وأراضي سويسرا والبلقان والألب . وقد يشتد البرد في هذا القسم لدرجة الصقيع . ويوجد في الحبشة كثير من الوديان تنتهي الى البحر الاحمر هي كترع وأنهار ولكنها تبقى يابسة في موسم القيظ . وفي الجهة الغربية يوجد غير السيول المنحدرة الى وادي النيل كثير من الانهار منها النيل الازرق ونهر اومو ومارب وتكازا واتبرة وكلها تنصب الى الوادي المذكور . ومن أنهار الحبشة المشهورة ايضاً نهر أواش ولكن اتجاه جريانه بعكس الانهار المذكورة . ويوجد غير ذلك من الانهار الصغيرة وقد مر ذكرها والمسافر في هذه البلاد مضطر لحمل ماء لمسافات طويلة

اجناس الاهالي وتقسيمات الادارة

ان سكان الحبشة ١٢ مليون نفس منها ثمانية ملايين مسلمون وأربعة ملايين مسيحيون . ويوجد ٢٥ ر ٠٠٠ اسرائيلي في جهة سامن . وينقسم الاحباش على قسمين الاول الاحباش الاصليون والثاني الفاللا . والاحباش قوم نشأوا من اختلاط وتزاوج أهالي هذه البلاد بالمصريين القدماء والاقوام السامية الوافدة من جنوب جزيرة العرب . فيشبه البعض منهم العرب والبعض يشبه السوداني . أما الذين يشبهون العرب فانهم أجمل منظراً من الآخرين ويمتازون عليهم بالشكل والهيئة واللون المائل للبياض ودقة الانوف والافواه واعتدال القامة وتناسب الاعضاء

فالذين يقطنون سهول سامن وسواحل بحيرة ت.انا هم من هذا الجنس . والاحباش لا يعدون من جنس الزنوج بل انهم معدودون من الاجناس السامية . والاحباش الاصليون يقطنون السهل الا كثر ارتفاعاً في بلاد الحبشة و يسكنون القسم الفوقاني من هذا السهل القائم كالقلاع والآطام

أما الفاليون فانهم يسكنون في القسم الجنوبي من الحبشة ولهم دين أصلي الا ان السواد الاعظم منهم تقلد الاسلامية و بعضهم تقلد المسيحية وقد نشأ هذا القبيل من تمازج الاحباش والزنوج والصوماليين وهم منتشرون في الحبشة الجنوبية و بلاد الصومال وأوغادن حتى منطقة البحيرات . ويحزر عددهم بسبعة ملايين الى ثمانية وقد كانوا أسسوا فيما مضى حكومة قوية في قتيار وأخذوا يدخلون بلاد الحبشة في القرن السادس عشر . ولون البعض منهم يشبه الاحباش والبعض يشبهون السودانيين وقاماتهم معتدلة وأجسامهم قوية جداً . وهم نشيطون وقد سبق ذكر ذلك آنفاً . ومن الفاليين من يشتغل بالزراعة والفلاحة وهم المتحضرون ومنهم من لا يزال في حالة البدو وكلهم أهل جسارة وضرب وطعان . وكلهم على جانب عظيم من الذكاء ولهم قابلية عظيمة للتربية والتعليم . كان يترجم الاولاد الفاليون محادثتنا مع الصوماليين الذين لا يعرفون التكلم باللغة العربية . والفاليون ينقسمون تقريباً الى ٦٠ قبيلة ولهم احترام عظيم لرؤساء القبائل والمسلمون منهم يتعيشون من الزراعة والمواشي

أما الاحباش فانهم شغفون بحمل السلاح والحروب وهم على جانب عظيم من الذكاء والجسارة . وكثرة الحروب الداخلية ناشئة من ميل هؤلاء الى الضرب والطعان . وا كثر اشتغالهم بالمواشي على انهم لم يهملوا الزراعة والفلاحة بالمرة وهي في غاية البساطة عندهم يستعملون في الزرع والفلاحة آلات خشبية . وقد سمعت من أرباب الوقوف انه لم يزرع من الاراضي القابلة للزرع في بلاد الحبشة الا نحو الربع وأظن ان هذا القول صحيح لما رأيت . و يتغذى الاحباش بالحبوب والالبان واللحوم ولا يقبل على المأكولات والمشروبات الواردة من الخارج الا أهل الثروة والوجاهة

منهم . والصناعات عندهم تطرية الجلود ودبغها وصنع الاسلحة الجارحة وحياكة بعض الانسجة الغليظة من القطن والصوف وكانت المنسوجات الوطنية رائجة وكافية لحاجة أهل البلاد ولكن لكثرة دخول المنسوج المسمى (بفتة سمراء) تغلب على المنسوجات الوطنية برخص ثمنه وصار الناس يقبلون عليه

هذا والحبشة ولايات متعددة ممتازة كل واحدة منها مستقلةفي ادارتها الداخلية وتدفع اتاوة سنوية للنجاشي واكبر هذه المقاطعات هي : شووا ، وامحرا ، وتيغري ، وهرر ، وغوجام ، وجمابا جفر . والمقاطعات الصغيرة هي : في الشمال همازن ، واوحماسين ، واغامة أو عقامة ، وساروري ، وشيري . والمدن الشهيرة التابعة لها هي : آقسوم ، وآدووا ، واندرتا . والمقاطعات التي في البلاد المتوسطة هي : واغفاره ، وسه‌من ، ووهه ، ولاستا ، ودمبه‌آ . ومدنها المشهورة هي غوندار والاقا . والمقاطعات التي في الجنوب هي : داموت وكافقا وغوراغه ومدنها الشهيرة آديس آبابا القائمة مقام انكوبر والتي هي عاصمة البلاد كلها . والمقاطعات الكبيرة ترتبط مباشرة بالامبراطور وترجع اليه في شؤونها من غير واسطة ويدير كل مقاطعة رأس والمقاطعات الصغيرة يديرها مأمور برتبة أصغر . وهذا الترتيب أشبه باصول الحكومات القديمة التي كانت تسمى Feodalisme لان كل مرؤوس لا يعرف سوى رئيسه الذي عينه في وظيفته وله ان يأخذها منه متى شاء فالرأس كأنه حاكم مستقل في دائرة حكمه يدير شؤون البلاد الملكية والعسكرية كما يشاء وللرأس ان يحارب الاجانب كما ان الرؤوس كثيراً ما يحارب بعضهم بعضاً أيضاً . ومن حقوق الرأس ان يفرض على الناس ضرائب حسب رغبته ويشتري الاسلحة وبالجملة ان الرأس مع كونه تابعاً للامبراطور هو حاكم مطلق التصرف . وعلى الرأس ان يؤدي الاتاوة الى الامبراطور وان يطيع أوامره في تعبئة الجيوش وسوقهم الى ساحات القتال وقت الضرورة . وبعض الاحيان يعطى لقب (نفوس) أي حاكم أو ملك لبعض كبار الرؤوس ولقب الامبراطور هو (نفوسي نفسي) أي ملك الملوك وهذه الالقاب التعظيمية خاصة فقط بالكتابة وأما الامبراطور

فانه معروف بين الناس بلقب (جانهوي) . والامبراطور الحالي هو صاحب ومالك مقاطعة شووا فهو في آن واحد امبراطور الحبشة وملك مقاطعة . وكثيرًا ما يتعدى الرؤوس على بعضهم عند ما يجد الواحد منهم عنده قوة كافية لذلك لاغتصاب بلاد الآخر ونزعها من يده وقد يثورون في وجه الامبراطور نفسه لان الامراء أي الرؤوس لا يهمهم سوى الاشتغال بتزييد قواهم وسطوتهم العسكرية وبالحروب والضرب والطعان بدلاً من ان يشتغلوا بانماء ثروة البلاد وباحياء الزراعة والتجارة وبتوفير أسباب سعادة الاهلين . والسلم ولامن موطدان الآن في داخل الحبشة وجميع الرؤوس والامراء منقادون للامبراطور تمام الانقياد وخاضعون لاوامره فليس لهم أدنى علاقات مع الخارج أي الاجانب وبعض كبار الاحباش الذين لا تأمن الحكومة الحبشية جانبهم وتشك في صدق اخلاصهم مبعدون في محلات بعيدة ومنفردة وهم دائماً تحت المراقبة الشديدة ومن هؤلاء رأس سابات ورأس منفاشا ولد يوحانس فان منفى الاول في هرار والثاني في انكوبر

السبت ٥ حزيران (يونيو) آديس ابابا

الجنازة — الدفن — البكاء بالاجرة — المأتم — الميراث — التواضع امام الكبار — المسلم والمسيحي لا يأكلان على مائدة واحدة – امراء جماجفر – الطغراء السلطانية – بعض اصناف من اطعمة الحبش — كيفية عمل المشروب المسمى تيج – برز — العسل الطبيعي – تأسس آديس ابابا – الطريق ينشأ .

في الصباح حضر لعندي رجل من قبل راس ولدي للسؤال عن صحتي وراحتي ثم بينما كنت في غرفتي سمعت صياحاً من الخارج فخرجت الى الشرفة لاستطلاع الخبر واذا بجنازة رجل مسيحي امامها بعض قسس متعممين بعمامات بيضاء على لباد طويل ووراء الجنازة كثير من النساء يقفزن في سيرهنّ ويصحن على نغم واحد قائلات ويح ويح ويح وعند ما يقفزن تروح أيديهن وتجيء كأيدي الجنود التي تمشي مشياً سريعاً (جمناستيق آديم) . ويحمل النعش المغطى بغطاء أبيض أربعة أشخاص على اكتافهم . والمسلمون هنا يكفنون ويدفنون موتاهم على الوجه المعلوم عندنا وأما المسيحيون الاحباش فانهم يلفون الميت بالاقمشة لفاً كما كان يفعله المصريون القدماء بلف مومياتهم . واذا كان الميت من ذوي المكانة يستأجرون نساء للعويل والبكاء يسرن وراء الميت هذا عدا النساء ذوات القربى للميت . ويمشي الرجال وراء النساء وبعد وضع الميت في قبره يأخذ أقارب الميت بالبكاء والصريخ حول القبر مدة ساعة وهم يقفزون ثم يوارونه في التراب . ويدفن الاغنياء منهم بتوابيتهم . وبعد الدفن يذهب المشيعون الى منزل الميت وهناك يستمر البكاء والعويل مدة أسبوع وقد يستمر اكثر من ذلك على حسب الحال . وفي اثناء هذه المدة يأكل اقرباء الميت واوداؤه المآكل الفاخرة ويشربون المشروبات النفيسة وهذه المآتم التي تكون بحسب مكانة المتوفي لا تقل عن احتفالات الافراح فيصرفون المال بسخاء واسراف

ويعاد هذا الاحتفال يوم الاربعين أيضاً . ويحلق النساء القريبات للميت وسيما الزوجات رؤوسهن ويكوين جباههن وخدودهن بحديدة حامية لدرجة الاحمرار علامة على الحداد على ميتهن . ومن العادات هنا ان الزوج والزوجة يرث كل منهما الآخر وبعد وفاة الاثنين ينتقل ما يملكانه الى اولادهما وتأخذ البنت كما يأخذ الصبي بالمساواة وانما على الورثة قبل تقسيم الارث ان يؤدوا مصروف المأتم والجنازة واذا لم يف الارث المتروك بهذه النفقات يضطر الورثة أن يؤدوا ما بقي من جيبهم . لانه من الواجب أن ينفذ حكم العادات . واذا كان الميت لم يترك وصية فان الكلام الذي فاه به الى القسيس الذي اعترف اليه لآخر مرة قبل موته يقوم مقام الوصية . والقسيس يعلن للاقرباء والناس ذلك بعد وفاة المعترف .

ولما أتممت تدوين ما حققته بخصوص الموتى والمآتم حضر المسيو ليشين ترجمان سفير الروسيا للسلام علينا من قبل السفير . وبعد قليل ورد لزيارتنا آتو باشا بالاينتخ الذي كنا تعرفنا به في مرحلة تاديجامالكا وقد كان اكرمنا غاية الاكرام وأراد أن يهديني بغلاً . وقد كنت رأيته في تاديجامالكا بملابس ثمينة وعلى رأسه قبعة جميلة وعليه ثوب من الجوخ الاسود داخله بالحرير . ولكن لما ورد لزيارتنا هنا رأيته بعكس الهيئة المذكورة اذ كان حافي القدمين ، مكشوف الرأس وملابسه قميص ولباس مصنوعان من البفتة السمراء وعليهما ثوب من اللباد العريض . وجلسنا نتكلم وكان صاحب المنزل يترجم كلامنا فسألت المترجم عن سبب ذلك من غير ان يشعر الرجل فقال انه عند ما يكون في العاصمة يضطر لمقابلة كثير من الرؤساء والامراء فلذلك يرتدي بالملابس البسيطة اظهاراً للتواضع والخضوع والاطاعة حتى ان بعض الاغنياء منهم يتظاهرون في بعض الاحيان بالفقر والفاقة امام الرؤساء وهذا يعد من جهة تواضعاً ومن جهة أخرى باباً للوصول الى السلامة من طمع الطامعين . وقد ترك زائري جميع خدمه وبغاله في شولا وحضر وحده الى آديس ابابا .

وفي اثناء الكلام انتقل حديثنا الى خصوبة اراضي الحبشة فعلمت ان الاراضي

هنا تعطي في السنة مرتين من المحصول وفي بعض الاحيان ثلاث مرات وان كروم العنب تثمر مرتين أيضاً في السنة كما ان الغنم والبقر تلد مرتين. وقد كان الوقت الآن وقت طعام الغداء فأردت ان أدعو الاتو الى الطعام فقبل دعوتي بتردد وتحرز. فلما آن وقت الجلوس على المائدة رأيت ان الموكلين بالموائد رتبوا مائدة خاصة بالاتو غير مائدتنا. فسألت عن سبب ذلك فقالوا ان المسيحيين في الحبشة لا يأكلون مع المسلمين على مائدة واحدة وكل من الفريقين لا يتناولون شيئاً من ذبائح بعضهم ولا من آنيتهم. فلذلك رتبوا مائدة للأتو ووضعوا عليها ما كل واردة من أوروبا ضمن صفايح. وأظن ان هذه العادة أخذها الاحباش قديماً من الاسرائيليين وبعد الظهر ورد لزيارتي سليمان أخو محمد بن داوود أمير مقاطعة جماباجفر وولي عهده (وهو ابنه) عبد الرحمن وابنه الثاني عبد المجيد. وقد كانوا علموا اني على الطريق واني سأصل قريباً الى عاصمة الحبشة لذلك أتوا من بلادهم بصفة خصوصية لزيارتي. وسليمان هذا لا يتجاوز عمره خمسة وثلاثين وعمر ابنه عبد الرحمن اثنان وعشرون سنة وعبد المجيد كان في السابعة عشرة من سنيه.

ليس الشرف باللباس فهؤلاء الزائرون على غاية من بساطة الملبس ولكن سيماء النجابة والحسب كانت بادية على وجوههم. وأخذوا يسألونني باللغة العربية التي كانوا يجيدونها هل حججت أم لا وما هي المسافة من الاستانة الى هنا ومن الشام الى مكة المكرمة وما هي جسامة الاستانة وانتظامها وأسئلة أخرى عن مكة والمدينة. وقد أظهروا شوقهم الشديد لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة وعاصمة الخلافة الاسلامية. وقد علمت انهم درسوا اللغة العربية وانهم يعرفون الكتابة والقراءة. وبينما كنا نتكلم فتح أحدهم ساعته وسألني عن الماركة (شارة الفابريكة). وكان في محل الساعات صورة الطغراء السلطانية. فاخذت أشرح لهم معنى هذا الشعار فلما فهموا ما هي الطغراء صاروا يقبلونها ويضعونها على رؤوسهم فارتفع بنظرهم قدر الساعة. وهنا ندمت على عدم أخذ بعض لوحات مطبوع عليها الطغراء العثمانية فانها كانت تصير

هدية فاخرة تقدم لمن أتعرف بهم من اكابر المسلمين هنا

وقد سمعت من أحد التجار لما كنت في سياحة الصحراء الكبيرة انه كان أدخل مرة لوحات عليها الطغراء السلطانية الى أواسط افريقيا وانه باعها جميعها للاهالي وربح بذلك مالاً كثيراً . وقص لي أيضاً الموسيو فامبيري المستشرق المجري المشهور انه كان معه في سياحته في بلاد تركستان في أواسط آسيا جواز عثماني (بسابورت) وعليه الطغراء السلطانية فكان الناس يأتون لزيارة هذه الطغراء من مسافة ثلاثة أيام وانهم لا يقتربون من الجواز ويمسون الطغراء الا بعد ان يجددوا الوضوء فالله المسئول ان يبقي هذا الاسم الكريم ويؤيده بتوفيقاته الالهية

واستحسنوا منظر الطربوش الذي كان على رأسي وأظهروا ميلهم لوضع الطربوش على رؤوسهم وان يتعمموا عليه فلذلك أوصوا زكريا أفندي الالباني ان يستحضر لهم من الخارج طرابيش ليضعوها على رؤوسهم. وأردت ان أهديهم من طرابيشي ولكن كانت كبيرة على رؤوسهم . ثم أخذنا نتمشى على الشرفات المشرفة على محل السوق المار ذكره المقصود هذا اليوم (السبت وهو يوم انعقاده) وهو يكتظ بالوف من الناس فكنا نرى جميع ما يباع امامنا من المواشي والطيور الاهلية والحبوب والفلفل الاحمر . وبعد ان تكلمنا مدة أخرى قاموا واستأذنوا بالذهاب وغدوا يدعون للحضرة السلطانية . وقبل ان يبرحوا صورتهم بالفوتوغراف ولكن كان الجو متلبداً بالغيوم فلم تطلع رسومهم جيدة

بينما كنا اليوم على المائدة انتقل حديثنا الى اطعمة الحبشة . ان طعام الاحباش متنوع ولكن الطعام اليومي للأكابر منهم هو أولاً المسمى (زيتي) وهو لحم يقلى بالسمن ويوضع فيه كثير من الفلفل الاحمر حتى ان الناظر اليه يظن انه مطبوخ بالطماطم (بندوره) . ثم ما يسمونه (تسمى) ويشبه اللحم المشوي . ثم اللحم النيء يغمسونه في الفلفل الأحمر ويأكلونه من غير خبز . ويسمون هذا النوع (برندو) وللأحباش نوع آخر من الطعام منتشر بين طبقات الناس كلها ويسمونه (سيرو)

وهو عبارة عن عجين يطبخ بالماء و يضاف عليه الفلفل الاحمر وهذا هو طعام الأحباش الوطني وهو يشبه العصيدة التي يطبخها الجواري السود عندنا . والأكابر يعالجون السيرو بدقيق العدس أو دقيق الحمص والفقراء يطبخونه بدقيق الفول وقد قيل لي ان بعض الناس يطبخه بدقيق بزر الكتان. وهناك اصناف اخرى من المآكل مثل (امباشا) وتعمل من دقيق القمح وتطبخ بالفرن مثل الخبز . و (دابو) وتعمل من دقيق الحنطة أيضاً . و (غوتنفو) وهي عبارة عن عجين يحشى قطعاً مفرومة من اللحم ويقلى بالسمن . و (كلكل) وهي نوع من اللحم المسلوق . والأحباش يأكلون اللبن الحامض المعمول من غير غلي ولا خميرة بعد ان يضعوا فيه فلفلاً احمر . ومرقة هذا الفلفل تقوم مقام الأدام عند الفقراء وبالجملة ان الفلفل الاحمر في كل شيء ولذلك يدخره كل صاحب منزل في اوانه بالقناطير ويعملون منه ضرباً من المرقة (صالسه) تشبه مرقة الطماطم (البندوره) يغمسون فيه الخبز المسمى (انجره) ويأكلونه والفقراء يسرهم جداً هذا الأدام وكان بين المؤن التى وردت لنا البارحة من قصر النجاشي بضع جرات من هذه المرقة . لذلك لم يكن لخدمتنا وجنودنا من شغل سوى تغميس اللحم النيء في مرقة الفلفل المار ذكره واكله بكل سرور . ويعمل الاحباش انواعاً من العصيدة من دقيق الذرة والفاصولية والشعير والدف والحنطة ويكثرون من وضع الفلفل الاحمر في هذه الاطعمة حتى انه لا يتأتى لامثالنا ان يضعوا منه ولو قليلاً في فمهم بل لا يستطيع احدنا وضع أصبعه فيه لانه يفعل مايفعله الخردل ويعملون نوعاً من الفطير يسمى (برانجيرا) وهو يشبه (البغاشه) ولهم نوع من البسكويت يهيئونه لاجل الاكل في أسفارهم وتكون كل قطعة منه بقدر البندق ويكون داخله ملآناً بالعجين ويسمونه هنا (دانفلو) وكيفية صنعه انهم يجعلون العجين فتائل طويلة ثم يقسمونه قطعاً كروية ثم يحمصونها على الصاج ويبيعونه في الاسواق كما يباع عندنا ولم اقدر على اكل واحدة منها من كثرة الفلفل الاحمر الموضوع فيه . ويعملون نوعاً من اللحم المقدد (باصدرمه) يأكلونه في أسفارهم اذا لم يوجد لحم . وقد رأيت بغالنا يعدلونه مراراً . وكيفية عمله

انهم يقطعون اللحم قطعاً طويلة قليلة العرض حيث تشبه سيور الجلد ويعلقونه على الجبل ولا يأكلونه الا بعد ان يغمسوه بالفلفل الاحمر . والفقير من الاحباش لا يلتفت الى وجود الملح وعدمه (الملح هنا غال جدًا) ولا يخطر في باله ما دام الفلفل الاحمر موجودًا .

عندنا كثير من المشروبات المسمى (تج) و(برز) في أوانٍ من البلور وموضوعة دائماً على الموائد أو على الترابيزات في الغرف وكلها أرسلت مع المؤن من القصر الامبراطوري . والبرز في غاية اللذة والنفع وقد سألت كيف يصنع التيج والبرز فقيل لي يضعون في القدور المصنوعة من الفخار المسماة (غومبو) قسماً من العسل وخمسة أقسام من الماء ثم يضعون عليه مسحوق نبات يسمى (كچو) الذي يشبه الدفل ليسرع تخمر المشروب . ويضعون فيه ايضاً جذور نوع من الشجر فيجعل لون المشروب مثل لون الشامبانيا مصفرًا ورائقا جدًا . ثم يغطون القدرة بغطاء محكم ويطلون أطراف الغطاء بالطين منعاً لدخول الهواء والنمل فيها وتوضع القدرة في المحلات الحارة بالشمس . وأما في البلاد الباردة أو اذا كانت الشمس قد حجبتها الغيوم فانهم يضعون القدرة على الرماد الحار أو حيث توقد النيران في المطبخ . ويفتح غطاء القدرة بعد خمسة أيام وتطفو قطع الكچو والشمع فيصفى بعد هذا بقماش رقيق فهذا هو الشراب المسمى (تج) . واذا لم يحكم غطاء القدرة احكاماً جيدًا فان المشروب يكون خلاً شديد الطعم . وأما البرز فانه مشروب المسلمين ولا يوضع فيه نبات (كچو) ولا يخمرونه كثيرًا وهو ألذ من عصير العنب المسمى (شيره) ويشربونه مكان الماء . ولهم شراب آخر اسمه طاللا هو بيرة الاحباش الوطنية كما ان نبيذهم الوطني هو (تج) فالكبار يشربون كل يوم هذا المشروب خصوصاً في الافراح والاحتفالات فانه يصرف منه كثير وهم يشربون كثيراً حتى يغدو باكوس آله الخمر شاكرًا لهم (!) وسنذكر فيما يأتي ان ونوس اله الجمال يسر جدًا أيضاً من بلاد الحبشة كما يسر باكوس . وكان الاحباش عموماً يشربون التج في آنية من

القرن ولما أخذت أواني البلور ترد من أوربا مثل الاقداح والجامات أخذ الاكابر يشربون بها على ان أوربا ترسل الآن الى الحبشة قروناً من الحديد مطلية لتزاحم في هذه البلاد تجارة القرون أيضاً . والقوافل تنقل مياهها بقرون كبيرة وأما في منازل الرؤوس فان الانسان يشاهد أواني البلور الخالص عليها نقوش بماء الذهب. ويسمي أهالي تيغرى التج (ميهز) . والعسل كثير جداً في الحبشة ، جنيه دائماً عقب موسم الامطار . والاحباش لا يكلفون أنفسهم بتربية النحل بل هو ينمو من نفسه بحالة طبيعية وتجد النحل يتجمع في شقوق جذور الاشجار التي طرأ عليها الفساد وتصنع العسل هناك والناس يبحثون عن عسل النحل ويجدونه بدلالة صنف من الطير يحب العسل كثيراً فيشتغل دائماً بالبحث عنه واذا وجد بعض الخلايا فانه يصعد الى أعلى الشجرة ويطفق يغرّد ويغني مسروراً فيسمع صوته القائمون بالبحث عن الخلايا فينحون تلك الجهة ويشعلون ثمة النار حول الخلايا فتطير النحل من الدخان ويبقى العسل غنيمة سهلة الاخذ . فمسكين أنت أيها الطير تكتشف ليستفيد غيرك كأنك تريد ان تشير الى ان الذين لم يستفيدوا من اكتشافاتهم ليسوا في أوروبا فقط بل يوجد منهم في أفريقيا أيضاً !

**

ان النساء في الحبشة يقمن بتدبير أمور المنزل كلها ولا تأنف زوجة اكبر كبير من النزول الى المطبخ لمعالجة المآكل . حتى ان الاميرة وزروزوديتو كريمة النجاشي منليك وزوجة رأس قوقسان عندما تزور قصر والدها تنزل للمطبخ وتطبخ طعام والدها بنفسها . فلتعش هذه الاميرة . وحبذا لو ان نساء المتوسطين عندنا فضلاً عن نساء الاكابر يطبخن طعامهن للتخلص فقط من دلال الطاهيات وسرقاتهن واسرافهن

**

كانت مدينة (انكوبر) فيما مضى عاصمة مقاطعة شووا ولكن نقلها النجاشي قبل عشرين سنة الى أنتوتو الكائنة على الجبل المرئي من أمام منزلنا . وهذا الجبل يعلو عن سطح البحر ٣٢٠٠ متر فلذا كان شديد البرد وكثير الغيوم ولما بنت جلالة

الامبراطورة تاتيو قصراً في السهل الذي على سفح الجبل المتبعد عن أنتوتو بمسافة ثلاث ساعات حيث أعجبها المناخ والموقع اخذت تنتقل حاشية الامبراطور بالتدريج من أنتوتو الى المحل المذكور حتى أصبحت عاصمة البلاد وقد كانت الامبراطورة سمت قصرها هذا (آديس آبابا) فلذلك أطلق هذا الاسم على العاصمة التي أنشئت حديثاً كما ذكرتها . وكلمة (آديس) هي أمحرية ومعناها جديد وقد حرفت من حديث العربية ومعنى (آبابا) هو الزهر فيكون تعريب الكلمتين (الزهرة الحديثة) .والمدينة ذات تعاريج صعود ونزول لانها مبنية على هضاب ومرتفعات متعددة . ومباني العائلة الامبراطورية في احدى هاته المرتفعات ومباني الرؤوس وأركان المملكة والامراء في الذرى أيضاً ومن حولهم منازل حاشيتهم وخدمهم فلذلك تجد منازل المدينة وخططها بعيداً بعضها عن بعض وكأن المدينة معسكر لا مدينة . لان الرؤوس والامراء الذين يسكنون المقاطعات دائماً والذين لم يكن لهم منازل في العاصمة عند حضورهم الى آديس آبابا يضربون الخيام في الفضاء لنزولهم ونزول جنودهم وحاشيتهم كما ان التجار والقوافل التجارية الآتية من الداخل أو من الساحل تنزل في المضارب أيضاً فالمدينة مؤلفة من منازل وخيام . وعدد سكان آديس آبابا يبلغ الآن ٥٠٠٠٠ تقريباً . وقد كان النجاشي أنشأ قصراً سماه (آديس علم) أي العالم الحديث على بعد خمس ساعات من العاصمة ثم أنشأ قصراً آخر بين القصر المذكور و بين العاصمة وسماه (الجنة) واتخذ هذين القصرين متنزهاً له وأخذ ينشيء طريق شوسه من العاصمة الى المتنزهات المذكورة و بهذه الوسيلة تنشيء الآن الحكومة الحبشية الطرق في نفس العاصمة وتفتح الشوارع . والمهندسون المشتغلون بها كلهم من الافرنج والفعلة من الاهالي يشتغلون بالسخرة و يطلب منهم ان يتمموا ما حوّل عليهم عمله من غير التفات الى وجود العدد والاوائل أو عدم وجودها فلهذا نرى الفاعل هنا يقلع الاحجار بعصاة وضع على رأسها قطعة حديد لعدم وجود المقاليع الحديدية ونرى الآخر هناك ينقل الاحجار قطعة قطعة على رأسه وهذا ينقل التراب في ذيله كل ذلك لعدم وجود

غدد وعربيات يد تسهل النقل . ومن هذا نجد ان العمل الذي يقوم به خمسة أشخاص عندنا لا يقوم به أربعون فاعلاً هنا وهم يستخدمون في الاشغال الشاقة المسجونين مقيدين بالسلاسل ويراقبهم نظار بيدهم السياط

ان آديس آبابا تعلو ٢٧٥٠ متراً عن سطح البحر ولكوننا في موسم الامطار التي لا تنقطع يوماً كنا مرتدين ملابسنا الشتوية ومع هذا كنا نحس بالبرد القارس . وابنية آديس آبابا طابق واحد أرضي ما عدا قصر الامبراطور وبعض دور السفارات الحديثة النشأة ومنازل بعض التجار الواردين من الخارج فانها طابقان

يوم الاحد ٦ حزيران (يونيو) آديس ابابا

ظهور زنديق — الطرق الصوفية في الحبشة — التحية الامبراطورية — زيارة الارمن لنا .

وفي الصباح ورد الشيخ محمد سعيد يحيى الجبرتي لزيارتي . واصل هذا الشيخ من غوندار عاصمة الحبشة القديمة وكان بين الذين هاجروا الى السودان للاضطهاد الذي وقع فيه المسلمون في زمن الامبراطور يوحانس ليكرهوهم على تغيير دينهم الاسلامي. وقد مكث الشيخ سعيد عند المتمهدين ما يقرب من عشرين سنة وقص لنا الحروب التي وقعت بين الاحباش والمتمهدين. وسنوردها في آخر هذا الفصل .

وقد وصل الى آديس آبابا منذ مدة ليرفع شكواه الى الحكومة ضد رجل زنديق يسمى زكريا ظهر في شوقوله قرب غوندار . وقال لي ان زكريا هذا يدعى النبوة ويفسر القرآن كما يشاء ويغير قواعد الدين على النحو الذي يميل اليه الجهلة الذين اتبعوه فجعل الصيام الى الظهر وأباح المسكرات والفسق والفجور بالنساء وبلغ عدد أتباعه أربعة آلاف . ويخشى الشيخ محمد سعيد بسببه فتنة بين المسلمين تشبه فتنة المتمهدي فلذلك أتى الى آديس آبابا ليرفع شكواه الى رأس قوقسان حاكم المقاطعة التي فيها غوندار وتوابعها . وقال لي الشيخ محمد سعيد ان الذين نشروا الديانة الاسلامية في الحبشة هم الجبرتيون وان الجبرتي المؤرخ المصري المشهور هو من أرغوبه وان المتمهدي قتل كثيراً من الاحباش المسلمين الذين هاجروا الى السودان ولم يؤمنوا به وان الاحباش المسلمين هم على المذهبين الحنفي والشافعي وان اكثرهم ينتمي للطريقة القادرية وفي الدرجة الثانية عندهم الطريقة الختمية والشاذلية. وقد سمعت كثيراً ذكر اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في الاناشيد التي كان المسلمون هنا ينشدونها .

كان الطقس اليوم بارداً ورطباً جداً . ومنذ وصولنا الى آديس آبابا لم أذق لذة الدفأ . الامطار متواصلة مع كثرة سقوط الصواعق التي كثيراً ما ينجم عنها ضرر . وقد أصابت قبل بضعة أيام ثلاثة اطفال كانوا في الغيطان فقتلت اثنين منهم وبقي الثالث يهز رأسه دائماً كأنه مصروع .

وبعد ذهاب الشيخ محمد سعيد حضر لعندي الموسيو ايلغ وبلغني سلام جلالة الامبراطور الوارد اليوم بالتلفون وان جلالته يسأل عن صحتنا وراحتنا . كما وأنبأنا الموسيو ايلغ ان الحداد سينقضي في هذين اليومين فيحضر جلالته الى العاصمة لمقابلتنا وذلك ان أحد أحفاده توفي قبل مدة وكان محبوباً جداً لديه فقام البلاط واكابر البلاد والاهالي بالحداد

وبعد الظهر جاء يزورنا اكابر الروم والارمن الموجودين هنا . والارمن كانوا قد هاجروا الى الحبشة بعد الوقائع المعلومة فحضر منهم ما ينيف على ثلاثمائة شخص الى آديس آبابا ومع بعضهم نساؤهم وآخرون منهم هاجروا بغير نساء. وكثير منهم نادمون على ما سبق منهم وناقمون على الذين غشوهم وخدعوهم . وقد وجدتهم يتحسرون ويتأوهون عند ما يذكر امامهم اسم الاستانة والاناضول . وقد اعترف بعضه بخطأهم وبصبر الدولة ومرحمتها . ولكن ما الفائدة (بعد خراب البصرة) . وعلمت ان هؤلاء الارمن القاطنين هنا أرادوا أن يؤلفوا جمعية منهم يكون لها مجلس ادارة وادارة خصوصية . ولكن الامبراطور قال لهم يلوح لنا انكم من الذين طبعوا على الشر ولولا ذلك لما كانت دولتكم قذفت بكم الى خارج وطنكم . فيجب ان تأتونا بكفالة إما من الدولة العثمانية أو من احدى الدول الاجنبية والا فاخرجوا من بلادي) فاضطروا ان يطلبوا من جلالته مهلة بضعة شهور ليتمكنوا من الكتابة الى البطرك بطلب الكفالة .

**
*

اليوم يوم أحد فلهذا كانت ساحة السوق التي امام منزلنا خالية خاوية على خلاف

ما كانت عليه البارحة . وقد علمت ان هذه الساحة يشنق فيها المجرمون فيلقون المحكوم عليهم بالاعدام على الاشجار الموجودة فيها فعسى ان نبرح هذا المكان قبل ان نرى في هذه الساحة ما يزعج منظره .

انواع العقوبات و (افانفوس)

ان العقوبات في بلاد الحبشة ترتب كما ترتب في البلاد الاخرى حسب الجناية والجنحة والمخالفة وانما عقوباتهم شديدة كشدة طعم الفلفل الاحمر عندهم . فالمخالفات عقوبتها بالسوط فيربطون يدي ورجلي المحكوم عليه بسيور من الجلد او بالحبال ويكب على وجهه ثم يأتي أربعة من الرجال ويشد كل واحد منهم الحبل أو السير شداً متيناً حتى يخيل للناظر ان أعضاء المحكوم عليه سينفصل بعضها عن بعض ويعلو جسمه عن الارض من شد الحبال وبعد ذلك يأخذ الجلاد يجلده بسوط طويل على أفخاذه وظهره وسائر جسمه العاري عن اللباس

وعقوبة السرقات قطع الايدي والارجل ويأتي أقرباء المحكوم عليه او من يحب ان يعمل عمل خير بقليل من الزيت ويغلونه على النار أو يحمون حديدة لدرجة الاحمرار قبل تنفيذ الحكم فعند قطع اليد او الرجل يضعون محل الجرح في الزيت المغلي او يكوونه بالحديدة الحامية لانه اذا لم يعمل ذلك ويترك الجرح كما هو يموت من كثرة نزيف الدم من الجرح واكثر المحكوم عليهم يموتون بعد التنفيذ . وقد كان الطليان لما حاربوا الحبشة جمعوا كثيراً من المتطوعة بالاجرة من سكان مصوع وما جاورها من البلاد فوقع كثير من هؤلاء في أسر الحبشة فعدوهم خائنين لوطنهم وحكموا عليهم بقطع يد ورجل كل واحد منهم فمات اكثرهم .

أما القتل فعقوبته القتل اذا لم يرض ورثة المقتول بالدية فيسلم القاتل اما الى الجلاد مباشرة واما الى الورثة . فاذا سلم الى الورثة يقتلونه بمثل ما قتل اي اذا كان قد قتل بالرصاص

يقتلونه بالرصاص وان كان قتل بالسيف فبالسيف . وكثيراً ما يتجاوز الورثة في تنفيذ هذه الاحكام حدود الانسانية فيمثلون به تمثيلاً شنيعاً ويعذبونه . وأما اذا رضي الورثة بالدية فعلى القاتل ان يدفع الدية الى ورثة المقتول واذا لم يكن عنده دراهم في الحال يعطى المهلة التي يرضى بها الورثة واذا لم يقدر على تأدية الدية عند حلول الاجل يقتلونه ولكن هذا يندر وقوعه لان الناس يساعدون من يجمع دية لورثة المقتول . ولاجل جمع المال يأخذ الجاني طنبوراً ويلبس مئزراً من أعلى رأسه الى رجله فيسير من قرية الى قرية يوقع على الطنبور ويسأل الناس فكل من يراه يعرف من المئزر والطنبور ما يقصده الرجل فيقبل الكبير والصغير على مساعدته

وكان في زمن الامبراطور الاسبق كثير من عقوبات التعذيب ولكنها بطلت الآن يقال انه كان كثيراً ما يعاقب الناس والجنود بوضعهم جميعاً او منفردين في اكواخ ثم يحرق الكوخ بمن فيه من المسجونين وكان يعري جسم من يغضب عليه ثم يلف رجليه وأفخاذه ويديه بالحبال الرفيعة لفاً محكماً فينفر الدم من بين أظافر الرجل ولا يتركونه الا اذا دفع غرامة كبيرة . واكثر من يقضى عليه بهذا يموتون فتلقى اجسامهم الى الوحوش الكاسرة في الخارج . أما الآن فألغيت كل هذه العقوبات بفضل جلالة الامبراطور الحالي والرؤوس . وأما عقوبة الجواسيس والذين يكذبون للحكام فقطع اللسان

المحاكم

ان القاضي في بلاد الحبشة ومدنها هو الرجل الكبير الموجود في المدينة فهو يفصل في الدعاوي والقضايا مثل ما يفصل مشايخ القبائل في قضاياهم . وأما في العاصمة فان القاضي هو الامبراطور نفسه . وكان الملوك الى زمان تئودورس ويوحانس يجلسون للقضاء ويفصلون في الدعاوي بأنفسهم وأما جلالة منليك فانه لا يرى الا القضايا المهمة ويحكم فيها في بعض الاوقات . يقوم مقامه في رؤية الدعاوي موظف كبير

يسمى (أفانفوس) يعني لسان الملك او كليم الملك ويصدر أحكامه بهـا باسم الامبراطور ويعرض الدعاوي الخطيرة على الامبراطور لأخذ رأيه فيها وكان تئودوروس يجلس كل يوم في وقت معين على عرش يوضع في ساحة مكشوفة ويجلس عن يمينه اثنا عشر وعن شماله اثنا عشر من الرجال الشيوخ ورئيس الكهنة وكاهن يحمل القانون الحبشي يسمى (فتانفوس) . ويفتحون مظلة فوق رأس الامبراطور ويقف حاشيته وطائفة من جنده وراءه او يحيطون به فيقترب المتداعون الى ان يبقى بينهـم وبين الامبراطور ٣٠ متر فيقفون . ثم ينادي المدعي بصوت عال قائلاً : (جانهوه جانهوه) يعني (يا حضرة الامبراطور) ويكرر هذه الاستغاثة سبع مرات طالباً رؤية دعواه فيتقدم (افانفوس) الى المتداعين فيسمع نص المدعي والمدعى عليـه والشهود . ثم يعود الى الامبراطور ويعرض عليه جهراً ما سمعه . فاذا كانت القضية بسيطة يصدر الحكم في الحال والا يجري فيها مذكرات وأخذ وردّ على الصورة الآتية :

يقوم أحد الشيوخ الطاعنين بالسن عن يمين الامبراطور ويعرض رأيه في الدعوى وبعده آخر عن الشمال ويبسط فكره فيها وهكذا حتى يتم أخذ رأي جميع المستشارين ويدون كاتب يجلس في الجهة اليسرى جميع الآراء في دفتر مخصوص فحين يتم أخذ الآراء يأمر الامبراطور الكاهن الحامل للقانون أن يقرأ جهراً الفقرة التي تنطبق على القضية وبعد ذلك يصدر الحكم الذي يبلغه (أفانفوس) لاصحاب الدعوى . وفي بعض الاوقات يسمع (افانفوس) اربع او خمس قضايا من الدعاوي الخفيفة معاً فيأخذ نصوص المدعين والمدعى عليهم والشهود في آن واحد ويبلغ الحكم لاصحابها كلهم في آن واحد . فلذلك ينتخب دائماً لهذه الوظيفة رجل ذو ذكاء عظيم ونباهة فائقة وذاكرة قوية . وتنفذ الاحكام حال صدورها . والآن يقوم (افانفوس) مقام الامبراطور في فصل الدعاوي في العاصمة . وأما في المدن الاخرى والقرى فان الرؤوس او دازجماج أو المدير او الشوم (وهو عمدة البلد كما مرّ ذكره) يقومون

بفصل القضايا على حسبها . ويوجد أعضاء بنسبة جسامة المدينة او القرية يساعدون الحكام في فصل الدعاوي ويقومون مقام أعضاء للمحكمة

القانون الحبشي المسمى (فتانفوس)

(فتانفوس) هو قانون الحبشة المعمول به . وقد جمعه ودوّنه في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي أحد علماء المسيحيين من أقباط مصر المدعو الاسعد بن عسال وهو على قسمين الاول فيما يخص الكنيسة والدين والعبادات وقد اقتبس من المذهب القبطي والديانة الاسرائيلية . والثاني يختص بالاحكام والمعاملات وقد أخذ من المذهب الشافعي خصوصاً من كتاب التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي. وقد كان صدر قبل ثلاثمائة سنة أمر من نجاشي الحبشة وقتئذ بوجوب العمل بهذا القانون الذي سمي (فتانفوس) . وكلمة (فتا) مخففة من (فتاوى) العربية وهي جمع فتوى و (نفوس) معناها النجاشي فيكون معنى الجملة (فتاوى النجاشي)

(له باشاه) يعني الباحث عن السارق والمظهر له

يبحثون هنا عن السارق بنوع من طرق التنويم المسمى في أوروبا (سبيريتزم) و (هيبونتزم) ويسمونه في بعض الجهات من الاقطار العربية بالمندل بدلاً من التحقيق والتحري . وهذه صورة البحث :

يأتي الشوم (العمدة) المتخصص بالبحث بقليل من مسحوق نبات يشبه مسحوق الملوخية المجففة ويلقى بها في لبن الحليب ثم يجرع اللبن لصبي لم يبلغ بعد . فيأخذ الصبي حال شربه اللبن بالارتعاش وعندئذٍ يقدمون للولد نارجيلة (شيشه) يدخن فيها فتنقلب حالة الصبي من الارتعاش لحالة غشيان فيأخذ بالمشي كمن يمشون

في النوم ويشرع يصف محل السرقة والسارق بالرموز والاشارات ، ويمسك العمدة بيده حزاماً مربوطاً بوسط الصبي ويسير وراء (له باشاه) وهو اسم الصبي المنوم أينما سار وكل من يصادف (له باشاه) في طريقه يسجد في الحال . ولهذا الصبي النائم أن يدخل أي منزل شاء واذا كان المنزل موصد الباب يفتح حالاً . واذا لم يكن صاحبه موجوداً يكسرون باب وبالجملة يجب أن تكون كل الطرق امام (له باشاه) مفتوحة وربما كان (له باشاه) لا يعرف محل السرقة والسارق بالرموز والاشارات فحينئذٍ ينتظرون حتى يضطجع في محل ويقيء هناك فيحكمون حينئذٍ ان المال المسروق موجود في هذا المحل .

ايشش ، بروهايتو ، افاتانهايتو ، ثلاث عرائس
لعريس واحد

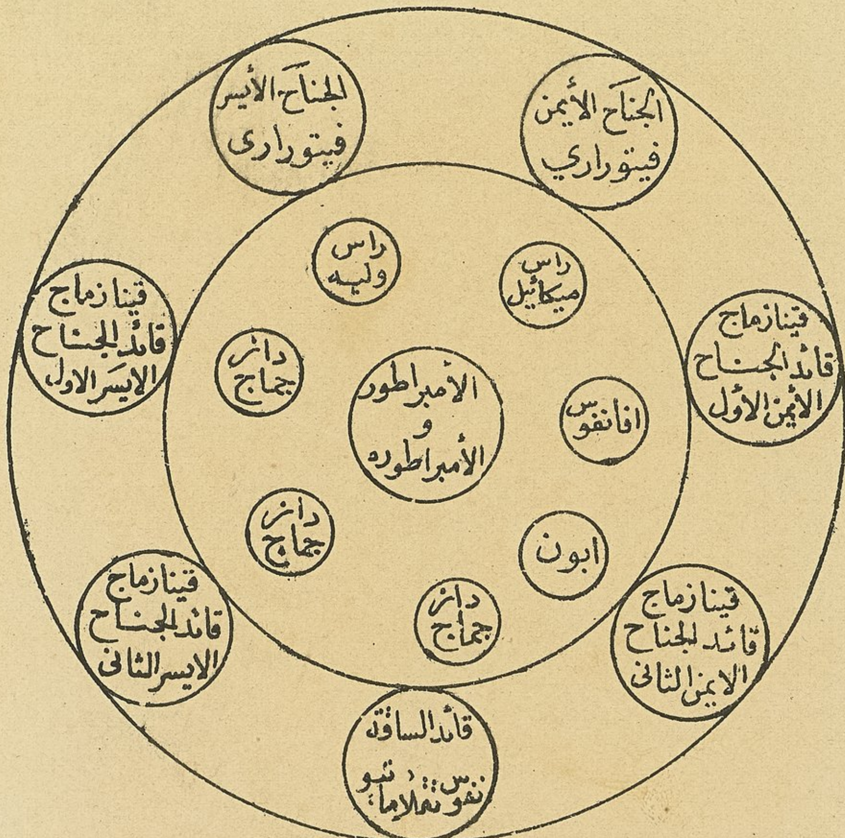
ان السائح في بلاد الحبشة يسمع كثيرًا هذه الكلمات الثلاث فسألت عن معانيها فقيل لي ان معنى (ايشش) حاضر يا سيدي وهم يستعملون هذه الكلمة بكثرة من غير ان يتبعوها بالفعل أي انها تكون على الغالب كلاماً من غير عمل . أضرب لك مثلاً بغالتنا : نقول لهم هيا بنا نحمل أثقالنا لنسير . فيجيبون بقولهم (ايشش) . ثم تمضي ساعات وهم لا يتحركون واذا أعدنا كلامنا نسمع منهم (ايشش) أخرى وينظرون الى استعجالنا بعين الاستغراب لان الوقت لا قيمة له هنا . اما (بروهايتو) و (افاتانهايتو) فان معنى الاولى ان شاء الله غداً والاخرى ان شاء الله بعد غد . ولا حدّ لاستعمال هاتين الكلمتين في هذه البلاد . وقد قص عليّ أحد الزوار هذه القصة قال :

باع تاجر مالاً من أحد أعيان الحبشة وبعد قليل أخذ هذا البائع يطالب بالثمن ذلك الشاري الذي لم يحب الاستعجال في تأدية ما عليه فكان يماطل التاجر كل يوم

ويقول له (بروهايتو ، افاتانهايتو) . فلما أعيت التاجر الحيل عزم على الرحيل وحمل ما معه من المتاع وذهب آخر مرة للمدين وعرفه بانه مسافر لبيع ما عنده من المتاع في مدينة أخرى . فعندئذ سأله الرجل وما هو المتاع الذي أخذته معك للاتجار به ؟ فقال له وهو يشير الى الاحمال (يا مولاي ان نصف هذه الاحمال بروهايتو والنصف الآخر افاتانهايتو سأتجر بها) فلما سمع المدين هذا الكلام اقتنع بأن الرجل مستعجل فخجل من بطئه في الدفع فأعطى التاجر حقه . وقد سمعت أيضاً من أحد الزوار ان مدة تنفيذ معنى (ايشش) و (برهايتو) في طريق (آدال) هي اكثر بكثير منها هنا فانه قد جربها بنفسه في أسفاره الى الساحل ذهاباً واياباً وعلمت منه انه سافر مرةً الى جيبوتى ولم يصل اليها الا بعد مضي شهر ونصف من قيامه من آديس آبابا . فوقف في هذه المدة على اكثر أحوال سكان (آدال) . وقابل أحد مشايخ تلك الجهات ويدعى الشيخ محمد تنباكو ونزل ضيفاً عنده وحضر وليمة زواجه . فقال لي ان هذا الشيخ أعرج وأكتع لكنه عقد في ليلة واحدة على ثلاث من الابكار ودخل عليهنّ في ليلة واحدة فكأنه أحب الاقتصاد وبدلاً من أن يتزوج ثلاث مرات وينفق لكل مرة كثيراً من الدراهم تزوّج مرة واحدة بثلاث فما قولكنّ في ذلك أيتها السيدات !!

الظاهر من هذا وغيره ان لدى هؤلاء الناس عادات جاهلية فقد حدثني زكريا افندى انهم يأتون بالعجل السمين ويفصدون احدى شرايينه ويأخذون قدراً من دمه فيشربونه . ثم يسمنون العجل ويفصدونه ثانية وهكذا فكانّ قسماً من غذائهم من هذه الدماء وقد كنت ذكرت في رحلتي الى الصحراء الكبيرة ان الناس هناك يأخذون دماء مواشيهم ويشربونها وانما يعملون ذلك عند الحاجة الشديدة والافتقار الى الغذاء . وأما الاداليون فان شرب دماء المواشي عندهم عادة لهم . وهؤلاء الاداليون مشهورون هنا بشجاعتهم واستعمال السلاح ويقولون ان الادالي يهجم وحده على ثلاثة أسود ويقتلها بسلاحه الذي هو رمح وترس فقط والعهدة على الراوي .

(ترتيبات الجيش الحبشي أثناء الحرب)



(ترتيبات الجيش الحبشي اثناء السير)



ابن عطاء

هذا ولا بأس بعد ما تقدم من بعض شؤون الحبشة وعاداتهم ان نسرد هنا ما وقع من الحروب بينهم وبين شيعة المتمهدي :

بضع كلمات على مدار حركات الحروب بين شيعة المتمهدي والاحباش

ان مدينة القلابات التي سيأتي ذكرها فيما يلي كائنة جنوب بلاد القضارف وواقعة على ساحل نهر (آتبره) وفي منتهى الحدود الحبشية والسودان المصري. واصل سكان هذه المدينة من السودان الغربي ومن جنس (تكرو) وكانوا يؤدون الاتاوة الى الحكومة الحبشية . فلما استولت الحكومة المصرية على السودان حصنت مدينة القلابات وجعلتها صالحة للدفاع عن نفسها واستخدمت أعيان البلاد بصفة مديرين ولكنهم مع ذلك كانوا يؤدون الاتاوة الى الحبشة . وأما بلاد القضارف فانها واقعة شمال القلابات ويحيط بها نهر آتبره من الشرق والجنوب وتربتها غنية خصبة جداً وتجارتها واسعة . وحاضرة القضارف هي (أبوشي) . وهذه المدينة متسعة وفيها مبان شاهقة ذات طبقات متعددة شيدت بالطوب أو الحجر ويوجد فيها غير سكانها الاصليين كثير من التجار السوريين والمصريين والفرنسويين والروم والارمن . ويحيط بالمدينة كثير من الجنات . والفواكه هنا كثيرة جداً مثل العنب والتين والقشطه والموز والرمان والبرتقان . وأراضي القضارف خصبة وقوية حتى ان العنب والنخل يثمر مرتين في السنة ومن مدنها الكبيرة عصار ودوكه وهما مدينتان تجاريتان

الوقائع بين الاحباش وشيعة المتمهدي

كان عثمان دقنه بعد سقوط مدينة كسلا في يد الدراويش في زمن الامبراطور يوحانس سنة ١٣٠٢ هجرية قام من سواكن ومعه عشرون الفاً من الدراويش وجمع ثلاثين الفاً في الطريق وقصد المحل المسمى (كوفيت) الواقع على الحدود المصرية

السودانية فارسل كتاب تهديد الى رأس الولا الحبشى المشهور . فاجاب الرأس بانه سيلاقيه في يوم كذا وورد الرأس في اليوم المعين ومعه ثمانون الف جندي حبشي وأحاط بمعسكر عثمان دقنه من كل جانب وهاجمه وهزمه شر هزيمة ولم يقدر عثمان على النجاة بنفسه الا بكل صعوبة فالتجأ الى كسلا ومعه خمسمائة شخص فقط .

وفي سنة ١٣٠٤ هجرية أرسل عبد الله التعايشي خليفة المتمهدي المقيم في أم درمان كتاباً الى قبيلة الشكرية المقيمة في صحراء ريره وأمرهم ان يحضروا كلهم الى أم درمان فعلموا بما يعرفونه من ظلم التعايشي انه يريد بهم السوء والنهب فهاجروا الى الحبشة وكان عوض الكريم شيخ القبيلة يومئذ و بضع مئات من رجال القبيلة وأعيانها موجودين في أم درمان . فلما علم التعايشي هجرة القبيلة اعتقل عوض الكريم ومائتين من رجاله وكبلهم بالحديد ثم قتلهم جميعاً . والذين هاجروا الى الحبشة لم تمض عليهم برهة حتى أخذ الفقر يدب فيهم لان المناخ لم يلائم أنعامهم فبادت كلها وفي زمن قليل اضمحلت هذه القبيلة المعدودة من اكبر قبائل السودان وأغناها

وكان لعوض الكريم الذي قتله التعايشي ولد يسمى عبد الله وكانت والدته جعلية فلذلك مال لجهة اخواله وخضع للتعايشي فولاه على القضارف فتيسر له ادخال هـذه الجهات تحت لواء هذه العصابة الجديدة وكان يومئذ رجل يعلم الاولاد القرآن الكريم في مدينة القلابات يسمى محمد أرباب فالتحق بالقوم وخالطهم فاقامه التعايشي داعياً من دعاة المهدوية وألحقه بعبد الله فمنع الناس من دفع الاتاوة للحبشة وكان الاحباش حينئذ مشتغلين بمحاربة الطليانيين الذين أغاروا على الاراضي الحبشية التي وراء مصوع

وكان عنـد المتمهدي رجل من أعيان الاحباش يسمى محمد جبريل وفد على المتمهدي واتبعه فارسله المتمهدي الى الحبشة ليدعو جميع المسيحيين في الحبشة الى اتباع الديانة الاسلامية ودعوة سائر المسلمين كلهم الى الايمان بمهدويته والخضوع له فصدع محمد جبريل بامر المتمهدي . فلما رأى النجاشي يوحانس سعي هؤلاء ودعوتهم

شغل هذا الامر باله وبات في هم عظيم وأخذ منذ ذلك الوقت يضطهد المسلمين خلافاً لعادات أسلافه ويعاملهم بالغلظة والقسوة رغم حرية الاديان الموجودة في بلاده حتى ان شقيقة هذا النجاشي كانت قد اتبعت الديانة الاسلامية بلا ممانع وتزوجت باحد أمراء المسلمين . وأما النجاشي فاخذ يعذب كثيراً من الناس لاتباع الديانة المسيحية. وقد نصحه الرؤوس والامراء وقتئذ خصوصاً جلالة منليك وآخذوه على أعماله هذه وطلبوا اليه ان يعدل عن هذه الطريقة المستهجنة الهمجية . ورأيت بعيني بعض المسلمين الذين كان يوحانس قد قطع أيديهم وأرجلهم . فادى اضطهاد يوحانس هذا الى هجرة كثير منهم والتجائهم الى شيعة المتمهدي وأقاموا محلاً يشبه معسكراً لاقامتهم في المحل المسمى (عراديب) شمالي القلابات وسموا هذا المحل (تبارك الله) وولى التعايشي أميراً عليهم رجلاً من أخصائه يسمى محمد فقرا . وفي أواخر سنة ١٣٠٠ لما حضر أمير القلابات لزيارة التعايشي أعطاه كثيراً من الاسلحة والخيل وأمره ان يغير بخيله ورجله على أطراف المملكة الحبشية فرجع هذا الامير وأخذ بالاغارة على بلاد الاحباش وخرّب كثيراً من القرى والمدن العامرة كما ان محمد فقرا أمير « تبارك الله » صار ينهب ويسلب القرى الكائنة على مقربة من « تبارك الله » . فلما رأى الاحباش ذلك أتوا برجل يسمى عجيل الحمراني أصله من السودان الشرقي كان التجأ الى الحبشة هو وقسم عظيم من قبيلته هرباً من ظلم التعايشي وأعطوه الاسلحة والذخائر الحربية وأقاموه محافظاً على حدودهم عند المحل المسمى (عتبه) . ولكن هذا الرجل لم يجرأ على مهاجمة معسكر المهدوية بل كان يغير على سكان القرى والدساكر التي على ساحل نهر أتبره من الذين كانوا اتبعوا المتمهدي رغم أنوفهم .

وفي ربيع الاول من سنة ١٣٠٤ هاجم رأس عذار مدينة القلابات وقتل الامير محمد ارباب واكثر جنوده وفر الباقون الى القضارف كما هجمت فرقة حبشية أخرى على معسكر محمد فقرا واضطروهم للتقهقر أيضاً الى القضارف. فلما بلغ خبر هذا الانهزام أم درمان جهز التعايشي في الحال عشرين الف درويش تحت قيادة يونس بن الديكم وأرسلهم مدداً

للمتقهقرين الى القضارف. فوصل هذا الجيش في رجب الى القلابات واحتلها وانسحب الاحباش من امامهم . و بعد احتلال المدينة رتب أعماله وأعلن للتجار الحرية التامة في ذهابهم وايابهم الى القلابات وأذاع ذلك بين الناس فأخذ تجار الاحباش يفدون على المدينة بمتاعهم وسلعهم و بضائعهم ولما كثر التجار الاحباش في المدينة أظهر يونس المذكور ما كان يكنه ضميره الفاسد وما جبل عليه من الظلم والاعتساف فاعتقل جميع التجار الاحباش وصادر أموالهم ومتاعهم وكبلهم بالحديد وأرسلهم جميعاً الى التعايشي في أم درمان . فلما وصل هؤلاء البؤساء الى أم درمان أشاع التعايشي بأن يونس انتصر في الجهاد وان هؤلاء كلهم أسرى في الحرب ولكن الحقيقة علمت عند كل الناس . ويونس الديكم هذا هو من قبيلة التعايشي والتعايشي زوج والدته التي تزوجت مراراً كثيرة . وكان يونس صعلوكاً فقيراً فلما صار التعايشي شر خلف للتمهدي الذي كان أيضاً شر سلف عقد له القيادة والامارة على عشرين الف رجل. وهو رجل على غاية من الجبن وسخافة العقل مداح لنفسه وله دعاوي عريضة ومزاعم غريبة (١)

وفي سنة ١٣٠٤ هجرية أرسل التعايشي الى القلابات أربعين الفاً مشاة وفرساناً تحت قيادة حمدان أبو عنجه أحد أمرائه ومعه بضعة مدافع لينتقم من الاحباش . فلما

(١) ومن جملة دعاويه القصة الآتية : بلغه يوماً ان أحد عبيده بينما كان يستحم في النيل اغتاله تمساح . فاستشاط يونس لذلك غضباً وأخبر رجاله بانه ينتقم من النيل بان يشرب جميع مائه حتى لا يترك فيه نقطة وقام يريد النزول الى ساحل النيل . فلما شاع هذا الخبر قام بعض الناس الذين يريدون التزلف اليه والتقرب منه وقالوا له (يا مولانا ان كراماتك تكفي لنضب مياه البحار فضلا عن الانهار ولكن اذا شربت ماء النيل فاننا نموت نحن وأولادنا من قلة الماء فارأف بنا ولا تعمل) وأما هو فانه أصر على الانتقام من النيل فكان كلما زاد في الاصرار يزيد المتملقون والجهلة من الاهالي في التضرع اليه حتى أدى الامر الى انهم جمعوا ما يزيد عن ثمن العبد اضعافاً مضاعفة فاعطوه اياه فعدل عن شرب مياه النيل !! وهذه القضية مشهورة بين الناس كلهم هناك . وقد وجد هذا الرجل حياً بين القتلى في الواقعة الاخيرة التي حصلت بين الدراويش والجنود المصرية عند افتتاح السودان وقد نام على وجهه حتى يظن من يراه انه مقتول فلما امسكوه قدموا له جردل ماء من النيل ليشربه على الحساب ! وقد كان يشرب بشره حتى امتلات معدته ونفرت عيناه ولم يات على الماء الموجود في الجردل وهو الان مسجون في ثغر رشيد بالقطر المصري مع عثمان دقنه وسائر اسرى الدراويش

وصل حمدان الى القلابات استلم القيادة من يونس الديكم وعاد يونس الى أم درمان. و بعد ان رتب حمدان أحوال جنوده زحف على غوندار عاصمة الحبشة القديمة بالفين من المشاة مسلحين ببنادق رومينفتون والفين من الفرسان فلما وصل لقرب المدينة ظهر امامه عشرة آلاف من الاحباش فاشتبك القتال بين الطرفين و بعد بضع ساعات انهزم الاحباش تاركين في ساحات القتال ستة آلاف قتيل وجريح وفر الباقون ودخل أبو عنجه غوندار ونهب المدينة وأحرقها ودمر الكنائس وقتل القسس ثم عاد الى القلابات ومعه كثير من الاموال كالفضة والذهب وعشرة آلاف حصان و بغل وثلاثة آلاف فتاة وغلام أسرى و بنات هذه الجهات لا يشبهن الاحباش بل انهن جميلات جداً ولونهن سمر يشبهن المصريات

وقد أرسل أبو عنجه من هذه الغنائم للتعايشي عدداً مناسباً من الجواري والغلمان والف رأس بغل وخمسين حماراً ووزع الباقي على رجاله حسب مناصبهم وأقدارهم بعد ان أخذ ما أخذ منها لنفسه كما أرسل جانباً من الغنائم الى يعقوب أخي التعايشي. وقد أعلن حمدان أبو عنجه حرية التجارة على شرط ان يدفع التاجر له الخمس وثبت في كلامه ولم يعمل مثل ما عمل يونس السابق الذكر. لذلك ورد التجار الاحباش الى القلابات. وكان الخمس الذي يأخذه من تجار الغلال والالبان والعسل والسمن وغيره يكفي لسد حاجة الجيش الموجود تحت قيادته

وتوفي حمدان أبو عنجه في القلابات في سنة ٦ ٣ فولى التعايشي مكانه الزاكي طمل أميراً على هذه المدينة وأرسل معه من أخصائه أربعة أشخاص ليبلغوا أمارته للناس من قبل التعايشى. والزاكي هذا رجل اشتهر بالظلم والقساوة وفاق أقرانه بالتجبر على الناس وسلب أموالهم

موت النجاشي يوحانس في واقعة القلابات

لما بلغ خبر هزيمة غوندار مسامع النجاشي يوحانس حزن جداً وأخذ يستعد للأخذ بالثار . ولكن كانت أخبار استعداده تصل الى التعايشي بواسطة جواسيسه فكان التعايشي أيضاً آخذاً حذره منهمكاً بتقوية القلابات بالجنود وتحصينها حتى انه أقام على دائر المدينة سوراً صعب المرور من جذوع الاشجار والعليق والنباتات ذات الاشواك محيطه عشرة آلاف متر

وفي سنة ١٣٠٦ زحف النجاشي يوحانس على القلابات ومعه مائتا الف مقاتل أغلبهم من الفرسان فاحاط بالبلد وأمر جنوده بمهاجمة المدينة من كل جانب . وكان هو واقفاً امام خيمته ومعه أمراؤه وأركان حربه يتتبع حركات الجنود ويشاهد الحرب . وقد أحرق الاحباش جذوع الاشجار المصنوع منها السور ثم هجموا على الدراويش بشجاعة عظيمة وقهروهم الى الوراء فلما رأى الاحباش انتصارهم تفرقوا للسلب ودخلوا منازل الدراويش فبينما كانوا مشتغلين بسبي النساء والبنات والغلمان ونهب المنازل والدور اذ أتى الى الدراويش مدد كبير من الشمال من رجال كانوا قبل من رجال الجيش المصري المنظم انضموا الى الدراويش عند ما وقعت السودان تحت حكم المتمهدي . فتقدم فرج الله قائدهم برجاله وهاجم الاحباش ووجه نيرانه على النقطة الموجود فيها يوحانس . فاصابت رصاصة النجاشي المذكور فقتل في الحال . ولما رأى الاحباش موت عظيمهم دخل الرعب في قلوبهم وانكسرت قوة قلوبهم فساقوا الغنائم أمامهم . وأخذوا بالتقهقر وتبعهم الدراويش بانتظام وأصول وهاجموا في الليل معسكرهم بغتة وقتلوا أكثرهم وهم نيام مثل الاموات من التعب واسترد الدراويش الغنائم التي أخذها الاحباش والاسرى من نساء ورجال وغنموا أمتعة النجاشي وتاجه المرصع وأخذوا جثته الموضوعة ضمن نعش من خشب وعادوا

الى القلابات بغنائمهم . وهـذا الحال مما يدل على ان اشتغال الجنود بعد الانتصار بالنهب والسلب مضر جداً بالمنتصر كما ان ورود المدد للمغلوب بغتة يفيده فائدة عظيمة

وقد أرسل الزاكي طمل رأس يوحانس وتاجه المرصع وأمتعته الخصوصية الى التعايشي في أم درمان . فكان سرور خليفة المتمهدي وسرور رجاله من هذا الانتصار فوق ما يوصف حتى ان التعايشي أقام الولائم للناس أربعين يوماً وذبح آلافاً من الخراف والعجول شكراً على ما أوتيه من الظفر بعدوه

يوم الاثنين ٧ حزيران (يونيو) — متنوعة —

ورد اليوم علينا كثير من الزوار وكان أغلب حديثنا في مسائل مختلفة ليس للواحدة علاقة بالاخرى . فكل زائر كان يفيدنا فيما يتعلق بمهنته أو ما يعلمه . فمن ذلك ان صائغ الامبراطور قال لنا :

« ان الامبراطور يهدي لامرائه ورجال حاشيته بدلاً عن الاوسمة خيولاً ومعها برادع وسيوف ورماح وما أشبه هذا . فلذلك يشتغل في القصر الامبراطوري مائة صائغ يشرف عليهم صاغة مهرة . والوطنيون ليس لهم رواتب معينة بل يعطى لهم أراض وحقول مكافأة

ويوجد في قصر النجاشي كثير من الجواري يعملن شموعاً من شمع العسل والشحم وتشرف عليهن الامبراطورة نفسها

**

الاحباش المسيحيون — ما عدا أكابرهم — لا يغسلون أجسامهم ولا ملابسهم فلذلك لا يصعب على الانسان بعد مخالطتهم برهة قليلة ان يفرق بين المسيحي والمسلم لان المسلم يجدد وضوءه كل يوم جملة مرات فتظهر آثار ذلك عليه والامراض المعدية القتالة مثل الزهري وغيرها منتشرة بين أعوام الامجرا وبين المسيحيين لكثرة اختلاط النساء بالرجال وأما المسلمون فقلما تنتشر فيهم هذه الامراض . والرقيق هنا مباح فعلاً وان يكن ممنوعاً رسماً وثمن الجواري والعبيد بخس جداً فثمن العبيد من ١٠ — ٢٠ ريال وثمن الجواري الحبشيات الجميلات من جنس قوراغي أو جمالكا يساوي ٤٠ — ٥٠ ريالاً فقط .

ان المرؤسين في الحبشة يتحاشون من اظهار ثروتهم امام رؤساهم . ومنهم من

يدفنون أموالهم في الارض وقد يموتون من غير ان يعرف أحد المحل الذي أخفوا فيه ثروتهم . والامبراطور يعطي لاصاغر المستخدمين من حاشيته أعمدة من الملح بدلاً من الرواتب . فهو يقوم مقام الدراهم في كل بلاد الحبشة . وكل خمسة وستة من هذه الاعمدة تساوي ريالاً واحدًا . وكل عمود في شكل منشور متوازي الاضلاع مربع الاطراف ويزن كيلوغرام واحدًا

وهذا الملح يستخرج من بلاد (ولاو) التابعة لمقاطعة (تيغرى) وهو تحت احتكار الحكومة وتصرفها

ويقدم كثيرًا من هذا الملح بين الاشياء الاخرى التي يقدمها حاكم تيغرى كل سنة الى النجاشي بدلاً عن الاتاوة . والمستخدمون الذين يأخذون ملحًا بدل الرواتب لهم ان يبدلوا الملح بالدراهم أو ان يشتروا به ما يريدون أخذه من الامتعة والمأكولات .

والعملة الاكثر رواجاً هنا ريالات (ماري تروز) كما هو الحال في أكثر البلاد العربية والسودانية . ويتداول هذا الريال هنا بقيمة فرنكين وخمسة وعشرين سانتيماً . ويوجد من العملة الحبشية ريال ضربه الامبراطور منليك على وجه منه صورته وعلى الآخر رسم أسد يهودا الذي هو شعار الحبشة الوطني . ولهذا الريال انصاف وارباع وربع الارباع . والريال يساوي ١٦ قرشاً عثمانياً . ولا يوجد في هذه البلاد ما يسمى في بلادنا صراف ليصرف الدراهم وانما يقوم مقامه التجار الذين يربحون من صرف العملة اضعاف ما يربحه الصراف . ولما كنا في هرر لزم ان نصرف عملة صغيرة لاجل الطريق فخصم التاجر ثلاثة قروش من كل ريال أي انه أخذ الريال بثلاثة عشر قرشاً وتقوم خراطيش البنادق خصوصاً خرطوش بنادق (غرا) مقام الدراهم فتتداول الايدي كل أحد عشر خرطوشاً بريال واحد وقد رأينا على طريقنا ان الباعة رجالاً كانوا أو نساءً كانوا يرجحون الخراطيش على الريالات والقروش . وعند ما يشتري الانسان شيئاً لا بد من ان يدخلوا في الثمن عدداً من الخراطيش واذا

سألت مثلاً عن ثمن شيء يقول البائع ريال وخرطوشة واحدة أو قرش وخرطوشتان كذلك يدخل في البيع والشراء الخراطيش الفارغة لانها تملأ ثم تباع . وقد اعتاد الامبراطور اقراض بعض التجار من جيبه الخاص جانباً من الدراهم تسهيلاً للتجارة .

⁂

أرسل اليّ اليوم بستاني النجاشي وهو رجل رومي مقداراً من الخضراوات اللذيذة وأرسل الينا زكريا افندي نوعاً من الفاصولية الجميلة . والخضراوات التي تنبت هنا هي القرع والفاصولية والطماطم (بندوره) والكرنب والخيار والخرشوف والسبانخ والرجله والبقدونس والبصل والبطاطة والثوم والفجل فهذه الاصناف كثيرة. وأما البربري وهو الفلفل الاحمر فانه أكثر . ويوجد محل منحط ومعتدل الهواء يسمى (لبان) يبعد عن العاصمة سبع ساعات تنمو فيه جميع الفواكه والخضراوات بكثرة وبسرعة مثل الموز والخوخ والليمون والتين والعنب والبطيخ والشمام

قلت آنفاً ان زكريا افندي اهدى الينا نوعاً من الفاصولية الخضراء . وقد وجدت هذا النبات غريباً في بابه وقال لي ان أحد الهنود أهداه بزرها قبل ثلاث سنين فزرعها فنمت وانتشرت أي انتشار حتى انها صعدت الى سطح المنزل وهي الآن تعطى مقاديراً كبيرة بدون انقطاع صيفاً وشتاءً . وهي ليست مثل الفاصولية التي نعرفها في بلادنا التي لا تعطى الا كل قرن وحده بل تكون قرون هذه الفاصولية حزمة حزمة.ولا يدري صاحبها هل هذا النمو الغريب من قوة الارض أو من النبات كما انه لا يدري كم من السنين ستستمر على اعطاء المحصول على هذا المنوال

ان الامحراويين يختتنون عند الولادة ولا يأكلون لحم الخنزير البتة.فهم يحافظون على هذه العادات وان كانوا مسيحيين . وقد سمعت من بعض الافرنج انهم لا يحبون الافرنجي وان احترامهم للاوروبيين ليس هو الا خوفاً من الامبراطور والسبب في هذه الكراهة على ما قيل لي حروبهم مع الانكليز والطليان وبحث الافرنج في

بلاد الحبشة عن المعادن والثروة حتى رسخ في أذهانهم ان الافرنج يريدون الاستيلاء على بلادهم . ويكرهون المهندسين منهم لان هؤلاء هم السبب في استخدام الاحباش بالسخرة لتكسير الاحجار وتشييد الجسور (الكباري) . وقد قال لي أحد الافرنج الموجودين هنا ما يأتي (أسأل الله أن يبقي لنا الامبراطور منليك فاذا توفي هذا الرجل أخشى ان يصيب الافرنج الذين هنا ما أصاب اخوانهم في الصين) قلت له ان الرؤوس والامراء لا يتركون الاهالي ان يرتكبوا اموراً همجية مثل هذه فقال نعم ولكن اذا قام التحاسد والتباغض بين الرؤوس من أجل كرسي الامبراطورية واختلفوا فيما بينهم فكيف يكون الحال

**

في كل سنة يحصل اجتماع عسكري في العاصمة يسمى (سلف) يقوم مقام المناورات في أوربا فيأتي الرؤوس من كل أطراف البلاد بجنودهم ويتألف جيش عرمرم ويتمرنون على بعض تعاليم عسكرية وألعاب حربية وتلقى خطب وتقرأ نشائد حماسية ويباح لكل مرؤوس ان يشكو حاله بكل حرية الى رئيسه ويعدّد صفاته ومزاياه وشجاعته في الحروب واقدامه في صيد الكواسر من الوحوش ويطلب من رئيسه مكافأته . وقد علمت من محادثي الافرنجي بأنه في الاجتماع العسكري السابق أظهروا ما تكنّ صدورهم نحو الاوربيين بهز الرمح في وجوه الافرنج الموجودين في المعسكر وتصويب البنادق عليهم ولو على طريق الهزل والضحك

**

أتى اليوم لزيارتي آتو هيلا مريم ترجمان رأس ما كونن وكان حديثنا باللغة الفرنسوية مباشرةً وهذا الرجل على جانب من الدراية والاقتدار وكان يجيب على ما أسأله عنه باختصار

تاريخ السنين

مبدأ تاريخ السنين عند الاحباش ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام والفرق بين تاريخهم وتاريخ الافرنج ثماني سنين وتبتدئ السنة عندهم من أول أيلول (سبتمبر) ويوجد في آخر كل سنة خمسة أو ستة أيام تسمى (باغومة) لا تدخل لا في السنة الماضية ولا في السنة المقبلة وأيام الباغومة تكون خمسة أيام كل خمس سنوات وأما باغومة السنة السادسة فتكون ستة أيام . ولكون هذه الايام ليست معدودة من أيام السنة يأتي فرقها بوضع تاريخ اذ يقال الباغومة الثانية من سنة كذا

واستعمال السنوات والشهور ينحصر هنا في معاملات الحكومة وقيودها فقط وأما العوام فان أغلبهم لا يستعملونها فاذا سألت أحدهم عن عمره مثلاً يقول لك انني ولدت سنة دخول الانكليز في مجدلا او يقول ان ولدي الاكبر ولد في الوقت الذي هاجم الرأس فلان محل كذا اي انهم يعتبرون الوقائع مبدأ وكذلك لا يعنون في الاوقات بالساعات وانما يعرفون الوقت من ارتفاع الشمس ومن طلوع بعض الكواكب أو غروبها

**

سألت آتو هيلا مريم عن النجاشي أصحمه الذي كان معاصراً للنبي صلى الله عليه وسلم فأجاب ان هـذا النجاشي اسمه بالامحراوي (اجها) وانه كان حاكماً في جوار (تبحفى دنسا) كما ان أخاه (ابرهة) كان يحكم في أقسوم . وسألته عن محمد غراني المشهور بفتوحه هناك فقال ان هـذا الرجل كان من قوّاد صاحب هرر قبل أربعة قرون ثم تقوى فاستولى على كل الحبشة مدة خمس عشرة سنة انسحب النجاشي في اثنائها الى غوندار ثم أخذت البلاد منه وأعيدت الى أصحابها بمساعدة البورتغاليين

وان هؤلاء هم الذين أدخلوا منذ ذلك العهد الاسلحة النارية الى بلاد الحبشة لأول مرة .

المذهب

دخل المذهب القبطي من الديانة المسيحية الى الحبشة في القرن الرابع الميلادي وأمر النجاشي اذ ذاك ان يضع المسيحيون على رقبتهم شريطاً أزرق ليعرف الذين لم يتنصروا وقد بقيت هذه العادة الى الآن في بلاد الحبشة فتجد جميع الاحباش المسيحيين يضعون في أعناقهم شريطاً أزرق يعلقون فيه صليباً صغيراً من الفضة أو غيرها من المعدن ويسمون الشريط والصليب معاً (ماتب) وهذه الشرايط من مصنوعات سورية . والمسلمون اليوم يضعون أيضاً حول أعناقهم من هذا الشريط وانما يعلقون فيه حجاباً من الجلد فيه بعض آيات قرآنية أو أدعية بدلاً من الصليب . ويسمى مسلمو الاحباش هنا (جبرتي) أي الحبشي المسلم . والجبرتيون متدينون متمسكون بعاداتهم القومية والدينية أصحاب غيرة وشجاعة ويشتغلون بالتجارة والصناعة .

وللمسيحيين الاحباش أديرة وصوامع فيها كثير من الرهبان والراهبات . ويباح لقسسهم التزوج مرة واحدة بالعمر فاذا توفيت الزوجة أو حصل طلاق فليس له أن يتزوج ثانية . وهؤلاء القسس معافون من التكاليف الاميرية واداء الضرائب ويأخذون من الاهالي والامراء الهدايا كل على حسبه . والاقبال على الانتظام في سلك الاكليروس والرهبنة عظيم جداً في بلاد الحبشة لما لرجال الدين من الاهمية في عين الاهالي . ويكون في الغالب ابن القسيس قسيساً مثل أبيه ولا يقدر أحد أن يتصدى للقسيس مهما كانت الظروف والاحوال السياسية . واذا وقع حرب بين رأسين فانه يباح للقسس التنقل من معسكر هذا الرأس الى معسكر الرأس الآخر ولهم ان ينشروا ما يريدون نشره من الافكار ولا يقدر أحد أن يعارضهم في ذلك

والرئيس الروحاني الاكبر في الحبشة هو المطران القبطي و يلقبونه هنا بلقب (أبونا) (لعله الانبا) وهو ينتخب ويرسل من طرف البطرك القبطي في القطر المصري . و بعد هذا المطران في الدرجة قسيس يسمى (أسسه غيبه) وهو مكلف بالمحافظة على قواعد الدين الكنائسي ومعاقبة القسس الذين يرتكبون ما يخالف الدين وأصوله . والرئيس الديني الثالث هو الكاهن الذي يسكن مدينة اقسوم (العاصمة القديمة) و يسمى (نيرابيت) وقد بقيت اقسوم عاصمة للدين ومرجعاً للكنائس وهي الآن بمثابة روما عند الكاثوليك . فأ كبر كنيسة في الحبشة توجد في اقسوم وتحفظ فيها جميع الآثار والقيود والتواريخ المذهبية . ومن التقاليد الحبشية ان الامبراطور يتوّج في المدينة المذكورة ويضع التاج على رأسه الرئيس الديني المسمى (نيرابيت) ولا يخلو الامر من تحاسد هؤلاء الرؤساء الثلاثة .

وفي الكنائس مقاعد للنساء منفصل بعضها عن بعض . وليس للكنائس نواقيس بل هناك أحجار مختلفة الحجم مربوطة بالحبال يمس بعضها بعضاً فتصدر منها أصوات تشبه صوت الناقوس .

واذا التجأ أحد الناس الى مدينة اقسوم لا يمسه أحد بسوء . فلهذا يرى الانسان هناك كثيراً من الجناة الفارين من وجه العدالة والمتهمين السياسيين ملتجئين اليها فراراً من العقاب . واذا حدثت حرب محلية في البلاد يلتجئ من لا يريد أن يشارك أحد الطرفين في حروبه الى هذه المدينة و يأخذ معه ما يمتلك من المتاع الثمين ولكنهم قد أخلوا بهذه العادة مراراً ولا عجب فلكل قاعدة شواذ . ومن هذا القبيل انه حدث قبل ستين سنة حرب في البلاد فلما رأى أحد الرؤوس المحاربين المسمى (راس ادبيه) ان اعداءه تجمعوا في اقسوم وانهم جمعوا هناك مقادير كبيرة من الاسلحة والذخائر الحربية وأخذوا يرتبون طرق الهجوم عليه دخل اقسوم وألقى القبض على جميع خصومه وكبلهم بالحديد وأخذ ما جمعوه هناك من الاسلحة والذخائر محتجاً لذلك بأن هؤلاء انما التجأوا الى المدينة المقدسة بقصد أن يرتبوا أعمالهم الحربية هناك

دون ان يهابوا قدسية المدينة . وقام وقتئذ الكهنة واستهجنوا عمله هذا وهددوه بالحرمان فلما رأى ذلك قابلهم هو بالتهديد وأخبرهم عن عزمه الاكيد بشنق جميعهم اذا حرموه فعندئذٍ رجع الكهنة الى صوابهم ورأوا الحق بجانب الامير . وأغلب الراهبات في الحبشة يترهبن في منازلهن ولا يذهبن الى الديور ولا يتزوجن ويحصرن أوقاتهن للعبادة . ويوجد في الحبشة ثلاثة أنواع من الزواج . ولا تصل سلطة القسس الا لنوع واحد منها .

أنواع الزواج

النوع الاول الطبيعي ويسمونه (روموز) وذلك انه اذا رغب الرجل ان يتزوّج امرأة على هذه الطريقة يطلب اليها ان ترضى به بعلاً لها فاذا وافقته تكون زوجة له بغير افراح او شروط على ورق او احتفالات دينية . والرجل مكلف بمعيشة زوجته وبتقديم كل ما يلزم لها من النفقة ويطلب من المرأة القيام بالشؤون المنزلية وان تذهب مع زوجها أينما ذهب . ويمكن الانفصال حسب رغبة أحد الطرفين واذا كان هناك اولاد يقلّ عمرهم عن ثلاث سنين يبقون عند والدتهم وعلى الرجل أن يقدم لهم النفقة اللازمة فاذا بلغ الطفل الثالثة يكون لوالده حق بأخذه

والنوع الثاني الزواج المدني ويتم بتراضي الطرفين وشهادة الشهود وبمواجهة عمدة البلد ويسجل ثروة الطرفين وما يمتلكانه من الاموال . فاذا حصل الطلاق حسب اتفاق الطرفين تقسم أموالهما بينهما بالمساواة . واذا كان الطلاق برغبة أحدهما فقط فليس له الحق بأخذ شيء من الاموال المشتركة وعند الطلاق للزوجة ان تتزوّج من غير عدة . ويقومون بالافراح والاحتفالات عند صيغة عقد هذا الزواج المدني . ويرسل أقرباء الزوجين وأحباؤهما الهدايا وتعرض هذه الهدايا كلها على الناس والفتيات في بلاد الحبشة يتزوّجن في سن صغير أي فيما دون الثالثة عشرة

والنوع الثالث هو الزواج الديني على يد القسيس في الكنائس وليس لهذا الزواج طلاق واذا توفي أحد الزوجين عقب الاقتران يحظر الزواج على الآخر فلذلك كان الاقبال على هذا النوع من الزواج قليلاً جداً . وبعض الذين تزوجوا على الطريقة المدنية وعاشوا مع زوجاتهم مدة طويلة ولم يبقَ لهم من أمل بالزواج ثانية يبدلون زواجهم المدني بالديني . والوالدات يرضعنَ اولادهنّ مدة لا تقل عن اربع سنوات

والدايات هنّ يولّدن الحاملات في الحبشة كما هو الحال في سائر الجهات وبعد الوضع يجتمع جارات الحامل عندها ويحتفلن بالمولود

وفي اليوم السابع تقوم النفساء من فراشها . وفي هذا اليوم يولمون وليمة للأقارب والاحباء . واذا مرضت النفساء يداويها العجائز من النساء والدايات لعدم وجود أطباء وقد يطلبون من القسس دواء لان القسس هنا يدّعون الطب أيضاً وطبابتهم هذه تنحصر في الرقي وقراءة الانجيل او اعطاء المريض مسحوق بعض الجذور والنباتات ويعتقد الاهالي بأدوية القسس اعتقاداً عظيماً .

الامراض والمداواة

ان الاحباش يصابون في الاغلب بالدودة الوحيدة او ما شاكلها من الديدان في الاحشاء الداخلية . ويظهر أن كثرة اصابتهم بهذه الامراض متأتية من اكل اللحوم نيئة ولذلك يجففون ورق الشجر المسمى (قوسو) ويسحقونه ثم يضعونه في الماء ويتعاطونه عند اللزوم ويشربون القهوة بعده فتموت الديدان واذا أخذ الانسان مقداراً كبيراً من مسحوق هذا الورق يموت حالاً لانه سم شديد الفعل . ولا تنقطع الحوادث من هذا القبيل . ويداوون الرمد والصداع والحمى الراجعة وسوء الهضم في الاكثر بأخذ الدم من الجبين . فيجلس المريض على ركبتيه ويضع يديه

على رقبته من الوراء الواحدة فوق الاخرى و يلصق ذراعيه على عنقه ويؤتى بحزام ومنديل و يشد بهما يداه ورقبته شداً محكماً فيضطر ان يحني رأسه الى الامام فيصعد الدم كله الى رأسه وحينئذ يبضعون بسكين أو بقرن في وسط جبينه فيجري الدم ثم يربطون الجرح فينقطع جريان الدم من تلقاء نفسه . والحجامة هنا منتشرة جداً حتى انهم لا يحتاجون الى الطبيب يعني القسيس. و يداوون الزكام الحاد (البرونشيت) وأوجاع المفاصل (الروماتيزما) بالكي بحديدة ولهؤلاء الناس جلادة على تحمل آلام الكي . واما الامراض الاخرى فانها تداوى بمغلي الحشائش والنباتات .

الموسيقى

ان الاحباش يحبون الضرب على آلات الطرب والغناء والرقص وهي من أعظم الملاهي عندهم و يسرون بها جداً وسرورهم الاعظم عند ما يجدون الماهر بالضرب على آلات الطرب . وهؤلاء الموسيقيون هم على غاية من البساطة وآلاتهم الطنبور ذو الوتر الواحد مصنوع من قصب البوص والناي والطبل والنقارات والزمارة الطويلة فيغنون على الطنبور في أفراحهم وعند دفن أمواتهم ومأتمهم ويربح الضاربون على الطنبور كثيراً من الدراهم وفي الافراح يرقص الرجال والنساء معاً والاحباش مغرمون بالرقص جداً . وفي الحرب يضربون بطبل كبير والاغاني عندهم تدور على ذكر الحروب وأبطالها والصيد والشجاعة في الغالب ولهم أغاني غرامية أيضاً

ورقصهم كالارتعاش ويقمزون قمزاً خفيفاً . وفي ولائم الافراح يحلقون حلقة وتدخل فتاة الى وسط الحلقة و يقف امامها شاب فيبدأ بالغناء الغرامي ويرقص شارحاً لها ما في قلبه من الغرام والهيام و بعد قليل يبرز له رقيب فيأخذ مثله بالغناء والرقص و يبذل وسعه للتفوق على الاول ثم يبرز ثالث ورابع حتى يترجح عند الفتاة أغاني الواحد منهم والنكت الغرامية الجميلة التي استعملها في تعريف حبه وهيامه

(وفي الحقيقة ترجح من كان قدجذب قلبها قبل الرقص) فتأخذ هي بالغناء وتصف ميلها له بالغناء وبالرموز والاشارات . وكثيرًا ما تحدث المشاحنات بين هؤلاء المتزاحمين وتؤدي الى مضاربات والناس من حول المتضار بين ينظرون و يتراهنون على معرفة من سيغلب كأنهم في مناقرة ديوك حتى تنفد قوى الواحد من المتضاربين فحينئذ يكون ختام الرقص وفي بعض الاوقات تفضي المضاربة الى قتل ولكن بعد ختام الرقص وانتهاء المضاربة التي تحدث يعود المتضاربان الى صفاء تام كأنه لم يحدث شيء بينهما لان المضاربة من موجبات الرقص فكان هذا الرقص عبارة عن صراع موضوعه فتاة ولا يخفى انه يزيد في قوة القائمين به كما انه يزيدهم نشاطاً وخفة واحتمالاً للمكاره

ولا بد من تمثيل الحروب والمبارزات في كل ملاهي الاحباش واجتماعاتهم كأن يأتي مثلا مئات من أقرباء العريس وأحبائه مدججين بالسلاح الى القرية أو المدينة التي تقطن فيها العروس ويقفون موقف المهاجم ويجتمع أقرباء العروس ويتسلحون ويقفون موقف المدافع امام جماعة العريس وحين يكمل الجمع تعطى الاشارة فيهجم جماعة العريس على جماعة العروس بين دوي أصوات البنادق وعزف الزمور والطبول ورمح الخيول وتنتهي الواقعة بانتصار جماعة العريس . وبالمحافظة على هذه العادات الوطنية يحافظ الاحباش على قواهم ونشاطهم بل يزيدونه

يوم الثلاثاء ٨ يونيو (حزيران) آديس آبابا

وفي صباح هذا اليوم حضر لزيارتي الحاج محمد من عشيرة بني عقيل ومن علماء (دللو) وقد حضر من بلده لرفع الشكوى على الزنديق زكريا المار ذكره . وقد سألته عن النجاشي اصمحة المعاصر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن المراسلات التي جرت بينهما وعن الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة فقال ان معنى أصمحة في العربي هو (عطية) وهذا النجاشي مدفون في محل يسمى (متكل العلامة) من أعمال مقاطعة (تيغرى) وقد كان سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لقى النجاشي المذكور في (متكل العلامة) وهذا المحل قريب من عقامه (اغامى) وينعقد فيه كل سنة سوق كبير يأتي اليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشي المذكور .

العلائق الودية بين الاحباش والمسلمين في صدر الاسلام

من المعلوم ان مشركي قريش في أوائل الرسالة النبوية كانوا يؤذون النبي وأصحابه الكرام ولما ازداد جورهم أذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بالهجرة الى جهة الحبشة فهاجر من الصحابة الكرام عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب ابن عمر وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضا وسليط بن عمرو وحاطب بن عمرو ولم يكن مع هؤلاء أحد من أولادهم ونسائهم . وأما الذين هاجروا ومعهم زوجاتهم فهم عثمان بن عفان ومعه زوجته بنت النبي وجاريتها بركة الحبشية وعبد الله بن أبي سلمة وزوجته هند وهاشم بن أبي حذيفة وزوجته سهلة وعامر بن أبي ربيعة وزوجته ليلى

العدوية وأبو سبره وزوجته أم كلثوم . وقد برحوا مكة في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة النبوية دون أن يعلم أحد بسفرهم وأتوا ميناء شعبة الكائنة على ساحل البحر الاحمر واستأجروا زورقاً أتى بهم جميعاً الى الساحل الافريقي وأقاموا في الحبشة حيث لقوا من النجاشي الاكرام وحسن الحفاوة .

ولما شاع خبر ايمان قريش برسالة النبي عادوا الى أوطانهم فلما قربوا من مكة علموا ان ما بلغهم من ايمان قريش برسالة النبي غير صحيح ولكنهم لم يجدوا بدّاً من الدخول الى مكة فاحتمى كل واحد منهم بكبير من أكابر قريش . ثم ازداد أذى المشركين للمسلمين فأذن النبي صلى الله عليه وسلم لمن يريد الهجرة الى الحبشة ثانية . فهاجر كثير من المسلمين بينهم جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي وزوجته أسماء وخالد بن سعيد وزوجته أمينه وعمرو بن سعيد وزوجته فاطمة وعبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله بن جحش وزوجته أم حبيبه وقيس بن عبد الله وزوجته بركة ومعيقب أبو حذيفة وعتبة بن غزوان والاسود بن نوفل ويزيد بن زمعة وعمر بن أمية وطليب بن عمر وعامر بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعتبة بن مسعود والمقداد ابن عمرو وعمر بن عثمان وشماس بن عبد الشريد وهبار بن شعبان وعبد الله بن سفيان وهشام بن أبي حذيفة وسلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة ومعتب بن عوف وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون وحاطب بن الحرث وزوجته وفاطمة بنت المجلل وخطاب بن الحرث وزوجته فكيهة بنت يسار وسفيان بن معمر وزوجته حسنة وخنيس ابن حذافة وعبد الله بن الحرث وعبد الله بن حذافة والحرث بن الحرث ومعمر بن الحرث وعدد الجميع كان (١٣٢) مع أولادهم وعيالهم .

فلما بلغهم خبر هجرة النبي الى المدينة قام أبو موسى الاشعري ومعه منهم خمسون مهاجراً وركبوا زورقاً ليعبروا البحر الى المدينة المنورة فصادفتهم أنواء ألقيت بزورقهم الى البر الحبشي من أفريقيا فالتقوا باخوانهم المهاجرين . ولم يكتف مشركو قريش باضطهاد المسلمين في مكة بل انهم أرسلوا الرسل الى النجاشي أصحمه والى الكهنة

ومعهم الهدايا من خيل عربية وأقمشة حريرية وغيرها وطلبوا اليهم ان يطردوا المسلمين المهاجرين من الحبشة وكان رئيس هذا الوفد عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما وصلوا الى الحبشة قابلوا أعيان الحبشة وسلموا الهدايا لاصحابها وعرّفوهم بالقصد وكان الاحباش والعرب يعرف بعضهم عادات بعض لتقارب القطرين ولكثرة المواصلات عن طريق البحر الاحمر للتجارة . فلما مثل أعضاء الوفد بين يدي النجاشي قالوا له ان أحد سكان مكة ادعى النبوة ووضع ديناً جديداً والتحق به بعض الناس وقد التجأ بعضهم الى الحبشة لايقاع الفتنة والفساد في هذه البلاد أيضاً فمن العدل طرد هؤلاء المهاجرين واعادتهم الى بلادهم

أما النجاشي الذي كان رجلاً عاقلاً وفطناً عادلاً فطاب اليه جعفر بن أبي طالب ورفقاءه مع علمه بحسن أخلاق المهاجرين وما ظهر منهم من الاستقامة وعدم ايذاء أحد مدة اقامتهم في الحبشة ولكنه أراد بذلك عدم كسر خاطر الوفد فلما جاء جعفر ورفاقه بين يدي النجاشي سألهم امام الوفد العربي عن سبب هجرتهم الى بلاده فأفاض جعفر ببيان بطلان الوثنية التي كانوا عليها وصحة الدين الذي دخلوا فيه واخذ يتلو بعض الآيات القرآنية . ويروى ان النجاشي حل الدين الاسلامي المبين في قلبه محلاً عظيماً . ولما بهرت حجة جعفر أمام هؤلاء الرسل أعاد النجاشي اليهم هداياهم وقال لهم ليس من العدل والمروءة ايذاء هؤلاء الجيران الذين لم نرَ منهم الا شرف النفوس فعاد الوفد خائباً

وفي شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية و بعد واقعة بدر التي انهزم فيها المشركون جهزوا وفداً آخر ومعه الهدايا وأرسلوه الى الحبشة مع عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أعادوا الكرة بطلب طرد المهاجرين لينتقموا منهم ولكن مساعيهم لم تثمر هذه المرة الثانية أيضاً فعادوا أدراجهم

وقد أبلغ النجاشي نفسه المسلمين الذين كانوا في جيرته وحماه نبأ انتصار المسلمين مع النبي على المشركين

مكاتبة النبي صلوات الله عليه مع النجاشي أصحمة

وفي السنة السادسة من الهجرة النبوية أرسل النبي الى النجاشي أصحمة كتاباً مع عمرو بن أمية الضمري أحد الصحابة الكرام يدعو به النجاشي الى الاسلام ويوصي بالمهاجرين الموجودين بالحبشة وكان النجاشي رجلاً متديناً معتقداً فقبل الكتاب بسرور زائد وآمن به وأرسل الجواب مع عمرو بن أمية الموما اليه

وفي السنة السابعة أرسل النبي كتاباً آخر مع عمرو بن أمية المار ذكره الى النجاشي وكله به بعقد نكاح النبي على رملة أم حبيبة زوجة عبد الله بن جحش الذي مات في الحبشة . فارسل النجاشي احدى جواريه تبشر رملة أم حبيبة برغبة النبي بها فقبلت وأهدت الجارية أسورة وخاتماً لهذه البشرى ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فدعى النجاشي أصحمة اليه جعفر بن أبي طالب والصحابة المهاجرين وعقدوا على أم حبيبة وبعد العقد أقام النجاشي وليمة فاخرة للمهاجرين اظهاراً للسرور وأرسل الى أم حبيبة أربعمائة دينار صداقاً عن النبي وأم حبيبة هذه هي بنت أبي سفيان وسافرت أم حبيبة رضي الله عنها من الحبشة الى المدينة وقد جهزها النجاشي وأمر شرحبيل بن حسنة ان يكون في خدمتها . وكان النبي في رسالته الاخيرة طلب الى النجاشي ارسال جميع المهاجرين الموجودين في الحبشة الى المدينة فاستأجر النجاشي لهم عدة زوارق وأرسلهم الى المدينة

وأهدى النجاشي أصحمة الى النبي طيلسانات وقمصان ولباسات وحذاآت وخاتماً وثلاث حراب وقارورة مسك وجلابيب وأرسل هذه الهدية مع أم حبيبة . وأعطى النبي واحدة من الحراب الى سيدنا عمر بن الخطاب والثانية الى سيدنا علي بن أبي طالب والثالثة أبقاها لنفسه . وفي السنة التاسعة من الهجرة أرسل النبي الى

النجاشي هدية ولكن أصحمة توفي قبل وصول الوفد الذي يحملها اليه ولما بلغ النبي نعيه جمع الصحابة الكرام وصلى عليه غائباً

شتى

ورد اليوم أحد رجال رأس ولدي و بلغني سلام الرأس وانه يعتذر من عدم المجيء اليوم لانحراف صحته وانه سيحضر غداً أو بعد غد للزيارة . و بعد الظهر ورد لزيارتي بولص الياس بغدادي أفندي وهو يقطن دمشق الشام منذ عشرين سنة وانما حضر مؤقتاً الى الحبشة للبحث عن مناجم الذهب في هذه البلاد باذن من النجاشي . وقد علمت انه ساح في مقاطعات وللاغا و بارو وجانفاللي وترانسفال وأراني انموذجات من معادن الذهب وقال لي ان الاحباش في هذه البلاد يستخرجون الذهب من الانهار ومجاري السيول بابسط طريقة وهي تصفية الرمال . وحيث ان ذرات الذهب تأتي من الجبال مع مياه الامطار والسيول بحث بولص أفندي في محلات ومجار كثيرة فعثر على مناجم ذهب في أحد عشر محلاً على طبيعتين مختلفتين : وجد الذهب في الاولى مخلوطاً باحجار المرمر (الرخام) والحصا (الزلط) ووجد الذهب في الطبيعة الثانية بشكل شريانات وعروق بين الاحجار في الارض وعلى عيار ٢٣ . وقد رأيت النموذجات فتحققت صدق كلامه

وكان بولص أفندي اشتغل في مناجم الذهب في الترنسفال فقال ان عيار الذهب هناك ستة عشر فقط . وقد استخرج هنا مع فقدان العدد والاوائل اللازمة لمثل هذه الاعمال وعدم وجود الافران الف درهم من الذهب الخالص من جهات بارووجانفاللي وقدمها الى الامبراطور منليك كنموذج . والاهالي الذين يشتغلون باستخراج الذهب يعطون عشر ما يجدونه منه الى رؤساء الحكومة . ويرد كل سنة للامبراطور كثير

من الذهب بين الاشياء التي تقدم لجلالته من الاتاوة وهي الآن محفوظة بالاكياس في خزينته ويقال ان الامبراطور ينوي ان يضرب من هذا الذهب عملة حبشية باسمه . وذكر لي بولص أفندي شيئاً عن الاوزان فقال ان أساس الاوزان هنا هو الريال الذي يزن تسعة دراهم الا قيراطين . ويعتبر كل ثقل ريال واحد (نوكي) ويطلق لثقل كل ستمائة (نوكي) (فراساله) . والوزن المتداول بين التجار هو الفراسالة ووزن كل من الفراسالة ستة عشر كيلو ونصف

***

نساء الاكابر يمشين هنا متحجبات وعند ما يخرجن من منازلهن يركبن في الغالب البغال كما يركب الرجال لا كما يركب نساء الافرنج الخيل . وتمشي امامها جارية وبيدها هراوة ووراءها بضعة من الخدم

***

كنت أجد من يوم ورودي الى آديس آبابا طعم ملح في القهوة ان كانت بسكر أو من غير سكر وما كنت أعلم سبب ذلك وعلمت اليوم انهم يضعون الملح في القهوة زيادة في اكرام الضيف لان ثمن الملح هنا غال جداً . وقد حدث اليوم ان طاهي القهوة وضع في قهوتنا ملحاً ثم أتى أجيره فوضع هو أيضاً مقداراً من الملح فيها ظناً منه ان كبيره لم يضع فيها فلم نقدر ان نشربها . ولما علمت ذلك منعت الخدم المكلفين بعمل القهوة من وضع الملح في القهوة وقد اندهش الخدم من هذا التنبيه وأخذوا يعتذرون مظهرين لنا لزوم وضع الملح مصرّين على وضع الملح في القهوة حتى لا يحطوا بكرامتنا على زعمهم ولم نقدر على منعهم الا بواسطة صاحب المنزل الذي عرفته باننا لم نتعود في بلادنا وضع الملح في القهوة

يوم الاربعاء ٩ يونيو (حزيران)

اليوم صباحاً ورد الرأس ولدى لزيارتنا وكان ق. عين (مهمانداراً) لنا من قبل الامبراطور وكان وراءه أربعون من الخدم والعبيد . وفي الحبشة كل انسان يمشي وراءه من الخدم والحاشية على حسب قدره ومنزلته فكلما كان رفيع المقام يزيد في حاشيته وعبيده الذين يمشون وراءه عند ذهابه من محل الى محل حتى في داخل المدينة. وكنت ذكرت آنفاً انه مشى وراء رأس ما كونن ألوف من الخدم عند ما حضر الى اديس آبابا ولا منزلة في عيون الناس هنا لمن ليس له خدم وعبيد . فمتى وجد الانسان معه سعة يأتي في الحال لمنزله بالخادم ويجعله دائماً وراءه ويطلق عليه اسم العسكري لان الخدم والعبيد هنا يطيعون أسيادهم كما يطيع الجند ضباطهم وقوادهم

ودخل الى البهو مع الرأس اثنان من عبيده ووقفا وراءه وبقي الآخرون في الخارج وأمسك أحد العبيد قبعة الرأس وآخر أخذ يروح بالمروحة الذباب والرأس ولدى على جانب عظيم من اللطف وقد تجاوز عمره الستين وذهب مراراً الى فرنسا وايتاليا بمهمة من قبل الامبراطور . وبنى هذا الرأس منزلاً في القدس ووقفه على الامور الخيرية . وقد قال لي انه كان سافر الى القدس وان رجال الحكومة هناك أكرموه جداً وانه يحب العثمانيين وطلب الي أن أعرض احتراماته وتعظيماته الفائقة للاعتاب السنية السلطانية عند رجوعي الى الاستانة . وظهر لي من محادثته ان الرجل غير غافل عن ان هذه الدنيا فانية وان الآخرة هي أبقى فلذلك لا يميل الى الزينة بل يميل لمساعدة التعساء والفقراء من كل الاجناس والاديان على المساواة

مكثنا مدة نتحادث ثم استأذن هو وحاشيته بعد أن وعد بالمجيء ثانية . وبعد ذهابه

حضر الحاج احمد افندي صاحب المنزل وكان قد ذهب الى الكمرك ليستخرج بعض البضائع والامتعة الواردة باسمه

يوجد هنا محلان للكمرك الواحد داخل قصر النجاشي والآخر خارجه فالبضائع التي تمر من هرر وتأتي الى العاصمة ترد الى الكمرك الخارجي لان هذه الامتعة تكون بالطبع مرت من كمرك هرر ورآها الرأس هناك حيث انتخب الاشياء الجميلة وأخذها بدلاً من رسوم الكمرك . وأما البضائع التي تأتي من الساحل مباشرة الى آديس آبابا فانها تدخل الى الكمرك الكائن داخل القصر وتفتح هناك فاذا وجد فيها شيء أحب النجاشي أن يأخذه يبقيه عنده بدلاً من رسوم الكمرك . والرسم المقدر للكمرك هو ثلاثة في المائة من البضائع التي تمر من هرر لان صاحب البضائع يكون قد دفع بالماية عشرة في المدينة المذكورة وأما البضائع الواردة مباشرة من الساحل الى آديس آبابا فانها تدفع بالماية ثلاثة عشر . ولا يوجد في الكمارك مقدرون للبضائع بل يؤخذ الرسم حسب تعريف صاحب الامتعة عن أثمان البضائع والتجار تراهم مضطرين أن يصدقوا في تعريف الاثمان ولا يتجاوز واحد الاعتدال لانه اذا زاد الثمن يدفع الرسم بنسبة هذه الزيادة

أخبرونا البارحة بأن النجاشي سيحضر اليوم الى آديس آبابا . وفي الساعة الخامسة (عربي) ظهر الموكب الامبراطوري على بعد كيلو متر واحد تقريباً وكنا نراه من شرفة منزلنا وكان جلالته راكباً بغلة وبرفقته أكثر من الف انسان أغلبهم راكبون البغال . وكان أحد الخدم رافعاً على رأس الامبراطور مظلة كبيرة حمراء اللون وكان الطريق الموصل الى القصر الامبراطوري السائر فيه الموكب مرئياً من منزلنا . ولما وصل الموكب الى القصر ازدحمت أطراف القصر بالناس بعضهم من الحاشية والبعض جاءوا لتقديم فروض التحية للنجاشي . وبعد ساعتين جاءنا الموسيو ايلج وأبلغنا تحية الامبراطور وسأل عن صحتنا وراحتنا وأخبرنا أن مدة الحداد على حفيدته ستنتهي يوم الجمعة الآتي وان مقابلتنا لجلالته ستتأخر الى ما بعد اليوم المذكور وانه أي

الامبراطور يعتذر لنا عن هذا التأخير فشكرنا جلالة الامبراطور ثم أخذنا نتجاذب أطراف الحديث مع المسيو ايلج المومأ اليه . وفي أثناء الكلام أخبرته بأن جلالة السلطان الاعظم يكون مسروراً اذا أعطي المسلمون هنا قطعة أرض يبنون عليها مسجداً وقطعة أخرى يجعلونها مقبرة لدفن أمواتهم فيها فوعد الموسيو ايلغ أن يعرض ذلك على جلالة الامبراطور

وأما البرنسيس حفيدة الامبراطور المتوفاة فهي في العاشرة من عمرها وزوجة أحد أبناء تقلا مايتو حاكم مقاطعة غوجام . وبعد وفاة تقلا مايتو تعين ابنه المذكور حاكماً على المقاطعة المذكورة . والمتداول بين القوم هنا أن البرنسيس توفيت من اصابة العين اذ الناس هنا يعتقدون باصابة العين اعتقاداً عظيما وقد مر ذكر أكلهم الطعام تحت الحجب والاستار خوفاً من اصابة العين

بودا — اصابة العين — تفو تفو يعني عين لا تصيب

اذا أصيب أحد الاحباش هنا بنوب عصبية أو بجنون خفيف يقولون أصابته العين ويأتون له بأحد القسس المختصين بمثل هذه الامراض وحين يقرب القسيس من المريض يزيد المرض اشتداداً أو يهيج المريض حتى يضطر أهله لامساكه وتهدئته فحينئذ يأخذ القسيس بيده قطعة نبات ويضعها على أنف المريض فيشمها ثم بعد بضع ثوان يقول (أصابتني عين فلان) يذكر اسم أحد الناس فيرسلون في الحال بمن يأتي بالرجل الذي ذكر المريض اسمه ويأمرونه بالبصق على المريض فيبرأ هذا من مرضه ويسمون من تصيب الناس عينه (بودا) وكان عقاب البودا قلع احدى عينيه والآن يكتفون بضربه أو توبيخه . ويتوسل هذا البودا المسكين الى المريض أو أقربائه أو القسيس الممرض أن لا يشكوه الى الحكومة . ويوجد في القطر الحجازي مرض أو عادة تشبه

اصابة العين هنا وهي ما يسمونه هناك (زار) (١) ولا يحدث الا للنساء ولا أظن اصابة العين الموجودة في الحبشة هي نفس الزار الموجود في الحجاز لان المصاب بالزار لا يبرأ من الاصابة باستنشاق نبات أو غيره بل على صاحب المنزل أو الزوج أو الوالد أن ينفق بضعة آلاف من القروش فيقيم المآدب في منزله للسيدات والجيران حيث يرقصن ويغنين ليخرج الزار من جسم المصابة . ويوجد في الاستانة عند الجواري السودانيات حالة تشبه بودا الحبشة

وقد سرت الى السيدات الاسلامبوليات فانهن حين يردن اظهار العطف نحو الاولاد يبصقن عليهم بصقاً خفيفاً قائلات (تفو تفو تفو عيني لا تصيبك) ولعل هذه العادة انتقلت من الجواري الاحباش

الموسيو ايلغ

كل من يذهب الى الحبشة أو يقرأ شيئاً عنها لا بد من ان يسمع اسم الموسيو ايلغ اذ لهذا الرجل مقام عظيم لدى جلالة النجاشي منليك الذي جعله مستشاره الخاص ورئيساً لنظاره وناظر خارجيته. لما كان الامبراطور حاكماً على مقاطعة (شووا) قبل توليه عرش الحبشة كتب الى أحد التجار السويسريين في عدن ان يرسل اليه جماعة من الغربيين المتعلمين ذوي دراية وفضل ليستخدمهم في حكومته . وبعد مضي سنة أتى الحبشة بضعة شبان ولكل منهم اختصاص بصنعة وفن من الفنون وكان بينهم المسيو ايلغ المومى اليه وكان أتم علومه في السنة المذكورة في مدرسة الهندسة المشهورة في زوريخ من أعمال سويسره ثم رجع هؤلاء الشبان الى بلادهم بعد مدة قصيرة ما عدا

(١) الزار معروف في مصر وهو مرض الشياطين الذي تتلبس به النساء الجاهلات ويؤذين الاهل والجيران (مترجم)



الموسيو ايلغ السويسري مستشار الامبراطور منليك

الموسيو ايلغ الذي بقي هناك ونال بجده وثباته ونشاطه وأمانته واستقامته الحظوة الكبرى عند جلالة النجاشي حتى صار من أصدقاء جلالته وهو الآن مقيم في الحبشة مع عائلته ويذهب بعض الاحيان الى أوروبا ثم يرجع الى الحبشة . وقد أثرى وصار صاحب أموال وأملاك بما لهُ من المكانة ولصداقته لجلالة الامبراطور وحسن خدمته للحبشة واجتهاده . وهذا الرجل النشيط هو الآن في الخمسين من عمره ويعرف اللغة الفرنسوية والالمانية والعربية ويحسن التكلم باللغة الامحرية ويكتبها ويقرأها كاحد أبنائها وهو الذي يترجم الرسائل التي ترد من الخارج باسم جلالة الامبراطور لى اللغة الامحرية

يوم الخميس ١٠ يونيو (حزيران) آديس آبابا

وفي صباح هذا اليوم جاءني نقدراس هيلا يوركيس أحد قرناء جلالة الامبراطور ووراءه كثير من العبيد والجنود وأبلغني تحية الامبراطور وقال لي ان جلالته كان عازماً أن يقضي بضعة أيام أخرى في القصر المسمى (جنة) الكائن في هولانا وانما عاد الى العاصمة بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني وانه أرسل الرسل يطلب أمير مقاطعة (جمابا جفر) الذي كان هنا قبل بضعة أيام ثم سافر الى مقر وظيفته ليعود و يقابلنا فطلبت اليه أن يرفع شكرنا لجلالة الامبراطور ثم ذهب مع حاشيته وفي هذا اليوم كنا نسمع بكاء وعويلاً ونحيباً كثيراً من جهة القصر الامبراطوري ولما سألنا عن سبب ذلك قيل ان أمتعة البرنسيس المتوفاة و بغالها وصلت اليوم الى العاصمة لذلك تجددت أحزان الناس وأظن انه لا بد من وجود ناس هنا يبكون لاجل الخاطر كما يبكي بعضهم بالاجرة

و بعد الظهر أتاني الموسيو ايلغ و بلغني أن جلالة الامبراطور أمر باعطاء قطعة أرض ليبنى عليها جامع للمسلمين وأخرى لتكون مقبرة لهم وانه تقرر أن يقابل جلالة الامبراطور الوفد السلطاني يوم السبت الآتي بصفة رسمية . وقد سرني جداً خبر اعطاء الارض اللازمة لبناء الجامع والمقبرة فطلبت الى الموسيو ايلغ أن يرفع شكري لجلالة الامبراطور وقد تقرر أن يسمى الجامع (حميديه)

خرجت بعد ذهاب الموسيو ايلغ الى الشرفة حسب عادتي وأشرفت على السوق التي كانت مكتظة بالناس من الرجال والنساء وكان الاعيان منهم يلتفون بالازار كالنساء والناظر اليهم لا يفرق بين المرأة والرجل الشاب لانهم يغطون وجوههم بالمئزر الى العين

كالنساء وانما تعرف النساء بخادمة تسير أمام البغل تحمل بيدها هراوة كما يعرف الاكابر منهن بلبسهن الجوارب من صنع أوربا من غير حذاء والنساء هنا يلبسن الجوارب لا للتحفظ من البرد بل للزينة فقط وتركب المرأة أحياناً على بغل واحد مع زوجها أمامه أو وراءه . وكثيراً مايرى الانسان على بغل واحد الزوج والزوجة وولدهما

بينما كنت أدوّن هذه السطور اذ جاء أحد الاحباش وطلب من خادم أحمد افندي نموذج قزاز وقد علمت منه ان لوح القزاز من ألواح الشبابيك الذي لا يساوي في الاستانة أكثر من قرش واحد يباع هنا بريال واحد والقدح الزجاج الذي لا يساوي أكثر من قرش يباع بريال أيضاً . والسبب في هذا الغلاء هو ان الاشياء القابلة للكسر لا تصل من الساحل الى آديس آبابا الا بعد أن يفقد ثلاثة أرباعها أو أربعة أخماسها لان المكارية لا يعتنون بالطرود عند انزالها وتحميلها ومهما أفهموهم وكلموهم بلزوم التأني وقت انزال الاحمال أو تحميلها فانهم لا يحيدون عن طريقتهم في التحميل وقد رأيت أثناء سفرنا عدم عناية المكارية بالتحميل فانهم كانوا يحملون كل يوم صناديقنا مقلوبة أي رأسها الى أسفل وكلما كنت أكلمهم في ذلك يقولون لي (ايشش ايشش) ولكنهم لا يعملون الا برأيهم والبضائع الاخرى هنا غالية أيضاً فصفيحة غاز البترول تساوي من ثمنية الى تسعة ريالات وأقة السكر ريال واحد . وفي موسم الامطار اذا تأخر وصول القوافل من الساحل فان الاثمان تتصاعد كثيراً والاهالي هنا يشربون القهوة بالعسل فلا يحتاجون والحالة هذه للسكر كما انهم ليسوا في حاجة لكثير من البضائع الافرنجية وقد كنا نحن أيضاً في الطريق نستعمل بعض الاحيان العسل في الحلويات فكنا نجده لذيذاً . وقد قلت آنفاً ان العسل في هذه البلاد كثير ورخيص جداً . ويوجد في مقاطعة جمابا جفر جنس من النحل يعمل خلاياه تحت الارض ولا يعرف محله الا من ثقب صغير يدخل منه النحل ويخرج ويؤخذ من هذه الحفر الارضية مقدار كبير من العسل ولكن طعمه ليس كطعم الجنس الذي يعمله النحل في جذوع الاشجار

لغة الاحباش

ان لغة الاحباش الحالية هي اللغة الاثيوبية الاصلية ويقال لها لغة الكيز أيضاً . وهـذه اللغة هي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية والسريانية وقد دخلت اللغة المذكورة الى الحبشة عن طريق تيغري ومصوع بواسطة أقوام هاجروا في الازمنة القديمة من اليمن . وانتشرت من هناك الى الداخل حتى اضحت اللغة الكبرى . وبتعاقب الاجيال طرأ عليها تغييرات تعرض لكل لغة من اختلاط الاقوام المجاورة لها فدخل فيها كلمات أجنبية والاصطلاحات التجارية اليونانية فتفرع منها لغات متعددة سميت كل واحدة منها باسم الاقوام الحبشيين على اختلاف المقاطعات التي يقيمون فيها وأشهر هذه اللغات هي الامحرية والتيغرية والغوندارية ولغة جماباجفر والصومال وشووا ودانجلا وعدال وهرر

ان الحبشة تتألف من حكومات مستقلة في ادارتها الداخلية تحت رئاسة الامبراطورية التي تكون على الغالب في يد اقوى أمير من حكام المقاطعات و يعتبر مقر هـذا الامير عاصمة الامبراطورية التي تنتقل بذلك من حكومة الى حكومة ومن بلد الى بلد . وكانت لغة كيز المار ذكرها اللغة الرسمية للبلاد كما انها كانت اللغة الدينية وذلك عند ما كانت السيادة بيد حكام تيغري ولما انتقلت عاصمة الملك الى الغرب الجنوبي صارت اللغة الامحرية اللغة الرسمية للحبشة و بقيت لغة الكيز اللغة الدينية والعلمية والتاريخية كما كانت . ويستعمل أهالي مصوع وما يجاورها وسكان التيغري في كتاباتهم لغة الكيز وهي بمقام اللغة العربيـة الفصيحة بالنسبة الى اللغات العامية العربيـة التي يتكلم بها الناس في اليمن والحجاز وسوريا ومصر حيث تختلف اللهجة في التكلم وتتحد عنـد الكتابة . ويقال ان هجمات قبائل الغاللا وغاراتهم

المتوالية على الحبشة ودخول المسلمين واستيلائهم عليها هي من جملة الاسباب التي تركت لغة الكيز مهملة تقريباً واللغة الامحرية وان تكن تغيرت تغيراً كلياً بسبب ما دخل فيها من اللغات الاجنبية من الاقوام والقبائل الخارجة وتكتب الى الآن بحروف لغة الكيز . وحروف هذه اللغة تشبه الحروف الحميرية . ولا يخفى ان اللغة الحميرية هي لغة أهل اليمن القديمة وهذا مما يؤيد الرأي القائل بدخول لغة الكيز الى الحبشة مع دخول المهاجرين اليمنيين اليها كما ان انتساب بعض القبائل اليمانية الى (كوش) الذي تنسب التوراة الاحباش اليه يؤيد قرابتهم باللغة مع اليمنيين. وكانت لغة الكيز قبلاً تكتب كالعربية من اليمين الى الشمال ولكن الاحباش قلدوا الغربيين فكتبوها من الشمال الى اليمين . وأما الارقام فانهم أخذوها من اليونانيين وعدلوها على وجه يوافق لغتهم ولنأت بامثلة من كل من لغة الكيز والامحرية التي تشبه العربية

العربية	الكيزية	الأمحرية	
أنا	أنا	أنه	
أنت	أنت	أنت	خطاب للمذكور
أنتِ	انت	انتي	خطاب للمؤنث
انتم	انتم	الأنت	

والمتأمل في مخاطبات الناس ثمة باللغات الحبشية يسمع كثيراً من الكلمات العربية بهذه اللغات واليك مثالاً آخر من الادعية التي يدعو بها الاحباش في صلواتهم هو دعاء معروف عند المسيحيين نسمعه منهم باللغة العربية ولننبه القاريء الى ان حرف (ب) في لغة الكيز ينطق كحرف ف (v) عند الافرنج :

عربي	كيز
أبونا الذي	افوناذا
بالسموات	بسميات
يتقدس اسمك	يتقدس اسمك

عربي	كيز
كما بالسما	بكما بسماي
كما هو بالارض	كى هو يحدر
اغفر لنا سيئاتنا	هيدج لنا ايسانى

وقد اشتمل بعض المحققين من علماء اللغات من الاوروبيين بدرس اللغة الامحرية والكيزية وألفوا فيها كتباً عديدة أشهرها مؤلف باللاتيني لرودويف من فرانقفورت وآخر بالانكليزي لايزبرغ في لوندره وآخر بالفرنساوي لموندون فيداله في باريس وآخر بالطلياني لجيدي في روما وآخر بالالماني لبرينيورس في هال

وغير هذه المؤلفات يوجد كتب أخرى في اللغات الحبشية تأليف دالمان وفرانس وقد طبعت الجمعية الجغرافية الفرنسوية كتاباً ضخماً في أربعة مجلدات تأليف (كونيك) يحتوي على شرح واف فيما يخص اللغات الحبشية

يوم الجمعة ١١ يونيو (حزيران) آديس آبابا

———

جاءني صباح اليوم الموسيو ايلغ و بعد ان بلغني تحية الامبراطور شرح لي كيفية احتفال المقابلة التي ستكون نهار غد

كنت اليوم جالساً في الشرفة فاستجلبت نظري أغطية الرؤوس التي يضعها الامحريون على رؤوسهم

الاعيان منهم يلبسون القبعة على رؤوسهم والباقون مكشوفو الرؤوس ومنهم من يترك شعر رأسه على حاله والبعض يحلقونه كله وقد رأيت منهم من حلق شعر رأسه من الوسط وتركه من الاطراف بحيث صار على رأسه شبه القبعة . ومنهم من وضع على قمة رأسه عمامة صغيرة و بعضهم لف حول رأسه قطعة من الشريط المسمى (قورده لا) .

لزم لبعض صناديقنا تصليح ورأينا أن نلف هذه الصناديق بجلود البقر وكان عندنا جلود بقر مذبوحة بيد جزار مسلم فامتنع النجار المسيحي أن يستعمل هذه الجلود أو أن يمسها بيده فتعجبت لهذا التعصب الغريب في بابه مع ان المسيحيين والمسلمين في الحبشة يعيش بعضهم مع بعض في غاية الوئام والسلام فلا تقع بينهم مشاحنات دينية ولا غيرها

أتى بعد الظهر أحد رجال رأس من الرؤس وسأل عن أحوالنا وأهدى تحية الرأس لنا وفي المساء جاء لزيارتي أمين مخزن النجاشي (كيلارجي) ورئيس خدام مائدته واسمه اسلاقي ماشاشا . ووظيفة هذا الرجل لا تشبه وظيفة سائر خدمة المائدة بل انه مكلف في بعض الاحيان بوضع الطعام بيده في فم النجاشي . وقد رأيت مراراً خدام بعض الرؤوس يدنون قدح الماء بيدهم الى فم الرأس و بعد أن يشرب سيده

يمسح له فمه بطرف ردائه (الشما) على اني لم أرَ الخدام يضعون الطعام أيضاً في فم الرؤوس أو الامبراطور بل سمعت ذلك من بعض رجال حاشية الامبراطور

ان خادمنا المسمى جمعه يفهم العربية قليلا و يميل جداً لتعلمها . لذلك تجده يكرر كل ما يقال أمامه فمثلاً لو طلب أحدنا منه قليلاً من الماء لا يأتي بالمطلوب الا بعدأن يكرر ما قيل بالحرف واذا ضحكت أمامه يضحك هو أيضاً واذا عبست وقطبت جبينك يعبس هو أيضاً و يقطب جبينه . واذا كان عندك بعض الزائرين فناديته لغرض من الاغراض وقلت له انتظر هنا قليلاً يدير ظهره لك ولزائريك و يقف في وسط الغرفة كالصنم بدون حراك . لانه يستحي من ان يقف ووجهه موجه نحوك . وكان الطقس اليوم بارداً فاضطررنا ان نوقد النار في غرفتنا للدفأ فأتى جمعه المذكور بالنار ضمن الساج ووضعه على البساط من غير ان يضع تحته شيئاً آخر منعاً لسريان النار الى البساط . فلما رآه أحد الزائرين الموجودين عندي كلمه بالعربية قائلاً (ما هذا العمل يا جمعه ستحرق البساط « يا خراب ديارك ») فكرر جمعه في الحال الجملة الاخيرة من كلام الزائر قائلاً (يا خراب ديارك) فضحكنا جميعاً ولما رآنا كذلك صار هو أيضاً ينظر الينا و يضحك معنا

لا يخفى اننا من سكان الاستانة التي يشتد البرد فيها في الشتاء جداً ومع ذلك فقد احتجنا اليوم ونحن في أواسط حزيران (يونيو) وفي آديس آبابا الكائنة في أفريقيا الى وضع النار في غرفتنا للتدفئة . لان المدينة كائنة على ارتفاع عظيم كما ان الموسم هو موسم الامطار

الجندية

يؤلف الجيش الحبشي من مجموع جنود كل رأس أي كل حاكم مقاطعة من المقاطعات حسب جسامتها وثروتها ومن الجنود الحرس الخاص بجلالة الامبراطور .

ويوجد غير هذه الجنود الموظفة جنود أخرى (رديف) تؤخذ وقت الحرب من الاهالي بنسبة سعة الاراضي المملوكة أي الضياع والمزارع والثروة وعلى كل من هؤلاء الجنود أن يأتي معه بحصان أو بغل أو حمار ومن الذخيرة والزاد ما يكفيه مدة شهر واحد وفي الغالب يؤخذ الرديف من الجنود الذين أدوا الخدمة العسكرية الموظفة أي العاملة وتعطيهم الحكومة الاسلحة اللازمة لهم بعد انضمامهم للجيش . وتجهيزهم يكون على نفقة أصحاب الاراضي والمزارع المملوكة . ويؤلف الجيش الحبشي وقت السلم من مائتي الف جندي وينضم له مائتا الف من الرديف وقت الحرب . ولا توجد في الحبشة أصول القرعة بل يتطوع الاهالي بالدخول في الجيش الحبشي لشدة ميلهم للضرب والطعان وشغفهم الزائد باستعمال السلاح وبنادق الجنود المنظمة هي بنادق (غرا) الفرنسوية (وبردان) الروسية ويتقلد كل جندي على يمينه بسيف محدب أما الذخائر الحربية كالبارود والقراطيس فلم تزل الحكومة تأتي بها من أوروبا وانما الآن ينظر رجال الحكومة في تأسيس معمل لصنع القراطيس هنا . وغير هذه الاسلحة النارية يوجد عندهم أسلحة بيضاء مثل الرماح والحراب والاتراس وما أشبه . والجنود تكون وقت السلم منتشرة في عرض البلاد وطولها حيث تقوم كل مقاطعة بمؤن الجند الموجود ضمن دائرة حكمها . وفي زمن الحرب تجري الحركات العسكرية بكل سرعة وذلك بسبب توفر مخازن المؤن الموجودة في محلات مختلفة وفيها الزاد والذخيرة حتى ان سرعة سوق الجنود في سنة ١٨٩٥ ضد الطليان أوجب استحسان أوروبا وتقديرها الجندية الحبشية قدرها

والقيادة العامة وقت الحرب تكون بيد الامبراطور وكل رأس يكون قائد الجنود الموجودة تحت امرته ولكن الامبراطور هو الذي يعين الخدمة التي تطلب من الرأس ويرتب حركات جنوده . وبعد الرأس تأتي سلسلة مراتب عسكرية . اذ كل من أصحاب الرتب يقود فصيلة من الجنود . والرتب العسكرية بعد الرأس هي على الترتيب الآتي : داز جماج ، فيتوراي ، قينازماج ، غرازماج ، بالمبراس ، آش آلاقا

فتوالاقا . شالاقا. وأهمية أكابر أركان الجيش تكون بنسبة كمية الجنود التي يقودونها . ان رتبة قينازماج هي أكبر من رتبة غراسماج ولكن غراسماج يتقدم في معية الامبراطور على ضابط حائز رتبة قينازماج بجيش أحد الرؤوس فيعطى الغراسماج حينئذ عدداً من الجنود فيكون والحالة هذه أكثر أهمية من الثاني

وفي أثناء الحرب يكون الجيش على نظام حربي حيث يقومون بالترتيبات الاساسية مثل الجناحين الايمن والايسر والمقدمة والساقة والقلب. وعند نزول الجيش في محل تعتبر خيمة القائد العام أساساً لترتيبات النزول ويعرف كل من ثم الرؤوس والقوّاد أين توضع خيمهم وهم يقدرون المسافة وخطوط الاستقامة بالضبط فلا يحصل عند نزول المعسكر ما يستوجب التشويش قطعاً وهنا يجب أن أصف من قبيل المثال ترتيب معسكر الاحباش في واقعة (ادووا) التي حصلت بينهم وبين الطليان :

كان في واقعة (ادووا) معسكر الامبراطور نفسه ضمن ثلاث دوائر داخل بعضها في بعض على الترتيب الآتي : خيمة الامبراطورة على اليمين في مركز الدائرة الاولى الكائنة في الوسط وعلى الشمال خيمة الامبراطور . ووراءهما مخزن المؤن الخاصة بهما والمطبخ والاصطبل وخدامهما ويؤلف محيط هذه الدائرة من جنود الحرس الامبراطوري وكان بين الدائرة الاولى والدائرة الثانية الى الامام معسكر رأس ميكائيل رأس وليه ووراء معسكر ميكائيل افانفوس أي الرأس الروحاني ودازجماج ووراء رأس وليه كان معسكر قائدين برتبة دازجماج . ومن جنود هؤلاء كلهم يؤلف محيط الدائرة الثانية ثم بين الدائرة الثانية والدائرة الثالثة يوجد الى الامام معسكر قائدين برتبة فيتورارى يؤلف كل منهما الجناح الايمن والجناح الايسر من مقدمة الجيش . ففي الجناح الايمن منه ضابطان برتبة قينازماج وفي الجناح الايسر ضابطان آخران برتبة غراسماج . وفي المؤخرة الساقة كان معسكر نفرس تقلا هايمانو حيث تؤلف جنوده الدائرة الخارجة وعند سير المعسكر كله يمشي حسب النظام واذا لزم الرجوع الى الخلف أو التحول في السير الى اليمين او الشمال فانه لا يجب تغيير محلات الفرق العسكرية بل يبقى كل



محارب من الحاشية الملوكية

على حاله وانما تصير الساقة مقدمة الجيش في حال الرجوع والمقدمة ساقة وكذلك عند التحول في السير الى اليمين يقوم الجناح الايمن مقام المتقدمة والجناح الايسر مقام المؤخرة والعكس بالعكس . واذا كان أمام الجيش في مسيره وديان أو هضاب فاضطر للخروج من هذا النظام فانه يعود اليه حالما يصل الى الاراضي المساعدة على اخذ شكله الاصولي المارّ ذكره الذي يحافظون عليه كل المحافظة . ويكون كل مرؤوس دائماً قريباً من رئيسه

ان الجندي الحبشي ليس كبير الجثة قوي العضلات وانما هو كثير الجلد والصبر على تحمل المشاق والمتاعب وهو موصوف بحق بهذه المزية العظيمة التي لا بد منها للجندي فهو يمشي طول النهار و يقطع الوديان والجبال من غير أن يأكل أو يشرب ثم يهاجم عدوه دون ان يستريح . فالجنود الحبشية تفوق الجنود الاوربية بكثير بسبب قناعتهم بالقليل وخفتهم وقت السفر وهم عراة الاقدام

ولما كنت في اثناء الطريق انزل عن البغل واسير على قدمي بقصد الراحة من عناء الركوب كان الخدام والجنود الاحباش الذين كانوا معنا ينصحونني ان اخلع من قدمي الحذاء (الجزمة) وان اسير عاري القدمين مثلهم كما انهم كانوا يستغربون سيري بالجزمة و يسألونني كيف اقدر على السير بها

والجنود الحبشية يغيرون على العدو بشجاعة واقدام عظيمين ولا يتأخرون عن الهجوم على الاسد أو النمر بكل جراة ليقتلوه و يأخذوا ذيله أو شعر رقبته ليتشرفوا بوضعه على رؤوسهم أو جلده ليضعوه على اكتافهم . والناس في الحبشة يقبلون على الجندية اقبالاً عظيماً لينالوا الفخر ويمتازوا عن الآخرين ولا يتأتى للجندي أن يمتاز على رفاقه الا بالشجاعة والجرأة

وقد استخدم الطليان كثيراً من الاحباش من أهالي مستعمراتهم في الجيش الطلياني والذين رأوهم وشاهدوا حركاتهم أثناء القتال أو حاربوا معهم يثنون عليهم ثناء عظيماً

وكيفية أخذ الجنود هناك أن الحكومة تعلن طلبها للجنود المتطوعة فيأتي الناس للانتظام في السلك العسكري وربما كان المقبلون على ذلك اكثر من العدد المطلوب فيجربونهم بالمشي السريع أو الجري الخفيف على الطريقة العسكرية الى مسافة سبعين كيلومتراً تحت نظارة ضابط من الفرسان . والذي يكون اكثر اسراعاً في جريه ولا يعتريه تعب يؤخذ . والجندي الحبشي مطيع ومحب لرئيسه وصادق وأمين في خدمته جريء مقدام قنوع كما أنه يحافظ على النظام أثناء التمرين . وبالاجمال فالجندي الحبشي قابل للتعليم والتمرين كقابلية الاوروبي لذلك

والجنود الاحباش لا يحبون الاقامة في محل واحد بل يميلون الى التنقل وتبديل المكان ورؤية محلات جديدة وهم يفضلون التسلق على الجبال الشاهقة والحركة على السكون والراحة . واذا سافر الجندي الحبشي لا يسأل عن وجهة السفر ولا عن المحل الذي سيقضي فيه ولا المسافة التي سيقطعها ولا يتأخر في الطريق من غير اذن رئيسه بأي حجة من الحجج . يقضي يومه بما تيسر من الاكل ويحب السلاح جداً ولا يتركه من يده قط حتى أنه ينام في الليل وبندقيته معه وحين يسير يكون دائماً في انتباه وتيقظ تام . وهو شديد السمع حاد النظر حاسة الشم فيه عظيمة جداً . واذا مرض أحد الجنود أثناء السير في طريق السفر يتركونه في كوخ أو في قرية ومعه أحد رفاقه ويعالج هناك ثم يلحق بمعسكره بعد رجوع الصحة اليه . وعند وصول الجند الى محل النزول تبدأ الجنود قبل كل شيء باقامة خيم او اكواخ قوادهم وضباطهم وبعد أن يقوموا بما يجب عمله لراحة هؤلاء الضباط يفكرون بانفسهم . واذا نام أحد الضباط يأتي الجندي وبيده غصن من أغصان الشجر فيطرد به الذباب عن وجه الضابط وبالجملة انه يقوم بكل ما يلزم لراحة الضابط . وقد كان الجنود الذين معنا أثناء سيرنا في الطريق يقومون بكل هذه الخدم ويمشون أمامنا حتى اذا صادفنا في طريقنا شجيرات أو أغصاناً تعوقنا عن السير فانهم اما أن يقلعوها من جذورها أو أن يؤخروها بأيديهم الى الوراء ليفتحوا بذلك طريقاً لمرورنا

والجنود الحبشية بعد أن يقضوا ما عليهم من الخدم لترتيب المعسكر يقطعون ردحاً من الزمن بالضحك واللعب تسلية لنفوسهم وعند الصباح تجدهم واقفين على أقدامهم ينتظرون لاوامر بكل نشاط وسرور. ولا انسى ولن انسى ما كنت اراه من ابو بكر احد الجنود المرافقين لنا في سفرنا من النشاط والسرور في تنفيذ الاوامر التي كانت تعطى له وهو يتغنى وينشد . مع ان هذا الرجل كان يتجاوز الستين من العمر ومع ذلك فقد كان يجري في ذهابه وايابه كأنه شاب في مقتبل العمر . وللجندي الحبشي شغف زائد بالصيد والقنص ولكنه لا يريد ان يسرف بالقراطيس لغير فائدة وعنده اكبر هدية تهدى له هي القراطيس (الخرطوش) واذا عوقب احدهم بالضرب على ظهره يتجلد تجلداً عظيما فلا يسمع له صوت اثناء ضرب بسيط بل ولا تظهر علامة التألم والوجع على وجهه او على حركات جسمه ولقد يقال ان احد الاحباش المستخدمين في الجيش الطلياني عوقب مرة بالضرب فأخذ يصيح عند تنفيذ العقاب فجعل رفاقه يستهزئون به ويحترونه حتى اضطر للاستعفاء من خدمة الجندية

وثبات الجندي الحبشي واقدامه وقت القتال يكون متناسباً مع شجاعة القائد وبسالته فاذا ثبت القائد فان الجند يثبتون معه حتى الموت ويلقي القائد على الجند نشيداً حربياً او خطبة حماسية قبل دخولهم الى ساحات القتال ويمدح نفسه ويثني عليها لانه سيكون للجنود قدوة ومثالا حسناً . واليك بعض امثلة من خطب القاها القواد قبل دخول الجند ساحة القتال :

الخطبة التي القاها دجاز ديب قبل محاربته للتيغريين بيوم واحد

« ايها الجند : انكم ستعلمون غداً ذكر الرجل الذي انتم في خدمته الى اليوم اني سأقاتل غداً حتى اظفر بعدوي او اموت فينبغي ان لا تفارقني انظاركم واذا رأيتم ترددي . . . . ماذا قلت ؟ كيف لفظت كلمة (تردد) لا لا ! انا قلت غلطاً

أريد ان اقول ان كل من يرى احد شرايين وجهي ترتعش فليتركني و يترك خدمتي ومن يرى اني رجعت القهقرى مدبراً فليخرق جسمي برمحه و ينتقم مني بذلك »

وفي الحقيقة ان هذا القائد قاتل في اليوم التالي قتالا عظيماً واظهر من الشجاعة والبسالة ما يفوق الوصف

وهذه خطبة أخرى

« أنا الذي له طعنات بالرمح نجلاء ، أنا الذي طعنت بالرمح الرجال الكثيرين . أنا اسمي قاسسا . أنا ابن جبابا فانفل . أنا الذي اذا أصابت رقبتي رصاصة تقوم فيها مقام ماتب (ماتب هي شريطة زرقاء يعلقونها في أعناقهم وفيها الصليب مرسل الى الصدر) أنا أسد وابن أسد . أنا الذي انتصرت على الفاللا ممتطياً حصاني فانزو . أنا الذي قتل بسيفه كثيرًا من التيغريين وانتصر ببندقية على الامحراويين . أنا الذي ألقى بيده بالنالناويين الى أعمق الهاويات . نعم أنا ابن جبابا فانفل . البارحة كنت بلمراساً واليوم صرت دزجماجا وسأكون غداً رأساً . أنا لا أرهب أحداً . هل يوجد من رآني فاراً ؟ هل هناك من يقدر على أخذ ترسي مني ؟ اذا وجد فليبرز الي . »

وللجنود الاحباش عادة فظيعة جداً يستعملونها وقت الحروب وذلك أنهم يقطعون خصيتي الاسرى بحجة تقليل نسل العدو لذلك تجد الجنود يتسابقون الى الاتيان بما يقطعون من آلات التناسل لينالوا الفخر لدى رؤسائهم بذلك و يظهروا بمظهر الشجاعة والاقدام . ومن أجل ذلك تجد المتبارزين دائماً يكون أول همهم قطع الخصية اذا ظفر أحدهما بالآخر . وقد عاد اكثر الاسرى الطليان الذين وقعوا في أيدي الاحباش الى بلادهم مقطوعي الخصيتين . وقد أراد الامبراطور منليك ابطال هذه العادة المستنكرة وأصدر بذلك أوامر متعددة ولكنه لم يقدر على استئصال

شأفتها بالمرة لان الجندي الذي يتمكن من قطع خصية أحد الاعداء لا يأتي بها الى ضابطه بل يأخذها ويعلقها على باب منزله أو كوخه علامة الظفر بعدوه وكانوا يعلقونها على صدور خيولهم أو بغالهم وبعضهم كان يحشوها بالتراب لتكبر ثم يعلقها حيثما يريد

وخيم الجنود الحبشية لونها أبيض وخيام الضباط مختلفة الالوان . وأما صيوان الامبراطور فانه يكون أحمر اللون . وتكون الخيمة الحمراء نقطة الدائرة في ترتيب المعسكر وقت النزول ويوجه باب الخيمة الى الجهة التي يسير منها المعسكر في اليوم التالي . فمن اتجاه باب خيمة الامبراطور تعرف الوجهة التي سيتوجهون اليها . وهذه القاعدة ليست خاصة بالجيش فقط بل ان القوافل السائرة في الفيافي والجبال تتبع القاعدة المذكورة عند نزولها . وأما نحن فاننا كنا دائماً نوجه أبواب صواويننا للجهة الآتي منها الهواء لذلك كان خدمتنا وجنودنا يستغربون ذلك ويسألوننا هل نحن ذاهبون الى آديس آبابا أم راجعون من حيث أتينا ؟

رأيت في آديس أبابا أورطة (طابورا) مؤلفاً من أربعمائة جندي من العبيد السود وقد نظم جلالة النجاشي هذه الاورطة على الطراز الحديث وجعلها خاصة بخدمته. وهؤلاء الجنود السود يتمرنون تحت أمرة الكونت لاغي بورجر الفرنسوي ولهم جوقة موسيقى على الطراز الاوروبي ويلبسون البانطلون والجاكت وعلى رؤوسهم طاقية حمراء تشبه الطربوش. وأما أرجلهم فعارية لانهم حافظوا على القاعدة العمومية الجارية في بلادهم وهي عدم لبس الحذاء

السبت ١٢ يونيو (حزيران) آديس أبابا

المقابلة مع جلالة الامبراطور — زيارة السفراء والرؤوس — وزرودستا

كان اليوم موعد مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما أصبحنا ارتدينا بأرديتنا الرسمية الكبرى . وقبل أن نذهب أرسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبتهم رجل أرسله الموسيو ايلغ . و بعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظرًا ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس و بينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يمتطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر و بعضهم يصطفون في الطريق .

ويرى الرائي هنا أنواعاً كثيرة من الألبسة الرسمية (التشريفة) ويمشي امام أكابر الاحباش عبيدهم يحملون أحسن أسلحتهم من رمح أو ترس أو حربة ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسد والنمور فتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هيبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر الغريب لاول وهلة انه يرى امامه انساناً في شكل أسد أو نمر .

بينما كنت أسرح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في أول الشارع جندًا يقرب عددهم من الف قادمين علينا و بعد قليل وصلت هذه الاورطة (طابور) ثم جاء الموسيو ايلغ ورأس ولدى وعزاج كزو مدير القصر الملوكي وأحد قرناء الامبراطور وفيتوراري ردى أحد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليرافقونا وكلهم بالاردية الرسمية .

وفي الساعة الثالثة (عربي) ركبنا وسرنا قاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكرية مؤلفة من نايات وزمر و بعض آلات لا أعرفها .

وكانت الطرق وأسطحة المنازل والشرفات والدكاكين غاصة بالناس الذين كانوا يحيوننا وكان بعض المأمورين بيدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة أخرى والساحتان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثانية كانت بطارية مدافع واقفة تؤدي التحية باطلاق البارود . و بعد الساحة الثانية وجدنا مرآة كبيرة جداً وهنا يوجد البهو الملكي الكبير المسمى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالساً على عرش جسيم وهو محاط بحاشيته ورجال بلاطه وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو أخذت تدوي المدافع فقام الامبراطور حينئذ ثم جلس ولما اقترب بنا منه انتصب قائماً للمرة الثانية ففهت امام جلالته بخطاب وجيز فيما يخص مهمتي التي أتيت من أجلها ثم أعطيته الكتاب السلطاني والنيشان فأخذهما مني بكل تجلة واحترام وفاه بعبارات الشكر للحضرة السلطانية . و بعد ان تمت هذه الرسوم أشار بيده الى مقعد امام العرش الملكي كان أحضر بصفة خصوصية فجلست عليه . و بعد ذلك أخذ جلالته يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبنا في الطريق أم لا . و بعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسه واحدة واحدة و يظهر مزيد سروره . ثم أخذ يشرح امتنانه وشكره للحضرة السنية السلطانية التي تفضلت وافتكرت بجلالته (أي بالامبراطور) . وأما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي و بسط من صنع فابريقة هركة السلطانية وأقمشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة و كلهم من أحسن ما صنع وأبدع ما عمل .

كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيه سوى ثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ماكونين ورأس جورجيس ورأس تسما . وقد عرفني بهم الموسيو ايلغ الذي كان يؤدي وظيفة

الترجمان فتصافحنا وشكرت للرأس ما كونين ما رأيتـه من الاكرام في منزله الكائن في هرر .

دامت هذه المقابلة نصف ساعة تكلمنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضيع مختلفة . وكان جلالته مرتدياً بالملابس الرسمية ومتقلداً وساماته المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعاً على العرش بجانب جلالته . وكان على رأسه كوفية يلبسها دائماً حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقيـة (متربع) وحوله الوسائد يتكئ بيديه عليها .

وأما العرش الملكي فانه كان مزيناً تزييناً عظيماً كأنه سرير عروس وحجمه متر ونصف يصعد عليه بدرج واحد وهو مصنوع من الاخشاب المنقوشة والمذهبة والفرش والوسائد الموجودة على العرش مشغولة كلها بالقصب . ويادب النجاشي كل يوم أحد في هذا البهو مأدبة يحضرها جميع القواد وأمراء الجند والجنود ويتناول جلالته الطعام في ذاك اليوم وراء الستر وبعـد الطعام يكشف الستر فيظهر جلالته للمدعوين الذين يجلس كل فوج منهم على خوان . ويأتي الخدم من الخارج بأطباق المآكل فيوزعون الاطعمة على الخوانات ، والجنود تدخـل للطعام أيضاً فوجاً فوجاً . والطعام المقبول عندهم في هذه المأدبة هو اللحم النيئ . وتذبح مئات من العجول وتسلخ وتقطع قطعاً وتوضع على الموائد وحرارة الحيوان موجودة فيها بعد . فيأخذ كل من المدعوين قطعة ويقطعها على شكل مستطيل وبعـد ان يغمسها بالفلفل الاحمر يعض عليها بأسنانه ويقطع ما بقي خارج فمه بخنجره ويمضغ ما بقي في فمه وهكذا حتى يشبع . والاوروبيون هنا يعجبون كيف ان الاحباش لا يقطعون أنوفهم عند ما يأكلون على هذه الصفة . أي عند ما يقطعون اللحم بالخناجر وهم ممسكون له باسنانهم

وطول هذا البهو ٨٠ ذراعاً وعرضه ٦٠ وارتفاع سقفه متناسب مع طوله وعرضه وقد أقيم السقف على أعمدة كبيرة قائمة على صفين بين الواحد والآخر عشرون ذراعاً . والبناء مشيد من الحجر وعوارض السقف من الخشب ومستورة بنوع من الساج مطلى

بطلاء معدني . وهذا البناء أقيم على الطراز الجديد هو محكم التشييد جداً .

ولما استأذنا بالانصراف من لدن جلالة الامبراطور طلب الينا ان نجيء في اليوم التالي الى القصر فشكرنا جلالته ثم انصرفنا وأتينا الى منزلنا بالموكب الذي ذهبنا به الى القصر . وبعد ان جلس معنا رجال التشريفات برهة قليلة شربوا في خلالها القهوة والشربات انصرف كل في سبيله

وبعد الظهر ذهبنا لزيارة السفراء وكان يمشي الخدم والجنود بالاسلحة وراءنا حسب عادة البلاد . يوجد هنا لكل من دولة انكلترا وفرنسا وروسيا وايتاليا سفير . ودور السفارات بعيدة مبنية على هضبات مرتفعة بعيدة بعضها عن بعض الا سفارة انكلترا وفرنسا فان المسافة بينهما قريبة . والمواصلات هنا صعبة بسبب عدم وجود طرق وشوارع منتظمة.ولا يذهب احد ليلاً لعند الآخر لعدم وجود عجلات للركوب لذلك كان السفراء يقابل بعضهم بعضاً في النهار . وكثيراً ما تزلق أرجل البغال في الايام الممطرة فتقع هي والركاب وذلك بسبب الصعود والنزول ولزوجة التربة.

ودور السفارات الموجودة الآن هي عبارة عن طبقة أرضية واحدة وانما هي على غاية من النظافة والترتيب . وقد بنى المستر هاريجتون السفير الانكليزي دار سفارته على طراز لطيف جداً فانه أنشأ اكواخاً متعددة على مثال اكواخ الوطنيين ثم وصلها كلها بعضها ببعض بدهاليز. وداخل هذه الاكواخ مفروش بفرش جميل صنعه هنا عمال أتوا من الخارج لهذا القصد .

مررت على الرؤوس لزيارتهم ولكن لم أجدهم لانهم كانوا لم يزالوا في القصر الامبراطوري . وذهبت الى منزل افانفوس فلم يكن موجوداً بمنزله وبينما كنا نهم بالرجوع بعد ان تركنا بطاقة الزيارة اذ قال لنا الخدم ان السيدة حرمه ستقابلنا فدخلنا وبعد قليل ظهرت سيدة جميلة جداً يقرب عمرها من اربعين عليها ملامح الذكاء الشديد فاستقبلتنا بكل لطف واكرام.وكانت هذه السيدة محاطة بجواري وعبيد يقرب عددهم من ثلاثين . وعرفتنا بنفسها أنها حرم افانفوس وان اسمها وزرودستا وعلى

ذلك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث بواسطة مهماندارنا الحاج أحمد افندي فأعجبت برقة هذه السيدة ولطفها وذكائها ومما تأتي به من العبارات الجميلة والامثال البديعة التي كانت تضرب بها لنا في خلال كلامها مما يضعها في مصاف أحسن نساء أوربا تربية وتهذيباً . وقد قدمت لنا شربات العسل وشربات (برز) و بينما كنا عندها أخذت الامطار تهطل بحيث اضطرتنا الى البقاء عندها حتى انقطاع المطر . وكانت جالسة امامنا وعلى رأسها غطاء (طرحة) ولما أخذنا نشرب الشربات طلبت الاناء الخاص بها لتشرب على صحتنا فأتوا بها لها وهي تسع مائة درهم فقط . والسيدات هنا (ويقال للواحدة منهن وزرو وذلك بدل خانم) لا يشربن الماء أو غيره بالاقداح بل يشربنه مباشرة من (الصراحية) اذ لكل سيدة واحدة خاصة بها ذات نقوش بديعة

ولما رجعنا الى المنزل قيل لنا ان رأس ما كونن حضر في غيابنا لزيارتنا كما ان الموسيو ايلغ أتى موفداً من قبل النجاشي . وقد ترك الموسيو ايلغ لي كتاباً يقول فيه ان جلالة الامبراطور يريد ان يقابل الوفد مقابلة خصوصية في الساعة الثامنة صباحاً من نهار الغد (الاحد)

ورد اليوم لنا كثير من الزاد والمؤن (طورغو) من قبل الامبراطورة غير الذي ورد من قبل الامبراطور . وكان الذي ورد من الامبراطورة خراف وكثير من الدجاج وجرار (بلاصيات) مشروب التج وقدور السمن ومقاطف البيض وأرسلت احد حجابها لاهداء الوفد تحياتها

وهنا يجب ان اصف قليلا جلالة الامبراطور وما علمته عنه :



الامبراطور منليك بكسوة التشريفة الكبرى

جلالة الامبراطور منليك

ان جلالة منليك رجل طويل القامة مهيب الطلعة جميل المنظر ربعة متواضع وقورًا . وهو الآن في الستين من عمره ، نشيط يميل الى ان يعلم كل شيء وبواسطة هذا الميل وقف على أمور شتى وعلم صناعات كثيرة مثل فك آلة الساعات وتركيبها ثانياً وكشف عدد البنادق والمدافع حتى اضحت لديه من اسهل الامور وهو على جانب عظيم من الذكاء والدهاء . يعامل جميع رعاياه بالمساواة ويحكم بينهم بالعدل ويحب لهم الخير ولذلك تجد رعاياه من مسلمين ومسيحيين أجمعوا على حبه واظهار امتنانهم منه . ولجلالته شغف زائد بالفن المعماري ويمكننا ان نقول انه اعظم مهندس معماري يوجد في الحبشة يرسم بيده اغلب رسوم الآنية ويصف للقائمين بالعمل كيفية السير بموجب هذه الرسوم مما يستوجب استغراب الاوربيين وعجبهم وقد تعلم من بعض الاطباء والصيدليين تركيب بعض الادوية . يوجد في قصره رجال من الصناع والمهندسين والعمال للقيام بالاعمال الصناعية والهندسية وهو يحادث كل واحد من هؤلاء فيما يختص بصنعته ويشاهد بنفسه ما يقومون به من الاعمال ويسأل عن الامور التي لا يفهمها ويطلب منهم أن يصنعوا بعض الاشياء أمامه . ومما بلغني عنه من هذا القبيل انه استحسن أحذية الافرنج الذين كانوا يفدون عليه عند ما كان ملكاً على مقاطعة شوا فطلب مرة الى أحد المهندسين أن يصنع له حذاء أمامه ليرى كيفية صنع الاحذية . فأجابه المهندس معتذراً بانه لم يشتغل قط بصنع الاحذية ولكن لم يرق هذا الكلام في عين منليك وأصرّ على طلبه فلم ير المهندس بداً من انفاذ امر الملك فقام يجهز ما يلزم لصنع الاحذية فأوصى على صنع قالب خشب وحل قطع حذاء قديم عن بعضها ليرى كيفية تفصيلها ثم أحضر الجلود اللازمة وأخذ يشتغل بصنع الحذاء أمام منليك حتى صنع له حذاء منها وبذلك نفذت رغبة جلالته التي

وقف بواسطتها على كيفية صنع الاحذية . وأمر مرة المهندس أن يصنع له بندقية تطلق بالخرطوش على الطراز الجديد . وهو يعلم أن صنع هذه الاشياء في أوربا يكون أقل عناء وأقل نفقة ولكنه يطلب صنعها أمامه وفي بلاده ليقتنع من امكان صنعها في بلاده ويتأكد من معادنها واخشابها . والاوربيون يعترفون لمنليك بالمهارة السياسية والعسكرية وقد كان قائداً عاماً لجميع حركات الجيش الحبشي في حربه مع الطليان اذ كان يراقب بنفسه مواقع المحلات التي كان ينزل فيها الجيش كما انه كان يقوم بنفسه أيضاً بالكشف على الاطراف قبل القتال ويرتب جيشه حسبما تظهره له المعاينة والاختبار

وأما والده فهو هيلو ملوكت ملك شووا وجده ثالث ملوك شووا . وقد كان تئودوروس نجاشي الحبشة الاسبق حارب هيلو ملوكت والد النجاشي الحالي و بعد أحضر ولده منليك الى مجدلا وزوّجه بنته وأمره بالاقامة هناك

ولما قرب الانكليز في سنة ١٨٦٧ من مجدلا تمكن منليك من الفرار منها وقطع الوديان والجبال الصعبة المرور وحيداً ليس معه أحد ولحق ببضعة آلاف رجل من رجال أبيه وأخصائه وقومه وقبيلته وكانوا في انتظاره فاستقبلوه أحسن استقبال وسروا لمجيئه فسار من هناك ومعه رجاله وجميعهم مسلمون وهاجم انو بزابه حاكم مقاطعة شووا المولى من قبل تيودوروس فهزمه واستولى على بلاد شووا وصعد على عرش أجداده وأبيه ومن هذا التاريخ انقطعت جرثومة الحروب الداخلية في مقاطعة شووا وخضع الفاللا لملكها فاضحت هذه المقاطعة من ذاك اليوم أضخم وأقوى جزء من أجزاء المملكة الحبشية . ولما صار دجاز قاسا أمير تيغرى امبراطوراً على الحبشة باسم يوحانس ابتدأت المخاصمات بينه و بين منليك ولكن الاخير نفر من سفك الدماء فسد باب المحاربات الداخلية وقبل ان يكون تابعاً ليوحانس مع انه لم يكن انتصاره على الامبراطور أمراً صعباً ولما قتل يوحانس في واقعة القلابات كما مر ذكره اعترف جميع رؤوس وأمراء الحبشة بامبراطورية منليك وأخذت كلمته تعلو ونفوذه يزداد واحتفل بتتويجه



الامبراطوره تايتو زوجة منليك

بعد واقعة أدووا وأخذ يراسل ملوك الدول العظمى في أوربا

وكانت زوجة منليك الاولى توفيت فتزوج بجلالة تايتو الامبراطورة الحالية في سنة ١٨٨٧ واحتفل بتتويجها ابراطورة على الحبشة سنة ٨٨٩ بعد الاحتفال بتتويجه بيومين

دافع المصائب والبلاء

في بلاط النجاشي وظيفة على غاية من الاهمية يطلق عليها اسم (ليقا ماقواس) ويجب على الشخص المرشح لاحراز هذه الوظيفة أن يكون مشابهاً للامبراطور من حيث البنية والشكل تمام الشبه ولصاحب هذا المنصب أن يرتدي بمثل ما يرتدي الامبراطور ويعلق أوسمته وبالجملة ان الشرط الاعظم أن لا يكون فرق بينه وبين الامبراطور . وفي بعض الاحيان يقسم المنصب بين اثنين يشبهان النجاشي و (ليقاماقواس) هذا يقف دائماً وقت الحروب والاسفار قرب الامبراطور وتحت شمسيته ولا يقدر أحد حتى ولا الجنود أن يميزوا الامبراطور الحقيقي من الامبراطور الوهمي فيتمكن الامبراطور بذلك وقت الحروب أن يترك شبهه تحت خيمته وشمسيته في مركزه الرسمي ليذهب هو ويتجول أين شاء دون أن يصيبه أذى أو أقل خطر ويكون في معزل من قنابل العدو ورصاصه وليقاماقوس هذا يكون دائماً معرضاً للمهالك بدلاً من الامبراطور ولذلك سميته بدافع البلاء

جلالة الامبراطورة تايتو

ان جلالة الامبراطورة تايتو هي من عائلة عريقة في الحسب من مقاطعة تيغرى ولها في بلاد الحبشة نفوذ عظيم وجاه كبير لذكائها وفطانتها وصبرها على المكاره

وعقلها الكبير حتى ان زوجها يعتمد عليها في كثير من أمور الدولة ويرجع الى رأيها ويأخذها الى الحروب معه

وتقضي هذه الامبراطورة أوقاتها داخل الحرم وقليلاً ما تظهر امام الناس الا في اسفار النجاشي وفي اثناء الحروب فانها تكون معه . ويقول الافرنج انها لا تحب الاوروبيين ولا تميل اليهم ويمكن ان يكون سبب هذه الكراهة تعرض الانكليز والطليان لشؤون بلاد الحبشة. والكهنة في البلاد الحبشية جميعهم من حزب الامبراطورة. ويقال انها على غاية من الشدة في معاملاتها بعكس الامبراطور المشهور بالحلم فلذلك يهاب الناس جانبها اكثر مما يهابون جانب النجاشي . ويروى ان النجاشي كان أراد أن يعفو عن الاسرى الوطنيين الذين أخذوا في الحرب مع الطليان من عقوبة قطع الرجل والايدي ولكنه لما رآها تلح على تنفيذ قانون البلاد على هؤلاء المنكودي الحظ اضطر لتنفيذه

وللامبراطورة دائرة خاصة بها فيها كثير من الخدم والحشم وقد كانت اثناء الحرب مع الطليان هي وحاشيتها وفرقة حرسها وهي نحو خمسة عشر الفاً تحت الخيام وهذا الجيش يأتمر مباشرة بأمرها فيتلقى قوادها الاوامر مباشرة منها ويقول الضباط الطليان الذين كانوا حضروا حروب الحبشة بأن تايتو كانت تدبر حركات جيشها الحربية كأعظم قائد من قواد الجيوش ذوي المهارة التامة في الفنون العسكرية . وجلالتها حريصة على شرف الحبشة وسمعتها ولها دخل عظيم في وصول هذه البلاد الى ما عليه الآن من الرقي بما بذلته من العناية في هذا السبيل كما انها كانت السبب الوحيد في الحرب مع الطليان واليك البيان :

يوجد معاهدة بين ايطاليا والحبشة تعرف باسم عهد أوقسيالي مؤلفة من عشرين مادة تبين حدود البلادين وتحدد المعاملة الرسمية بينهما ومن جملة مواد هذه المعاهدة المادة السابعة عشرة التي كانت السبب في القيل والقال وكثرة الاخذ والرد واليك ترجمة مضمون هذه المادة من النسخة الطليانية :

« ان جلالة امبراطور الحبشة يوافق على أن تكون مخابرة الحبشة مع سائر الحكومات والدول بوساطة ايطاليا »

أما في النسخة الامحرية فانه ورد في المادة المذكورة (للنجاشي أن يستفيد من توسط ايطاليا) بدلا من كلمة (يوافق) والفرق عظيم جداً بين الجملة الاولى والجملة الثانية لذلك اضطر منليك أن يحتج على المادة المذكورة فأرسلت ايطاليا الكونت انتونللي الى شووا لفصل هذه المسئلة . وطلب منليك تعديل هذه المادة وأن لا يترك فيها مجال للحط بكرامته بين دول اوربا وأخذت المذاكرات في ذلك تجري بطريقة جدية . ولما انتهى المندوب الطلياني من وضع مسودة التعديل قدمها الى الامبراطور الذي لم ير فيها شيئاً للتصليح والتعديل ثانية كما ان رأس ما كونن ورأس منغاشيا ورئيس الكهنة كانوا موافقين على كيفية التعديل الجديد ولكن معارضة الامبراطورة تايتو في مشروع التعديل غيّر الحالة

وذلك انه كان الكونت انتونللي مدعواً في القصر فجلس بعد العشاء مع الامبراطور والامبراطورة يتكلمون في مسألة تعديل المادة المعارض فيها فقالت الامبراطورة للكونت ان حكومة ايطاليا ابلغت مضمون المادة السابعة عشرة من المعهدة الى دول أوربا كذلك نحن أيضاً عرفناها على الوجه الوارد في النسخة الامحرية وان للمادة المذكورة معنى غير المعنى الوارد في النسخة الطليانية ونحن لنا شرف ينبغي المحافظة عليه فأجابها الكونت بأنه وضع عبارة أخرى ايضاحاً للمادة المذكورة فقالت الامبراطورة (نعم تريدون أن تضعوا مادة تعرفون بها ان الحبشة تابعة لكم ولكن هذا لا يكون أبداً . ان الحبشة لا تقبل حماية أحد) فتأثر الكونت انتونللي من هذا الكلام وقال (اذاً فلتضع جلالة الامبراطورة هذه المادة) فقالت تايتو (نعم سيكون ذلك) وبعد هذه الجملة القصيرة انصرف كل الى سبيله

وبعد بضعة أيام اقترح الكونت انتونللي على الامبراطور أن يكتب كتاباً لطيفاً سلمياً الى ملك ايطاليا بخصوص المادة المختلف فيها فأبى ذلك لممانعة الامبراطورة

وأرسلت الى الكونت مادتين قصيرتين

مادة (١) ان المعاهدة التي عقدت في اليوم الثاني من مايو (مايس) من سنة ١٨٨٩ تعتبر لاغية ومفسوخة

مادة (٢) ان امبراطور الحبشة يتعهد لملك ايطاليا بأنه لا يتنازل قط لاي حكومة كانت من حكومات أوربا أو غيرها بأرض من مملكته ولا يقصد معاهدة معهن ولا يقبل حماية قط

فلما وصلت هذه المسودة الى الكونت اعتبرها كأنها اعطاء الجواز (تذكرة مرور أو بسابورط) له فقطع جميع صلاته وعاد الى بلاده

يوم الاحد ١٣ يونيو (حزيران) آديس آبابا

مقابلة الامبراطور الخصوصية والوداع — الحبوس وحارسه في حديد واحد — الهدايا الامبراطورية

——

اليوم صباحاً ورد أحد رجال رأس ولدى لاهدائنا السلام من قبله والسؤال عن صحتنا وأحوالنا وفي الساعة الثانية (عربي) ركبنا البغال الى القصر ومعنا جمع غفير من الجنود والخدم وتقابلنا نحن والموسيو ايلغ فدخلنا لمنزله وترجمنا الكتاب السلطاني الى اللغة الفرنسوية ليترجمها الموما اليه الى اللغة الامحرية فيما بعد . وبعد أن أتممنا هذا العمل ذهبنا الى قصر النجاشي . فأدخلنا الى قصر منفصل من دائرة الامبراطورة بحائط ويسمى هذا القصر (شهلابيت) وقد رسمته بعدة الفوتوغراف التي كانت معي حينئذ وهذا القصر الصغير مبني ومفروش على الطراز الشرقي وفي وسطه سرير يشبه أسرة النوم خاص بجلوس الامبراطور عليه والقصر مفروش بالطنافس التي أهدتها الحضرة السنية السلطانية الى جلالة النجاشي كما ان العرش كان مغطى بسجاد من الحرير وهي أيضاً من جملة الهدايا المذكورة . وقد أراد الامبراطور بذلك أن يرينا سروره من لطف الحضرة العلية السلطانية وبينما كنا في هذا البهو ننتظر أن يأخذونا الى محل آخر يكون الامبراطور موجوداً فيه اذ فتح الباب الكائن بين دائرة الامبراطورة ودخل جلالة الامبراطور للبهو فهرولنا لاستقباله فصافحنا مراراً يداً بيد بكل لطف وتعطف ففهمنا من ذلك انه حضر لعندنا وانه أعاد بذلك الزيارة لنا . وبعد أن جلس على العرش أمر فخرج كل الموجودين في البهو ما عدا الموسيو ايلغ وأحد قرنائه ونزع قبعته عن رأسه ووضعها بجانبه علامة على انه جعل مقابلة هذه المرة خصوصية غير رسمية وأشار الي أن أجلس على المقعد الكائن أمامه ففعلت ثم جعل فاتحة حديثه

السوءال عن صحة الحضرة السلطانية المعظمة وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن الدير الحبشي الكائن في القدس ثم السوءال عن الصلات التاريخية التي كانت موجودة بين العالم الاسلامي والحبشة فأخذت أشرح لجلالته على وجه الاجمال المخابرات والمهاداة التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين النجاشي أصحمة وكيف أن المهاجرين المسلمين وجدوا أحسن قبول وأحسن حماية في الحبشة وانه كان كثير من الاحباش مصاحبين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما انه يوجد ليومنا هذا كثير من الاحباش بوظائف سامية عند جلالة مولانا السلطان الاعظم بصفة مصاحبين . فسر ذلك جلالته جداً وقال انه يريد أن تكون الصلات الحسنة الحبية متصلة دائماً وانه يحب رعاياه المسلمين كما يحب رعاياه الامحرين بدون فرق

وقد ظلت المقابلة نصف ساعة جرى الحديث في خلالها على مواضيع مختلفة ثم استأذنا من جلالته بالسفر الى الساحل قبل أن يشتد هطول الامطار في موسمه

كان جلالة الامبراطور اليوم لابساً قفطاناً من قماش الشام فوقه برنس وعلى رأسه قبعة من الكاستور موضوعة فوق الكوفية البيضاء وفي رجله نصف حذاء من الجلد الاصفر

وبعد انصرافنا من القصر أخذنا في التجول بالمدينة لاعادة الزيارة الى بعض من زارنا ولم نتمكن من اعادة زيارته البارحة فزرنا رأس قوقسا زوج بنت النجاشي ورأس تسما . ورأينا في طريقنا حمامات حارة معدنية أقيمت عليها أكواخ خشبية فالذي يريد يدخل اليها ويستحم بأجرة زهيدة جداً كما ان كثيراً من الناس يستحمون في الخارج مجاناً والماء كثير يجري ويذهب ضياعاً

رأينا قرب منزل رأس قوقسا فتاتين مكبلتين من معصميهما بسلسلة واحدة من الحديد فسألت عما اقترفتاه من الذنب فقيل لي ان الواحدة هي المذنبة ولذلك كبلت بالحديد والثانية موكلة بحراسة المحكوم عليها بالعقاب فربطت مع المجرمة لاعتماد سيدها على أمانتها لتمنع هرب المذنبة . أما أنا فلم أجد فرقاً بالمعاملة بين المذنبة والحارسة !!

وفي الساعة العاشرة رأينا موكباً فخماً آتياً الى منزلنا ولما اقترب منا رأينا أحد أكابر المستخدمين ووراءه أكثر من ستين رجلا يسحبون بضعة عشر بغلا على كل منها البرادع الجميلة . ولما وصلوا صعد الينا رئيسهم ومعه عشرة من رجاله يحملون معهم الحراب والسيوف وكساوي رسمية (كساوي تشريفة) حبشية ففهمنا أن النجاشي أرسلها لنا هدية وعلمنا أن الرجل الكبير يسمى اتوغنا ووظيفته أمين ملابس جلالة الامبراطور . فأبلغنا التحية الملوكية وأخذ يعلق بيده الوسامات التي أنعم بها جلالة الامبراطور على رجال الوفد السلطاني كل حسب رتبته كما انه سلم لنا البراات المكتوبة على رق غزال وسائر الهدايا الامبراطورية . واليك بيان درجة الوسامات والكساوي الرسمية (أي الرتب) التي أهديت الينا :

لي وسام خاتم سليمان من الدرجة الاولى والكسوة الرسمية الخاصة بالرؤوس (أي انه أنعم عليّ بهذه الرتبة) وتؤلف هذه الكسوة أولا من الكسوة نفسها ومن رمحين وسيف وترس و بغل خاص بركوب الامبراطور مع برذعته

لطالب بك وسام خاتم سليمان من الدرجة الثالثة والكسوة الخاصة برتبة دزجماج (الكسوة ورمحان وسيف وترس و بغل من الاصطبل الامبراطوري)

لياسين جاويش وسام يعطى للضباط فقط وأسلحة بيضاء وحصان . كما أنه أرسل لكل من الجنود الخمسة الذين كانوا معنا بغلا وعليه برذعة . فلا تسل عن سرور هؤلاء الجنود من هذا الانعام وقد شربوا من مشروب (تيج) اظهاراً لسرورهم لانه يندر جداً أن ينال الجندي من الامبراطور بغلا كمكافئة . ظهر لي أن البغال هنا مرغوبة أكثر من الخيل

وفي المساء حضر المتولي أعمال سفارة ايطاليا هنا وكتبة سائر السفارات لزيارتنا وأما سفير ايطاليا فانه كان توجه الى أوربا بينما كنا نحن في الطريق الى آديس آبابا وتقرر أن نقوم من هنا يوم الثلاثاء القادم أي بعد نهار غد لذلك كنا مشتغلين بتجهيز ما يلزم لذلك

يوم الاثنين ١٤ يونيو (حزيران) آديس آبابا

اعادة السفارات الزيارة — تقديم الاهالي العرضحال الشفهي للامبراطور — هل هذه مظلة أم ترس — مقابلتنا مع رأس ماكونن

——

وفي صباح هذا اليوم ورد المستر هارينجتون سفير انكلترا وسكرتيره الاول لاعادة الزيارة لنا . وكنت أفكر قبل أن أصل الى آديس آبابا أن ننزل بالعودة غرباً الى ساحل النيل الابيض ونعود من هناك عن طريق فاشوده وأم درمان والخرطوم فالقاهرة فالاسكندرية بدلا عن طريق جيبوتي الذي أتينا منه . وقد فاتحت كثيراً من الناس الذين لهم علم بأحوال هذه الجهات فكان جوابهم كلهم بأنه ليس في الامكان الآن الذهاب بهذا الطريق لكثرة الامطار في هذا الموسم حتى ان سواحل نهر سوبات تستحيل الى مستنقعات لا يمكن العبور منها ولكن لما أعلمه من جراءة الانكليز واقدامهم على مثل هذه الاسفار وعدم مبالاتهم بالاخطار وتحمل المشاق كاشفت المستر هارينجتون الموما اليه بنيتي هذه فاستحسنها بيد انه قال كما قال الآخرون من الصعوبة الموجودة من موسم الامطار و بعد الشقة ثم قال « اذا كنتم مصرّين على الذهاب من طريق النيل فاني مستعد للقيام بكل ما في وسعي في سبيل راحتكم في الطريق فاني أرسل الآن رسالة برقية الى فاشوده ونستعلم عن مواعيد وصول وسفر الباخرة الصغيرة التي تمخر ذهاباً واياباً بين النيل (وايتانغه) الكائنة على ساحل سوبات » فشكرت هذا السفير اللطيف وعزمت على العودة الى جيبوتي عن طريق عصبوت المتوسط بين طريق ادال وطريق جرجر الا أنني تيقنت من اجماع كلام كل من أخذت رأيه في العودة عن طريق النيل ان ذلك غير ممكن وان المواصلات منقطعة تمام الانقطاع بين النيل الابيض وآديس آبابا مما يجعل السفر فيه

من رابع المستحيلات . وقد حسبنا مع المستر هار ينجتون المدة الواجب قطعها من آديس آبابا الى محطة الرفاص بعد مراجعة الخرط وتعيين الاتجاه فوجدنا انه يلزم نحو ٣٥ — ٤٠ يوماً اذا كان الطقس جيداً واذا أسرع في السير وكانت الاحمال خفيفة فيلزم نحو ثلاثين يوماً

وبينما كان المستر هار ينجتون عندي جاء الموسيو لاغارد سفير فرنسا ومعه اليوزباشي موسيو مارتن ده كان والملازم موسيو قوللات وكلاهما من موظفي السفارة العسكريين (ملحق حربي) فشاركونا في بحثنا بخصوص السفر بين آديس آبابا والنيل فصادقوا على كلام المستر هار ينجتون وعلى أرجحية وجوب السفر من طريق العصبوت

وبعد الظهر ذهبت الى منزل رأس ما كونن . وبينما كنت في الطريق رأيت نفراً من الناس نحو خمسين رجلاً واقفين على ربوة أزاء القصر الامبراطوري على بعد نصف ساعة منه وكلهم ينادون (جانهوي جانهوي) أي الامبراطور الامبراطور باعلى أصواتهم ويتخلل الاصوات بعض كلام ما كنت أفهمه وبعد قليل ورد أحد رجال الحاشية وأخذ منهم عرضحالهم . ولدى السؤال علمت ان هؤلاء الناس لهم مصلحة يريدون ان يعرضوها على مسامع النجاشي

***

كنت وصفت في هرر المظلات ذات ألوان قوس قزح كما اني كنت تكلمت على بعض مظلات أخرى وطنية لا تغلق قط مصنوعة من عشب رفيع يستعملها هناك السيدات للزينة ليس الا . واليوم رأيت هنا مظلة غريبة وغليظة الشكل وأظن انها صنعت لتمنع البرد الكبير الحجم وهذه المظلة مصنوعة من أعواد شجر طولها ذراع ونصف وعرضها ذراع وليس لها يد ويمسكها الانسان من مقبض في وسطها كالترس وتقوم مقام آلة دافعة عن صاحبها اذا هاجمه وحش كاسر

وصلنا الى منزل رأس ما كونن فاستقبلنا من الخارج كوكبة من الجنود واستقبلنا الرأس بكل اكرام واحترام وأخذ يشرح لنا سروره من مقابلته لنا اليوم وانه حضر

البارحة لزيارتنا في محل نزولنا ولكنه لم يجدنا . وهـذا الرأس على جانب عظيم من اللطف والايناس والتواضع والورع . شغف باكرام الضيف . وقدم الخدم لنا من المشروبات الوطنية والقهوة واللبن فشربنا البرز والقهوة وقد وجدت طعم للعسل المعمول منه البرز نفيساً جدًا يعادل طعم العسل الذي كنت أكلته في أنقره ويشبه عسل الطائف أيضاً . ونفاسة هذا العسل ناشيء من جمع النحل الزهور ذات الروائح العطرية ولما علم الرأس اننا وجدنا البرز لذيذاً أرسل الى منزلنا بضع جرات من غير ان نعلم ذلك

وهـذا الرأس قريب الامبراطور وهو رجل مشهور بالذكاء والجرأة والاقدام والشجاعة وكلمته نافذة أكثر من كل الرؤوس ولذلك هو مرشح لان يكون امبراطوراً في المستقبل . وهو رجـل متوسط القامة نحيف الجسم وقور فاتح اللون طويل الوجه يلقي الرهبة والاحترام بقلب الناظر الى سيماه

والرأس ماكونن غني جدًا ويميل لنشر العلوم والمعارف بين الناس وقد اشتهر بانه سياسي محنك عظيم كما انه جندي مقدام . ولكونه زار مراراً أوروبا واختلط باهلها له وقوف والمام بها وقد استجلب حب الاحباش واحترامهم له بما جبل عليـه من الشجاعة والورع والتقوى . كثيرًا ما سمعت من جميع المسلمين الاحباش الذين رأيتهم وقابلتهم الثناء عليه . وقد بلغني ان بعض رعاع اليونانيين في هرر كانوا في اثناء الحرب اليونانية العثمانية يؤذون المسلمين ويحتقرونهم والمسلمون يتحملون ذلك بكل مضض وصبر . ولما حقت الكلمة على اليونان وانهزمت امام الجنود المظفرة العثمانية قام المسلمون يزينون منازلهم ودكاكينهم ويدعون للحضرة السلطانية بمزيد النصر فلما رأى اليونانيون ذلك ذهبوا لعند الرأس ماكونن فشكوا أمرهم له وقالوا انما المسلمون يقصدون بذلك احتقارنا والحط بكرامتنا امام الناس فاجابهم الرأس (عندما كنتم تتعدون عليهم وتحتقرونهم ما كان أحد من المسلمين يرفع صوته ولا بكلمة واحدة ولما قاموا الآن يظهرون سرورهم بحق من غير ان يتعدوا عليكم أخذتم بالشكوى منهم انكم لقوم معتدون)

والرأس ما كونين متصف بالاخلاق الفاضلة الطيبة ولا يأكل ولا يشرب الا باعتدال وكان يحب زوجته المتوفاة حباً عظيما جداً حتى انه لما توفيت عقد النية ان لا يتزوج من بعدها باخرى ولما كلفته الامبراطورة ان يتزوج احدى بنات ابن أخيها رأس وليه تمنع مدة ولكن لشدة اصرار الامبراطورة اضطر الى تزوجها وأتى بها الى هرر فمكث معها سنة كأنه أب لها وكأنها ابنة له وفي ختام السنة أخذها معه الى العاصمة محتجاً بانه لا يصلح للزواج وعلمت ان الامبراطورة اغتاظت منه لذلك جداً. وعمره لا يتجاوز الخمسين وكان ذهب في سنة ١٨٨٩ الى ايطاليا ليوقع على عهدة (أوقسبالي) من قبل الامبراطور. فزار هناك محلات كثيرة وأكثر ما نبه أنظاره الامور العسكرية والترتيبات والتعليمات الحربية ويوجد تحت حكم الرأس في مقاطعة هرر كثير من الصوماليين والغالليين وقد كان حارب بهم جنود توسللي الطلياني وهزمه شر هزيمة في واقعة امبا الاجي وأظهر من الشجاعة في حصار ماكالله وواقعة ادووا ما يفوق الوصف. بعد ان تكلمنا وتباحثنا في مواضيع مختلفة قمنا فمشى معنا الى ان أوصلنا الى الباب الخارجي أما رجاله وجنوده فانهم رافقونا مسافة طويلة في الطرق والشوارع. وعند رجوعنا الى المنزل وجدنا بطاقة زيارة من البارون روشيل حضر في غيابنا للزيارة وقيل لي ان هذا البارون كان يريد العودة الى بلاده عن طريق النيل ولكنه الآن عدل عن ذلك وانه سيذهب الى الساحل بدلاً من النيل. ووجدت بطاقة سفير روسيا الذي حضر لزيارتنا اثناء وجودنا عند الرأس ما كونين. انتهينا هنا من وصف الامبراطور والرأس ما كونين فيجب ان أسرد ما علمته في وصف بعض أركان وأعاظم الدولة الحبشية :

أمراء مقاطعة (شوا)

لما مات تانحلا ماتيو حاكم مقاطعة (غوجام) انتقلت في بادئ الامر كل أحكام هذه المقاطعة الى ولده داز اجماج بازاب وأعطي منها قسم صغير الى رأس منكاشا

آتيكم وقسم آخر الى دارجماج دامس ابن افانقوس

راس وليه لا كول

ان راس وليه هو أخو الامبراطورة تايتو ومن عائلة مشهورة في بلاد سه من مقاطعة تيغرى ويحكم على مقاطعات (جنفيو) و (زوبريل) و (أده لا) و (غوبينو) و (تالانتا) ولهذا الراس هيبة عظيمة في النفوس ووقار وهو مستبد في أحكامه حتى انه ألقى الرعب والخشية في قلوب رعاياه ولا يحب أهالي تيغرى. و يقال انه يأمل أن يكون ايمبراطوراً على الحبشة بعد منليك . ومع ذلك هو يحب شقيقة الامبراطورة و ينقاد لها تمام الانقياد حتى انه مع كرهه المشهور لاهل تيغرى زوج بنته الجميلة جداً حسب رغبة الامبراطورة الى رأس منغاشا يوحانس الذي هو من مقاطعة تيغرى . وهذا الراس مشهور بأنه أعظم عدو للطليان

راس منغاسا اتكيم

وهو الذي أخذ قسماً من بلاد غوجام و ينتسب لا كبر عائلة من عائلات صهيون التابعة لبلاد امحرا . الراس منغاشا حائز على تمام رضى الامبراطور وثقته واعتماده وله نفوذ عظيم وقدرة عجيبة و يحكم غير بلاد صهيون الاراضي الكائنة على أطراف بحيرة (تسانا) مثل (بايهمه در) بني بيعه ، خوانا وغيرها من البلاد . وسنه فوق الخمسين وله ثروة عظيمة ومشهور بالدهاء السياسي ومعروف بكونه رجلاً يوافق روح هذا الزمان . وقد حاز رضاء الامبراطورة أيضاً وله مكانة سامية جداً مع قلة عدد جنوده. حضر واقعة آدووا في مقاتلة الطليان

راس قوفسا

وهو ابن أخت الامبراطورة تايتو وزوج الاميرة وزرو زور يتو بنت الامبراطور

من زوجته الاولى المتوفاة . وهذا الراس شاب جميل الطلعة ذكي القلب والفؤاد. ويؤاخذه بنو وطنه بأنه يميل جداً الى الجنس اللطيف ولكن هذه المؤاخذة قابلة للسماح ! والذي ليس عنده ميل الى هذا الجنس فليستمر بمؤاخذته ان شاء . ويحكم الراس قوقسا مقاطعةسيمن التي يتبعها بلاد وانهاغهم ، سلمت ، ايزاغادي ، والدهبا ، والقابت وغيرها من البلاد . ويحب الراس قوقسا خالتهحباً شديداً و يسير على أثرها في الشدة بالمعاملات . وقد حضر الحرب في ادووا

راس منغاشا ولد يوحانس

وهذا الراس هو ابن الامبراطور يوحانس الذي قتل في واقعة القلابات مع الدراويش . وله شغف عظيم بالتزين وميل شديد للنساء وانهماك في الملاذ والترف ومع ذلك يتطلع دائماً لان يتبوأ العرش الملوكي على الحبشة حتى عقد عهدة مآرب مع الطليان سنة ١٨٩١ . ولما انهزم الطليان امام منليك وتثبتت أقدام الاخير في الامبراطورية عاد والتحق بهذا الظافر ولكن منليك نفاه الى انقوبر وهو الآن مقيم بها . وكان ابنه المسمى دجاج سيوم أشعل نار الثورة في مقاطعة تيغرى ليتوصل الى تخليص أبيه وأتعب بذلكمنليك ولكن الامبراطور تمكن من استجلابه اليهوهو الآن مقيم في اديس ابابا

يوم الثلاثاء ١٠ يونيو (حزيران) مرحلة عقاقي

التلغراف والبوسته — الرجوع من آديس آبابا — مطر شديد

كنت قلت اننا عزمنا على القيام من هنا الى الساحل هذا اليوم وقد أرسلت هذا الخبر الى الاستانة على لسان البرق. وللتلغراف من آديس آبابا الى أوروبا خطان الاول خط الحكومة وهو الذاهب من العاصمة الى هرر فدريدوه فجيبوتي فبريم فاوروبا وأجرة كل كلمة الى أوروبا على هذا الخط خمسة فرنكات والى هرر ستون فضة صاغ والى جيبوتي ثلاثة قروش والثاني خط التلغراف الطلياني الذاهب الى اسمرا حيث ينقسم الى قسمين الواحد يذهب الى مصوع ومن هناك الى أوروبا عن طريق بريم والثاني يربط عاصمة الحبشة باوروبا عن طريق كسلا والسودان المصري والقاهرة والاسكندرية . والاجرة الى أوروبا على خط مصوع ثلاثة فرنكات عن الكلمة واثنان وستون سنتيما ونصف سانتيم وعلى خط كسلا ومصر فرنكان وخمسة وأربعون سانتيماً . وأنا أرسلت تلغرافي على هذا الخط الاخير . وللحكومة والسفارات الاجنبية برد تذهب وتأتي بين الساحل والداخل . لكن لعدم تغيير الرجل الذي ينقل حقائب البوسته وبغاله اثناء الطريق يحدث بطاءة في نقل البرد . وقد تكلمت مع أحد السفراء بهذا الخصوص فاجابني (عندما يعرف الاهالي في الحبشة قيمة الوقت ويقدرونه حق قدره حينئذ تؤسس خطوط بريد سريعة)

**

حضر عندي صباح اليوم الموسيو ايلغ لوداعنا وبعد ان بلغني تحية النجاشي والامبراطورة سلمني كتابهما لجلالة مولانا السلطان الاعظم وجوازاً خصوصياً مختوماً

نحم جلالة الامبراطور يأمر مستخدميه ورعاياه في طريقنا ان يكرمونا أينما نحل ونذهب. ثم حضر الملحق العسكري في السفارة الفرنسوية وكثير من الاعيان وغيرهم لوداعنا

كان ترتيب بغالنا والمكارية هذه المرة بواسطة أحمد أفندي الذي عمل كل ما في وسعه في سبيل راحتنا فى الطريق كما انه أخذ الشروط على المكارية ان يكونوا رهن اشارتنا وان نمشي حسب رغبتنا لا حسب رغبتهم . وقد عزمنا هذا اليوم ان ننزل بمنزل أحمد أفندي الموجود في (العقاقي) لان المرحلة الاولى في الاسفار تكون عادة قصيرة فلذلك أرسلنا العفش والامتعة الى هناك قبل ان نقوم من هنا . وكان هذه المرة بين البغال جملان وذلك لتحميل الحقائب الكبيرة المعمولة من الجلد لاننا وجدناها ثقيلة جداً على البغال خصوصاً واننا سنذهب على طريق عصبوت الذي تمشي عليه الجمال بخلاف طريق جرجر

قمنا اليوم الظهر الى العقاقي المذكورة وقد ركبنا على البغال التي أهداها الامبراطور لنا . ولم نكد نسير قليلاً حتى أخذت الامطار تنهمر واستمرت هكذا حتى وصلنا الى العقاقي العصر ودخلنا في المنزل الموجود هناك انتظاراً لوصول العفش والصناديق والخيام التي صادفناها في الطريق فسبقناها . وهذا المنزل عبارة عن كوخ كبير طوله خمسة عشر متراً وعرضه عشرة أمتار

وجدنا في العقاقي بضعة نفر من الخدم والعبيد وكان أحمد أفندي أرسلهم ليقوموا بخدمتنا ويجهزوا الطعام لنا . وبعض هؤلاء العبيد يتكلمون باللغة الفاللية والبعض باللغة الامحرية . ووجدنا هنا كثيراً من المعز والبقر هربت الى هذا المحل من كثرة الامطار . جلست على سد عال أقيم داخل الكوخ وأخذت أنزه الطرف على ماحول الكوخ وأنظر العبيد المشتغلين بطهي الطعام وتنظيف بغالنا والجنود والخدم المشتغلين بربط سيور طويلة من أحد عواميد الكوخ الى آخر لينشروا عليها أرديتهم المسماة (شما) المبتلة من المطر . وكان معنا قردان من الجنس الصغير كان كل منهما محمولاً على بغل فلما وصلنا الى هنا وتركناهما أخذا يظهران سرورهما من تلاقيهما وصارا

يتعانقان ثم جلس الذكر يفلي الانثى . وقد ظننت نفسي من هذه المناظر الغريبة اني في سفينة نوح والمطر المتواصل بشدة ربما كان يشبه طوفان نوح . وكنا كلنا أي جميع رجال القافلة مع بغالها تحت سقف واحد وهو سقف هذا الكوخ . وسيرجع بعد يومين النظام والانتظام كما كان في الذهاب الى آديس آبابا لانه لا بد من حصول عدم انتظام في أول مرحلة

و بعد قليل وردت الخيام ولكن لم ترد أعمدتها فلذلك نصبت خيمتي الصغيرة خارج الكوخ ووضعنا كثيراً من الحشائش المجففة على التراب المبلول داخل الخيمة ثم فرشنا عليها البساط وأخذت أجهز ما يلزم أن يكون معنا في اليوم التالي وأضعها في الحقائب الصغيرة

كان طعامنا هذا المساء من لحوم البقر والعجول والدجاج والخضر والارز ونوع من الفطير والحلويات ضمن علب من صفيح

علمنا ان أحمدافندي البارحة كان أقام هنا وليمة لمائتين وخمسين شخصاً خرجوا من العاصمة لاستقبال أحد الاعيان المسلمين فقام عبيد احمد افندي بخدمة كل هذا الجمع واطعامهم فذبح لهم بضعة عجول و بضعة خراف. وهنا يجب أن أقول ان الجواري السود في الاستانة في سعادة عظمى بالنسبة لحال الجواري هنا ولو رأى جواري الاستانة تعاسة هؤلاء لحمدن ربهن على حالهن مائة الف مرة. ان الجواري هنا ليس لهن راتب لا سنوي ولا شهري فهن يشتغلن ويخدمن أسيادهن بغير أجر الا ثوبين في السنة وما يأكلنه

استمر المطر بشدته طول الليل وانما لم ينفذ من خيمتي الصغيرة ولكن أقلق صوت سقوط المطر على الخيمة منامي فلم يتركني أنام براحة وقضيت الليل بالتكلم مع يس چاويش

يوم الاربعاء ١٦ يونيو (حزيران) مرحلة (دوبي)

— —

قمت من سريري قبل بزوغ الشمس وانتقلت الى الكوخ فوجدت النيران مشتعلة وعليها القهوة واللبن فأخذنا نتناول القهوة واللبن ونفطر بينما كان المكارية يحملون العفش وورد كثير من الناس للوداع وكان بينهم احمد افندي وابو بكر افندي فودعناهم وأخذنا نسير ووجهتنا محل يقال له (دوبي) للمبيت فيه

اضطرينا أن نسوق جمالنا من طريق طويل غير الطريق الذي نزل منه البغال في وادي العقاقي لانه يصعب على الجمال السير فيه . وكان الطريق كثير الاوحال حتى ان البغال كانت تغرز رجليها قريباً من الركبة في الوحل الذي كان لزجاً مثل الصمغ فيلصق بعض الاحيان على رجل البغل فيكون كأنه قطعة واحدة مع رجله . اني لم أر في عمري تربة جيدة قوية لزجة كهذه . وصلنا بعد مشاق وصعوبات عظيمة الى (تيحكى دنسا) الساعة الثانية بعد الظهر ونزلنا قرب نهر صغير وتحت ظل شجرة كبيرة لتناول طعام الغداء . ولم يمض قليل الا وورد كثير من نساء و بنات الغروبين الاحباش لبيع ما معهن مثل الطاللا والخبز والشعير والدقيق وغيره . وقد وضعن هذه الاشياء في أجربة من جلد الماعز وقد رغبن ان يأخذن ثمن ما يبيعنه لنا خراطيش بنادق بدل الدراهم فاشترينا شعيراً لاجل البغال ودقيقاً وخبزاً لاجل الجنود والخدم . و يستطيع الانسان أن يشتري ثلاث أقات من خبز انجرا بخرطوشة واحدة من خراطيش بنادق (غرا)

و بينما نحن كذلك اذ أخذت الغيوم تتلبد ثم لمع البرق وقصف الرعد وأحاطت بنا الحشرات والهوام مثل أبو دقيق والخنافس والنمل والعناكب وما أشبه من كل

جانب حتى كانت تدخل في حمائبنا الصغيرة ولم يمض الا بضع دقائق حتى أخذت الامطار تهطل . فمكثنا هنا ساعة ونصف ساعة ثم استأنفنا السير . وكانت البغال الحاملة للعفش والصناديق قد مرت من النهر عند ما نزلنا نحن هناك للاستراحة وأمرت المكارية وقتئذ أن يستمروا بالسير دون أن يقفوا في محل واننا سنلحق بهم بعد قليل. ولكن لما عبرنا النهر وسرنا قليلاً وجدنا هؤلاء المكارية أنزلوا الاحمال عن البغال ونزلوا هناك خلافاً للامر ووضعوا الصناديق فوق بعضها وأرسلوا البغال ترعى في المراعي وجلسوا هم يستريحون تحت الخيم ظن هؤلاء أني اذا وجدتهم على هذا الحال لا يمكن أقول لهم قوموا لنسير والمطر نازل فيكونوا على زعمهم قد فازوا بالاستراحة في محل جميل مثل هذا . ولكن لما وصلت لعندهم قلت لهم بجد (انكم نزلتم في غير محل النزول فهيا بنا الى دوي التي هي امامنا فها أنا سابقكم اليها فعليكم ان تلحقوا بي من غير مهل) وبعد ان قلت ذلك سرت الى الامام فاضطر المكارية ان يحملوا البغال ويستأنفوا السير ولو لم أصنع هكذا لتمردوا فيما بعد فلا أتمكن من تنفيذ كلمتي بينهم سرنا ساعة ونصف ساعة ووصلنا الى (دوسي) فجلسنا هناك على صخور مرتفعة وعلينا ملابس المطر (المشمع) وبايدينا المظلات ننتظر وصول البغال والاحمال والخيام . وبعد قليل وردت البغال ولكن تأخرت الجمال فارسلنا من يستعجلها

اصطدنا هنا أوزة برية بقدر الديك الرومي (الحبشي) . ولم نجد هنا من الحطب ما يكفي لتسخين طعامنا فاضطررنا ان نحضر طعامنا على جلة البقر . ثم وصلت الجمال بعد الغروب فنبهت على الجمالة ان يجعلوا قيامهم بعد الآن قبلنا فقام الجمالة مبكرين وقمنا نحن الضحوة الصغرى . لم ينقطع أصوات الذئاب والضباع طول هذه الليلة من أطرافنا ولكنها لم تكن لتجرأ على الاقتراب لوجود النار مع ضعفها . وكانت قافلة أخرى نزلت قربنا فخرج أحد بغالها عن دائرة المنزل أي النيران فهجمت عليه الذئاب وقطعت من فخذه قطعة كبيرة ولم ينج من أنيابها الا بصعوبة ورأيت هذا البغل بعيني

يوم الخميس ١٧ يونيو (حزيران) مرحلة منابللا

القرود — الاجران — (البيادر) عند الاحباش

وصلنا قبيل الظهر الى رأس نهر (جنقوره) الاول اعتبارا من جهة (بالجي) وجلسنا ننتظر بغال الاحمال التي تخلفت وراءنا وأرسلنا بغال الركوب الى المراعي لترعى وجلسنا نحن على مرتفع من الارض قليلا فتناولنا طعامنا وأخذنا نستريح قليلا وبينما نحن كذلك اذ ورد علينا رجل حبشي وبيده ربابة ذات وتر واحد وجلس أمامنا وصار يضرب عليها فقمت وأحضرت عدة الفوتوغراف لاخذ رسمه فسر لذلك جدا وزاد معه الشوق للغناء فأخذ يغني ظناً منه أن العدة تأخذ في آن واحد رسمه وصوته

واستأنفنا السير بعد ساعة فوصلنا الى نهر (بوركا) الساعة الثانية بعدالظهر ونزلنا تحت الشجرة التي كنا نزلنا تحتها في الذهاب الى آديس آبابا للاستراحة والاستظلال

وبينما نحن جالسون هنا اذ وردت أسراب من القرود على الشاطئ الآخر من النهر لتشرب فلما رأت القردين معنا صارت تصرخ بأصوات عجيبة فكأنها كانت تحرض قرودنا على الفرار . لان هذين القردين لما رأيا القرود الاخرى وسمعا أصواتها أظهرا الرغبة بالتخلص من السلاسل والجري نحوها

مكثنا هنا مدة ثم قمنا نسير بعد أن أخذنا حاجتنا من الماء اللازم لنا أثناء الطريق ضمن صفايح . واصطدنا هنا أربعاً من الدجاج البري المسمى (بيج) بطلقتين . والصيد هنا كثير جدا من الاوز والدجاج البري والغزلان والارانب فلذلك ما كنا نرضى أن نصطاد بطلقة واحدة مصيداً واحداً

ولما وصلنا الى أول قرية من قرى (منجار) رأينا منظرا غريباً ذلك أن بعض الزروين الاحباش كانوا يشتغلون بدرس ماحصدوه من الغلال الموجودة في الاجران

فكان الجرن (البيدر) مؤلفاً من دائرة صغيرة يدور عليها نورج مصنوع من بضعة قرون من قرون البقر وعلى الجرن جملة من الفتيان والفتيات بيدهم العصي ينطون ويحركون رؤوسهم الى الشمال والى اليمين ويضربون حزم الغلال الموجودة بأيديهم وهم يغنون كلهم بصوت واحد . فوقفنا نتفرج على هؤلاء مدة وأخذنا رسمهم بعدة الفوتغراف ثم استأنفنا السير ووصلنا قبيل الغروب الى منابللا حيث نزلنا للاستراحة قليلا

يوم الجمعة ١٨ يونيو (حزيران) مرحلة تاديجامالكا

لعدم وجود الماء في المسافة التي سنقطعها من هنا الى ان نصل الى (تاديجامالكا) اشترينا قدرة من القدور التي تسع أربعين أقة من مشروب (طاللا) وخصصناها للخدم والجنود وأعطيناهم قدحاً من الزجاج لاجل الشرب بها ولكنهم استصغروها لانهم يريدون ان يشربوا من فم القدرة حسب استطاعتهم كما ان كل واحد منهم يريد ان يكون أول الشاربين . ولكن يس جاويش جمعهم وأوقفهم كما يوقف الجنود على نظام واحد وصار ينادي كل واحد بدوره ويسقيه فكان البعض منهم لا يريدون ان يفارقوا القدرة . ولم يمض بضع دقائق حتى فرغت القدرة ولم يبق فيها شيء .وحب هؤلاء الاحباش لشرب (طاللا) و (تج) يفوق حب الالمانيين لشرب البيرا

وصلنا قبيل الظهر الى (جوبا) فالفينا كوخاً فيه موظفاً من قبل الحكومة وظيفته رؤية جوازات المسافرين . فلما رأى جواز الامبراطور الخصوصي المختوم بختم الامبراطور الكبير وضع يديه على صدره وانحنى حتى وصل رأسه الى الارض تقريباً . فرشنا البساط هنا تحت ظل بعض الاشجار وجلسنا للطعام والراحة . وبعد قليل وصلت بغال الاحمال وكانت على جانب عظيم من التعب ومن قلة الماء وشدة الحر . وقمنا من هنا قاصدين نهر (تاديجامالكا) فوصلنا مساء . ولا تسل عن حالة البغال التي أنهكها التعب وعدم شرب الماء حتى انها لما وردت الماء ظننت انها ستشرب طول يومها وليلها . وأما القرود التي كانت معنا فكان واحد منهما معنا فكنا نعطيه من حين لآخر شيئاً من الماء ومع ذلك لما رأى النهر صار يصرخ كمن مسه الجنون وألقى بنفسه في الماء وصار يشرب . وأما رفيقته وهي الانثى فانها كانت بقيت مع الاحمال فلم ينتبه اليها أحد فماتت من العطش

واضطررنا ان نصعد من هذا الوادي الى سهل جبلي يبعد سبعمائة متر عن الماء فنزلنا في محل فيه حاجتنا من الحشائش والنباتات الجافة و بعد ان نزلنا الاحمال عن ظهور البغال أرسلناها ثانياً الى النهر تشرب الماء براحة لان البغال كانت في غاية من التعب مع قلة الشعير معنا وقلة المراعي فاضطريت الى البقاء هنا لحد الظهر من نهار غد. ومع ذلك كنا نقطع في سيرنا ضعف المسافة التي كنا نقطعها في الذهاب الى آديس آبابا وذلك لنتمكن من الوصول الى جيبوتي في أواخر شهر يونيو (حزيران) حتى نركب الباخرة التي ستقوم منها في أواخر هـذا الشهر . ولا نضطر للانتظار في جيبوتي خمسة عشر يوماً ولا يخفى انه يصعب على الانسان ان يقضي يوماً واحداً في الثغر المذكور من شدة الحر فما بالك اذا كنا مضطرين لمكث نصف شهر حيث يمضي اليوم على الانسان كقرن

عصفت الليلة رياح شديدة فلم نتمكن من نصب الخيمة الكبيرة فا كتفيت بالخيمة الصغيرة وقد أمطرت السماء طول الليل وكان فكري مشغولاً جداً لعدم وصول جمالنا من المحل الذي ننزل فيـه . وفي الليل ضاع أربعة من بغالنا ثم اهتدى اليها المكارية بعد البحث

يوم السبت ١٩ حزيران (يونيو)

ثعبان سام — عقرب سام

صباح اليوم وصلت جمالنا فسقنا جميع البهائم الى الامام الى محل كثير الكلاء نعم كنا أعطينا للبغال من المساء شعيرًا ولكن رأيتها مع ذلك محتاجة للرعي. وليس من عادات هذه البلاد ان يعطوا البهائم شعيرًا ولطول المسافات التي كنا مضطرين لقطعها رأينا من الحكمة ان نعطي عليقًا من الشعير أمرت اليوم الخدم والجنود والمكارية ان يخبزوا خبزهم ويجهزوه قبل الظهر لاننا عزمنا ان نقوم من هنا بعد الظهر ونقطع مسافة كبيرة فلذلك يجب ان يكون الطعام جاهزًا حتى لا يعيقنا في سيرنا . وكان الارز الذي طبخه الطاهي اليوم كأنه معالج بعصير القوطة (بندوره) من تعكير المياه لشدة الامطار كما ان الخبز كان أخذ لون الطين . ولم يكن معنا ماء غير عكر سوى صفيحة من ماء بوركا فخصصناها للشرب واضطرينا ان لا نأخذ منها الا عند الاحتياج الشديد

لما كنا ذاهبين الى آديس آبابا أضعنا هنا بغلاً والآن وجدناه عند أحد الاحباش القرويين أبقاه عنده لحين رجوعنا فاستلمنا البغل وأعطينا الرجل شيئًا مكافأة له على حفظ البغل عنده وكان سمن وبطر من عدم وجود أشغال يقوم بها أو أحمال يحملها فلما رأى هنا أحمالنا وصناديقنا أراد ان يهرب ولكنه لم يجد لذلك سبيلاً وأخذ ينظر الى الاحمال شزرًا وبعد الظهر حملنا الجمال وسيرناها قبل قيامنا بساعتين ونصف وقمنا العصر نسير ومعنا بغال الاحمال . وقبل قيامنا أتى المكارية والخدم بمقدار من دقيق

السمسم ثم جعلوا فيـه الماء حتى صار أشبه بالبوزا المعلومة فشربوها كلها وعلمت ان هذا المشروب يدفع الجوع والعطش في آن واحد . وقداشتد الحر على طريقنا فعطش رجالنا خصوصاً الخدم وكانوا كلما مر بنا مسافر يـألونه هل امامنا ماء . لانهم ليسوا بمعتادين ان يحملوا الماء في كيزانهم بل يشربون عند ما يجدون الماء . ويصبرون على العطش اذا لم يجدوه

وصلنا الى (فنطالي) عند الغروب فوجدنا هناك قليلاً من ماء المطر المجتمع في بعض حفر الوادي فشرب رجالنا منه ولم يمنعهم ركود الماء ووجود الحشائش فيه من الشرب لان معدة هؤلاء الناس متناسبة مـع سائر أقسام جسمهم فالشمس مثلاً لا تضربهم وجروحهم تبرأ بسرعة ومعدتهم تهضم كل شيء حالاً . وانما يخافون من الحشرات السامة جداً . لان حشرات هـذه البلاد مؤذية جداً بل هي قتالة . وقد حدث اليوم قبل ان نقوم من محل نزولنا ان الرجال الذين كانوا قرب محل المطبخ أخذوا يصيحون وهم يكررون كلمة (غند غندغند) . فهرولت لاستطلاع الخبر فعلمت انهم وجدوا عقرباً كبيرة فقتلوها . وقيل لي ان هذا الجنس من العقارب يقتل الانسان عقب لسعه اياه أي انه سام جداً . ولونه مائل للصفرة . وكنت رأيت من جنسه في (وان) وسمعتهم يقولون هناك انه سام جداً

دهمنا الليل ونحن في الطريق فلشدة الظلام الحالك اضطررنا ان نوقد الفانوس فحمله أحـد الخدم ومشي امامنا واستمرينا هكذا حتى أشرق القمر وأنار الفلوات والغياض بنوره . ونزلنا في الساعة الرابعة بعد الغروب في محل كثير الكلاء والنباتات بعيد عن المحلات المسكونة واقع في الخلا ولشدة هبوب الرياح اضطررت ان أصرف النظر عن نصب الخيمة الكبيرة والاكتفاء بالخيمة الصغيرة فوضع بركن منها سريري وبالركن الآخر سرير طالب بك وكلفنا يس جاويش ان يفرش لنفسه في وسط الخيمة وينام هناك ولكنه لم يشأ ذلك بل نام خارج الخيمة . وكان طالب بك وضع فردة من جعبته الصغيرة (الخرج) وراء محل وضع الوسادة حيث أسند سريره

عليها فكنا نسمع طول الليل حركة خفيفة وراء الحقيبة فظننا ان الارياح تخبط بذيل الخيمة على الحقيبة ولم نعلم السبب الحقيقي الا في الصباح حيث وجدنا بين السريرين ثعبانًا ذا سم شديد فلما رآنا انسل الى وراء الصندوق و بينما كنا نشتغل لاخراجه من هناك عثرنا على عقرب من الجنس الذي رأيناه البارحة فقتلناها كما قتلنا الثعبان . وعلمنا من ذلك اننا نزلنا في الظلام في محل فيه أوكار هذه الحشرات المؤذية فكان الله حافظًا لنا كما ان يس جاويش أصاب جدًا في عدم الرضاء بالمنام داخل الخيمة على الارض . ووصلت جمالنا بعدنا بخمس ساعات فامرنا بان تستمر في سيرها الى (قاچانواها) بدون ان يقفوا هنا

يوم الاحد ٢٠ يونيو (حزيران) له قارابا

قمنا اليوم صباحاً ولما وصلنا الى نهراواش وجدناه متعكرًا جدا . فلم نشأ النزول بل مررنا من الجسر واستمرينا في السير وكان اليوم حارًّا جدًا ولما جاوزنا نهراواش زاد الحر حتى صار لا يطاق فلذلك كنا مجدين في المشي لنصل بسرعة الى (قاجا نواها)

وصلنا بعد الظهر بساعة الى المحل المذكور الذي كان بطراوته وأشجاره ومياهه كالجنان في جوار جهنم فأخذنا في الحال نغسل وجوهنا وأيدينا بمياه النهر الباردة الجارية تحت الاشجار الباسقة ذوات الظل المنعش . فالانسان الداخل الى دمشق الشام بعد قطع صحراء الديماس القاحلة ذات الحر الشديد يحس بالطراوة المنعشة الابدان عند ما يصل الى الربوة وتتبدل حالته سريعاً من ذبول الى نشاط كذلك كان حالنا عند ما وصلنا الى هذا المحل بعد أن قطعنا تلك السباسب والفيافي الحارة و بعد أن عانينا أشد العذاب من شدة الحرارة وقلة المياه . نعم ان هذه الاراضي لا تشبه ربوة دمشق من حيث اللطافة الطبيعية لكون الاراضي هنا مسطحة ولكن لا فرق بينها و بين تلك من حيث الطراوة . كنت ترانا لا نفارق شاطئ النهر كل منا جالس تحت ظلال الاشجار مشغول بشيء من الاشغال . وأما البهائم فانها بعد أن شربت كثيرا وارتوت أخذت ترعى والطاهي بعد أن جهز طعام الغداء جلس يشتغل بطهي طعام العشاء واحضاره والخدم والجنود ذهبوا فأخذوا في غسل ملابسهم ونشرها في الشمس . أما أنا فاني نزلت الى النهر واغتسلت بالليف والصابون . جلسنا هنا أربع ساعات بعد أن كنا مصممين على المكث ساعتين فقط وقمنا قبل ساعتين من الغروب وتركنا هذا المحل وفي القلب حسرات من فراق الماء

سرنا ساعتين في طريق چرچر (وهو الطريق الذي كنا أتينا منه الى آديس آبابا) ثم تركنا هذا الطريق وعواميد التلغراف على يميننا ودخلنا في طريق عصبوت (وهو الطريق الجديد الذي اخترناه بالاياب الى جيبوتي) وكان الظلام أقبل علينا فما كنا نرى الطريق كما يجب ومع ذلك كنا نتمكن من رؤية الاشباح فالاراضي مستوية مسطحة مستورة بالحشايش الناشفة والخضراء معاً وأشجار قليلة نصادفها هنا وهناك

وفي الساعة الثانية بعد الغروب سمعنا طلقتي بندقية من الامام فعلمنا أننا وصلنا الى ماء . وهنا يجري نهر صغير يسمى (قارابا) ينبع من محل يبعد من هنا مسافة مرحلة واحدة وينصب في نهر اواش . مررنا حسب العادة من النهر ونزلنا في محل كثير الخضرة والكلاء على الضفة الاخرى تبعد خمس دقائق من الماء . و بعد أن تعشينا على نور القمر ذهب كل منا الى خيمته للنوم والاستراحة وكان الجو وقتئذ صحواً والطقس جيداً والهواء عليلا ولكن أخذت الامطار بعد نصف الليل تسقط بشدة لا مثيل لها . ولم تنفذ مياه الامطار من الخيام ولكن دخلت من أطرافها من تحت فصار داخل الخيمة كمستنقع وابتل كل ما هو موجود على أرض الخيمة من أمتعتنا وكنت أنا في سريري فلم يصل الماء لعندي . ويس جاويش الذي لا يحب أن ينام على السرير ندم هذه الليلة ندماً كبيرًا على ذلك وجلس على صندوق صغير وقضى طول الليل عليه . أما الخدم والجنود الذين كانوا ناموا في الخارج تحت السماء فانهم ظلوا نياماً رغم شدة الامطار وكان كل واحد منهم واضعاً رأسه على رحل من رحال البغال فكنت تجد المياه تجري من كل جانب ومن تحتهم ومن فوقهم وهم نائمون غير دارين بما هو كائن . وقد تلف كثير من ذخائرنا التي كانت في الصناديق مثل السكر والملح والدقيق وما أشبه

يوم الاثنين ٢١ يونيو (حزيران) مرحلة لقامعو

قبائل الايتو يتزوج الواحد منهم ثماني نسوة — مطر شديد

كنت في الليل وضعت مقداراً من الفاصولية ضمن جردل ليبتل وأوصيت الطاهي أن يطبخه لاجل الخدم والجنود . وكان هؤلاء يعلمون ذلك فلما أصبحوا أخذوا الفاصولية من الجردل ووضعوها على قصعة كبيرة وجلسوا على أطرافها وأخذوا يأكلون الفاصولية وهي نيئة كما يأكل الانسان الحمص المقلي ولم يمض بضع دقائق حتى أكلوها ولم يذروا منها حبة واحدة

ما كنت تمكنت من رؤية الاراضي في هذه الجهات من الظلام. والآن وجدت الاراضي كلها خضراء على مد النظر وكلها مستورة بالادغال والعوسج . وأما الاشجار فانها كانت قليلة ومتفرقة . وجدت هذه الاراضي قابلة للعمران وللسكن . قمنا من هنا الضحى وأخذنا نسير في أراضي تشبه الاراضي التي وصفتها الآن وانما كان يقاطعنا من حين الى آخر تلال صغيرة غير عالية خفيفة الميل . وهنا يصادف الانسان بعض الزنوج المعروفين باسم (ايتو) وهذه الطائفة لا تقطن محلاً واحداً معلوماً بل انها ترحل دائماً من محل الى آخر بمواشيها وأحمالها . ويتعيشون بألبان سوائمهم ويسترون عورتهم بقطعة قماش (فوطه) ويضعون فوق الكتف أيضاً فوطة أخرى ويتركون ما بقي من أجسامهم عارياً عن الملابس . وهم متوحشون تقريباً ومنظرهم مخيف ولا يدينون بدين وعندهم تعدد الزوجات حتى ان الرجل يمكنه أن يتزوج بقدر ما يستطيع على اعالته من النساء أي انه اذا شاء أن يتزوج ثمانياً في وقت واحد فله ذلك . وأسلحتهم عبارة عن حربة بيدهم وخنجر يجعلونه في أوساطهم . وهؤلاء الناس ليسوا من الاحباش بل انهم قوم مستقلون بالجنسية عن غيرهم

وبعد الغروب بساعتين أطلق عثمان أحد الجنود وكان سائرًا امامنا بندقية اشارة الى اننا وصلنا الى الماء . فنزلنا هناك ولكن علمنا فيما بعد ان هذا المحل ليس قريباً من الماء كما توهم عثمان الذي لا أخاله الا تعب وأراد أن ينزلنا ليستريح هو وبغله . فاضطرينا أن نرسل الخدمة ليأتونا بالماء بالصفايح من النهر الذي كان اسمه (لقامعو) تناولنا عشاءنا ثم ذهب كل منا الى السرير طلباً للراحة والنوم وجلس النوبتجية على أطراف النيران المشتعلة يحرسون القافلة

وفي الساعة الرابعة بعد الغروب نزلت الامطار منهمرة ولكن هذه المرة لم تدخل المياه في الخيمة لانني كنت من المساء جعلت الخنادق التي تقام على أطراف الخيام عميقةً لتمنع دخول المياه الى الخيمة

يوم الثلاثاء ٢٢ يونيو (حزيران) في الاحراش

لقامعو — مياه مولون — حيوانات برية كثيرة — رفص من البغل — ضعنا في الاحراش

——

كانت الشمس اليوم تشرق مرة وتغيب أخرى تحت جنح الغيوم . وأما أمطار الليل الشديدة فانها بلت أكثر حوائجنا حتى ان أغلب الخراطيش التي كانت معنا انتفخت من الرطوبة فصارت لا تدخل في البندقية لذلك فحصناها كلها فحصاً دقيقاً لنعلم الرديء من الطيب . ولم يكن معنا من الخيام الحبشية الا واحدة أتينا بها من آديس آبابا والباقي كانت كلها من صنع الاستانة فلذلك ما كانت تحمل شدة أمطار هذه البلاد

جلسنا للطعام وجلس أيضاً الجنود والخدم في محل آخر ليأكلوا طعامهم الذي كان مؤلفاً من عصير الفلفل الاحمر حيث يغمسون فيه الخبز ويأكلونه . انتظرنا هنا الى قريب الظهر لتجف خيامنا وملابس خدمنا وجنودنا . ثم استأنفنا السير فوصلنا بعد ساعة ونصف الى ماء (لقامعو) فعلمنا حينئذ ان الماء الذي أتى به رجالنا البارحة كان من بعض غدران تجمعت فيها مياه الامطار

ونهر لقامعو ينبع من جبال (چرچر) وينصب في نهر اواش ويكفي ماؤه لادارة حجر طاحون . وكان سيرنا من (چوبا) في أراض غير مسكونة وخالية من الزرع فما كنا نصادف في طريقنا ضياعاً ولا قرى ولا مزارع . وبعد ساعتين ونصف وصلنا الى نهر مولون الذي ينبع من (قونى) ويجري نحو أراضي (أوغادن) ويغور هناك في الرمال ولا يمكن أن أصف ما تعطيه المياه الجارية هنا للانسان من الانشراح والسرور لان هذه الاراضي قاحلة جرداء . نزلنا على ضفاف نهر (مولون) وتناولنا غداءنا تحت الاشجار الجميلة . وكان منظر النهر جميلاً جداً يشرح الصدر لسرعة جريانه وطيب صوت خريره مع الطراوة

أعطى يسن چاويش الى ادريس أحد خدمتنا الذي كان واقفاً بالقرب منا قليلاً من البقصماد وخشاف قمر الدين وزيتون وصوجق . ولكن ادريس الذي لم يتعود أكل مثل هذه الاطعمة أكل أول كل شيء الصوجق وحده ثم شرب الخشاف ثم تناول البقصماد وانتهى ببلع الزيتون كانه يأكل عنباً

قمنا من هنا العصر وقد تغيرت طبيعة هذه الاراضي بعد ان بعدنا من النهر حيث أخذت النباتات الخضراء تقل بالتدريج كما ان الاشجار قلت . وكنا نرى عن بعد كثيرا من أسراب الغزلان والارانب تجري على أطرافنا حتى كان بعض الذئاب يمر على بعد قليل من القافلة غير وجلة . وقد اصطدنا ما يلزم للعشاء من الطيور والدجاج البري الذي كان هنا بكثرة

ولما كنا نازلين على ضفة النهر قبل قيامنا كانت بغالنا مرت بنا واستمرت بسيرها وأوصينا البغالة أن ينزلوا وقت الغروب في المحل الذي يكونون فيه اذا لم نلحق بهم الى ذلك الوقت

وبينما كنا نصطاد ونجري وراء الطير في الغابات تهنا عن الطريق وكان ذلك قرب الغروب حيث أخذ الظلام يمد أجنحته فزادت حالتنا أشكالاً فلم نتمكن من رؤية أثر الطريق الذي يمشي عليه الناس وصار كل من الجنود الذين معنا يشير علينا باتباع جهة . وكان بعض أشجار هذه الغابة التي نحن فيها كبيرة وأرضها متماوجة أي انها ذات مرتفعات ومنخفضات . وأردت أن أترك الطريق وأتوجه الى جهة كنا سرنا نحوها ولكن لم نتمكن من ذلك لكثرة الشوك والادغال التي كانت حائلة ومانعة لمسيرنا واستمر الحال معنا هكذا الى الساعة الحادية ونصف بعد الغروب فلم نعثر بالطريق فأخذنا باطلاق البارود حتى نسمع قافلتنا فيجيبوننا ونعلم حينئذ الجهة التي يجب أن نسير نحوها وأصعدنا بعض الجنود على الاشجار العالية فصاحوا بأعلى أصواتهم فلم يسمعنا أحد . وأردت أن أعلم هل كان الجنود والخدم الذين كانوا معي يعلمون الطريق أم لا فأخرجت خريطة الجيب والبوصلة فوضعتهما

على شكلهما الطبيعي ثم أخذت أعين تقريباً النقطة التي نحن فيها على نور الشمعة .
فسألتهم عن الجهة الواجب اتجاهنا نحوها فأروني بأيديهم جهة من الجهات فعلمت
نهم يمكن أن يعرفوا الطريق عند بزوغ النهار وعزمت على قضاء الليل في الغابة ونزلنا
تحت شجرة جسيمة وربطنا بغالنا على جذوعها وذهب أبو بكر ورفاقه الجنود وأتونا
بكثير من الحطب والحشائش الجافة فوضعنا بعض الحشائش على الارض ثم فرشنا
عليها البسط التي كانت معنا ورحال البغال ووُضعَ جانب من الحشائش أمام البغال
وأشعل الخدم النيران حولنا لندفع أذى الحيوانات الكاسرة التي كانت بكثرة في هذه
الغابة وبعد أن أتممنا هذه الاعمال أحصينا الموجودين هنا فكنا ثمانيةً أنا وطالب بك
ويس جاويش وأبو بكر وعمر وجمعه وحسن وادريس وفحصنا بنادقنا فوجدناها على
ما يرام وعندنا كثير من الخراطيش وبذلك اطمأن بالنا نوعاً ولو من جهة أذى
الحيوانات المفترسة . ولكن الذي أزعجنا عدم وجود شيء نأكله اذ لم يكن موجوداً
في السبت الذي كان فيه أكل الظهر الا قليلاً من خشاف العنب ضمن قارورة وقليل
من البن . ووجدنا غير ذلك علبة بسكويت في خرج يس جاويش وعلبة من مرق
اللحم في حقيبتي . وأما الماء فانه كان متوفراً في كيزاننا . ومما زاد حالتي حرجاً الالم
الذي كنت أحس به في ذقني وفي صدري من رفصتين كنت تلقيتهما من أحد بغالنا
قبل الخروج الى الصيد. ولو كان البغل محدياً بالحديد حسب عادات بلادنا لكانت هاتان
الضربتان كسرتا فكي وصدري فلذلك كنت محتاجاً للراحة أكثر من سائر رفاقي

جلس الخدم يتناوبون حراستنا وأما نحن فوضعنا علينا أرديتنا فنمنا بقدر ما
تسمح به حالتنا هذه . وكان من حسن حظنا أن كان الجوّ صافياً فلا خوف من
المطر والزوابع . وفي نصف الليل صعد أحد المكارية واسمه عمر على شجرة فأطلق
عياراً نارياً نسمعته قافلتنا وأجابته بطلق بندقية ففهمنا أننا لم نكن بعيدين عن قافلتنا
ولما أصبحنا ذهب أبو بكر وجال في أطراف الغابة للبحث عن الطريق فعاد ونحن نشرب
القهوة ومرق اللحم وبعد ذلك قمنا ولم تمض ساعة حتى التحقنا بقافلتنا فالحمد لله على السلامة

يوم الاربعاء ٢٣ حزيران (يونيو) في وسط الصحراء

بينما كان المكارية في الليل مشتغلين بالبحث عنا كانت بعض البغال فرّت بعيداً عن القافلة فذهب اكثر رجالنا ليأتوا بها واضطررنا أن ننتظر . فقام الموجودون من رجالنا باحضار الطعام وخبز الخبز وما أشبه من الاعمال التي اذا أخرناها تأخرنا في الطريق فلا نصل الى دريدوه ومن ثم الى جيبوتي في الوقت اللازم . كان الجوّ هذا اليوم شديد الحرارة والشمس محرقة جداً لان طريق عصبوت هذا منحط كثيراً بالنسبة لطريق جرجر الجبلي . لذلك كانت بغالنا تأتي بصعوبة . وكان عمر أحد المكارية تاه عن الطريق بينما كان يبحث عن أحد البغال وضل في البراري المقفرة وكاد يموت من العطش لو لم يدركه رجل من قبيلة ايتو ويأتي به لعندنا . والواحد من البغال فقد بالمرة فلم نجده ولم نشأ أن ننتظر هنا من أجله بدون فائدة فقمنا في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر من هنا . وفي أثناء سيرنا انقطع عن السير بغل يحمل أشياء لبكر أفندي كان أرسله معنا فاضطررنا لتوزيع حمله على البغال الاخرى وتركه في سبيله في هذه البراري وربما يقدر على محافظة حياته اذا التقى بالماء ولم تفترسه الحيوانات الكاسرة . وكان المطر اليوم ينزل أحياناً وصلنا الى محل كثير المرعى والكلأ فنزلنا فيه . وقد وجدنا هنا بئراً اشتبهنا في نظافة مائه لذلك اضطررنا الى غلي الماء

يوم الخميس ٢٤ حزيران (يونيو) مرحلة غوط

استخراج الماء من البئر من غير جردل ولا حبل — السوائم الفطنة — الطيور الغريبة — الاسورة

انتبهنا من نومنا في الليل وصرنا نتأهب لاستئناف المسير على نور القمر ولكننا لم نتمكن من القيام الا طلوع الشمس وكان الجو لطيفاً جداً فكنت ترى الاشجار والحشائش وسنابل القمح تلمع من انعكاس نور الشمس على نقط ماء المطر والطيور تطير من شجرة الى أخرى كلها تغرد تغريداً بديعاً وبعد ساعتين من مسيرنا وصلنا قرية صغيرة تسمى دارعيله . ويقطن نقدراس محمد أخو أبو بكر هنا ومعه بعض أشخاص من عائلته وأولادهم وسوائمهم . وقد كنت رأيت نقدراس محمد هذا في آديس آبابا فخرج كبارهم الى استقبالنا ودعونا للفطور وشرب القهوة عندهم فجلسنا تحت شجرة وبينما كنا نشرب القهوة أخذ أحد المستقبلين يذم قبيلتي ايسا وايتو فنظرت الى يده التي كان يرفعها وينزلها فاذا فيها اسورة كبيرة في معصمه فسألت هل يلبس رجالهم الاساور فقال ان الاسورة التي يلبسها الرجال ليست للزينة بل هي علامة على ان صاحبها قتل بعض أعدائه وان الاسنان الموجودة عليها تدل على عدد من قتله من الاعداء . فامعنت النظر في الاسورة فوجدت عليها خمس أسنان ولدى السؤال علمت انه كان قتل خمسة أشخاص من قبيلة ايتو وصادق رفاقه على كلامه . ثم بنا بعد القهوة واللبن الرايب الذي أتى به هؤلاء الناس . فلم نقدر ان نشرب كثيراً منه لطعم الهباب الموجود في الوعاء كما مر ذكره آنفاً . انقطع هنا أيضاً اثنان من بغالنا وكان الواحد منهما خاصاً بالحمل فوزعنا حمله على البغال الاخرى والثاني هو البغل الذي كان جلالة منليك أهداه الي في آديس آبابا كان جميلاً جداً وكان هذا البغل

انقطع بعد سفرنا من آديس آبابا بيومين عن الاكل وأخذ يبطئ في السير فمات هنا اليوم . ويقول المكارية ان الشحم زاد على قلبه من كثرة الراحة والاكل في الاصطبل الامبراطوري فلم يقو على مشاق السفر والسير

وصلنا في الساعة الثانية بعد الزوال الى قرية ايلابللا وأهلها من الصوماليين من قبيلة أعيسا التي لا يلبس رجالها ونساؤها شيئاً سوى فوطة ليستروا بها عورتهم . ومع ذلك ترى لهؤلاء الناس جداً ووقاراً . ولا يوجد هنا مياه جارية وقد فتح الاهالي آباراً متعددة على مجاري السيول فاتينا الى بئر من هذه الآبار فوجدنا عمقها أربعة أو خمسة أمتار ووسع الفم مثل عمقه وكان عمق الماء الموجود فيه متراً واحداً . ويستخرج الناس الماء هنا بطريقة غريبة لعدم امكان أخذ الماء بالجرادل والحبال وذلك انه ينزل أحد الصوماليين الى البئر ويقف في الماء ويلقي اليه أحد الواقفين على البئر بجردل معرض على الهباب أيضاً فيملأ الواقف في الماء الجردل ويرمي به مائلاً الى الأعلى حيث يلتقطه الرجل وهو يلقي اليه بآخر فارغ ويفرغ الملآن في حوض أقيم قرب البئر فيملأ الانسان الجرادل الفارغ والملآن يصعدان وينزلان بمهارة فائقة وسرعة عجيبة حتى ان العين تنبهر والانسان يندهش من هذه المهارة برمي الجردل الملآن الى فم البئر من غير ان ينصب منه نقطة واحدة والجرادل مصنوعة على شكل يتمكنون به من محافظة الموازنة اذ يرمون بها فقد صنعت من الوسط الى الاسفل على شكل مخروط ناقص والنصف الآخر على شكل اسطوانة وطوله نصف متر وقطره الفوقاني ثلاثون سانتيمتر . واستعمال هذه الجرادل بهذه الصورة ورميها من البئر الى الأعلى ستة أو خمسة أمتار مما يدل على قوّة سواعد هؤلاء الرجال والانسان اذا أنعم النظر في أيديهم وسائر أعضائهم يرى العروق والشرايين نافرة كأنها خيطان القنب واذا أراد الراعي أن يسقي سوائمه فانه يستخرج الماء على الصفة المذكورة فيملأ الحوض الآنف الذكر ثم يتوجه نحو القطيع على بعد كيلو متر واحد من البئر فيناديها بصوت مخصوص فتراها اتجهت نحو البئر كأنها جنود تطيع نداء قائدها . وبعد ان

يشرب هذا القطيع وينسحب يتوجه راع آخر الى قطيع غير القطيع الاول فيناديها فتأتي كالأولى وتشرب ثم تنسحب ويأتي الدور بعدها لغيرها وهكذا الى آخره بحيث تشرب كلها من غير ان يزاحم قطيع قطيعاً . وبينما نحن جالسون هنا سمعنا صوت بعض الطيور بشكل غريب فصوت الواحد يشبه الطفل الذي يبكي ويصرخ والثاني يخرج منه بآلآت متعددة حيث يسمع الانسان حروف با با با با بكل فصاحة. والطيور في الحبشة مشهورة بأنواعها وجمالها وكأنها خاصة في هذه الاقطار فقط . وقد كان الموسيو شمبير الالماني المشهور بمباحثه وتدقيقاته الفنية أرسل من نباتات الحبشة الى جنائن النباتات في برلين وباريس ولوندره ستة آلاف صنف من النباتات غير المعروفة في هذه العواصم والبلاد الغربية والماني آخر كان قد اصطاد كثيراً من الطيور التي توجد في هذه البلاد وأرسلها الى العواصم المذكورة بعد ان صبرها

أقمنا تحت الشجرة في ايلا بللا ثلاث ساعات ثم استأنفنا السير فوصلنا الساعة الثانية بعد الغروب الى محل يقال له (اريرغوط) ونزلنا على هضبة قليلة الارتفاع تبعد عن الماء مائة متر وأشعلنا النيران على أطراف القافلة حسب العادة وبعد تناول الطعام انسحب كل منا الى منامه ولم يبق ساهراً الا النوبتجية القائمون بحراسة القافلة والنار

يوم الجمعة ٢٥ حزيران (يونيو) مرحلة توما

السلحفاة الـكبيرة الجسم

—

لما أصبحت أخذت أعاين الاطراف والاكناف فوجدت الحرارة شديدة على أطراف محل نزولنا رغم طراوة الصبح ولكن كان الهواء على حافة النهر طرياً ومعتدلاً لوجود الماء وكثرة الاشجار الباسقة النامية على حافتي النهر . والماء هنا كان رائقاً . ويوجد بالقرب من هنا مزارع للحاج محمد أخي نقد رأس أبو بكر ومزارع أخرى ملك أحمد أفندي عبد القادر الجداوي ويخرج منها العنب والبن والموز وقصب السكر وفاكهة تشبه الكباد تسمى باباي وغيره من الفواكه وهي مساعدة لزرع أنواع الحبوبات أيضاً . ويريد أصحاب هذه المزارع أن يرقوا أعمالهم فيها ويقوموا بكل ما يستوجب كثرة الاستغلال ولكن تسلط قبائل عيسا المتواصل يضرب على أيديهم. والمياه الجارية في المزارع المذكورة كثيرة جداً تجري من غير فائدة في الاراضي حيث يمكن تأسيس مدينة عظيمة ببساتينها وكرومها ومزارعها

اننا من يوم قيامنا من آديس آبابا الى هذا اليوم قطعنا مسافات كبيرة فصارت بغال الاحمال والركوب في حالة سيئة من التعب حتى صار بعضها لا يقدر على مشي خطوة واحدة . ولم يبق بيننا وبين دريدوه التي هي آخر محطة السكة الحديد الممتدة من جيبوتي الا مرحلتين لذلك رأيت ان نبقي في مزرعة أحمد افندي صناديق الذخائر وبعض الحوائج التي لم يبق لها احتياج وان نستأجر من هنا بعض البغال اللازمة لنا حتى نصل الى المحطة المذكورة ومن جملة ما تركناه هنا كثير من البصل والثوم وكان الخدم وقتئذٍ مشتغلين بمص قصب السكر فلما رأوا البصل وعلموا انه سيترك هنا لعدم لزومه أحاطوا به وصاروا يأكلونه كما يأكل الانسان أحسن الفواكه فلما رأيتهم استرسلوا في أكله منعتهم خوفاً من أن يتسلط عليهم العطش في الطريق

قمنا من هنا قبل الظهر بساعة تقريباً وكان معنا أحد عبيد محمد افندي المار ذكره المسمى (فدا) ووصلنا في الساعة الخامسة ونصف الى محل يسمى (أرير) وكان الحر شديداً جداً في الطريق . ولما وصلنا (أرير) هذه سررنا جداً اذ وجدنا فيها الماء اللذيذ الصافي يتدفق في نهر صغير وعلى أطرافه الاشجار الباسقة وتحتها الظلال المنعشة ونزلنا تحت شجرة من هذه الاشجار وأخذ كل منا يستحم في الماء البارد بينما كان الطاهي يهيئ الطعام . واضطريت ان ألبس بعد الاستحمام ملابسي التي كانت عليَّ مقلوبة لانه لم تكن يدي تطول الملابس النظيفة . وهذا هو أحسن ما يمكن عمله اذا لم يكن عند الانسان ملابس نظيفة

وفي هذه الاثناء وردت بغال الاحمال فشربت واستمرت في سيرها من غير ان تنزل هنا . رأيت في (أرير) بضع راعيات جميلات جداً جالسات قرب القافلة مع قطعانهن . وكان القسم الأعلى من أجسامهن عارياً من الملابس فوجهت عدة الرسم عليهن ورسمتهن من غير ان يعلمن ذلك . يوجد هنا بضعة عشر كوخاً ولكن هذا العدد قليل جداً بالنسبة الى خصب الارض واستعدادها لتأسيس بلدة عظيمة عامرة فيها . ومع وجود الماء والمراعي والاراضي القابلة للزرع لا يلتفت السكان الى الفلاحة بل يعيشون السوائم فقط

قمنا من هنا في الساعة الثانية ونصف بعد الزوال ووصلنا قبل الغروب بساعتين الى وادي كرمام حيث يوجد بعض آبار محفورة على مجاري السيول . واستمرينا بسيرنا بعد ان عوضنا من الآبار الماء الذي كنا صرفناه في الطريق وسقينا بغالنا . ان الحر اليوم كان شديداً والذي زاد الطين بلة حلاوة الدقيق التي أكلناها على طعام الغداء فانها زادت حرارتنا فاضطرينا للشرب من الماء كثيراً

وقبيل الغروب وصلنا الى محل يبعد كيلومترين عن سفوح جبل توما حيث وجدنا القافلة نزلت هناك فنزلنا نحن أيضاً . ولم يكن يوجد في هذا المحل شيء من الكلاء سوى بعض جذور النباتات التي اكتفت البغال برعيها . ولو لم نكن أعطيناها في غوثا

عليقاً كافياً من الشعير والذرة والحشائش لما كانت قدرت على السير معنا

أعطى يس جاويش هنا حذاءً لخادمه الحبشي فلبسه هـذا وقام ولكنه خطا بعض خطوات تشبه خطوات الاطفال الذين يبتدئون بالمشي وكان رفاقه يقهقهون من حوله ولم يقدر على السير بالحذاء فقلعه من رجله وقال انه لا يعرف ان يسير بالحذاء.

أمطرت السماء في الليل مطراً شديداً ولم تكن الخيمة الكبيرة المانعة لنفوذ الماء معنا لاننا تركناها في (أرير) مع ما تركناه من الامتعة . لذلك نفذ الينا المطر

يوم السبت ٢٦ حزيران (يونيو) الوصول الى دريدوه

استيقظنا اليوم قبل الفجر لنتمكن من القيام من هنا قبل بزوغ الشمس حتى نصل الى دريدوه لنستفيد من الوسائط المدنية مثل النوم في الغرف والسفر بالسكك الحديد والبواخر وما أشبه ولكن لم نتمكن من السفر من هنا الا بعد طلوعها . ولقربنا من دريدوه لم نكن نحتاج بعد الآن لبغال الاثقال وللصناديق لذلك تركناها كلها وراءنا وسرنا الى دريدوه وامامنا (فدا) عبد محمد أفندي يدلنا على الطريق . لان الاراضي التي كنا سائرين بها كانت عبارة عن غابات وأحراش فيها كثير من الطرق المتشعبة لذلك لا يقدر الانسان ان يسير فيها من غير دلالة أحد العارفين بطرق هذه البلاد . وقد كنا نرى في طريقنا بين أشجار الغابات كثيراً من الغزلان والارانب والطيور الغريبة كما اننا رأينا اليوم لاول مرة سلحفاة كبيرة جداً طولها ٨٠ سنتيمتر وارتفاعها ٥٥ سانتيمتر . أراد (علامو) أحد خدمنا ان يركبها لتسير به ولكن لعدم وجود وقت كاف لنضيعه في أمور كهذه منعته عن ذلك فاكتفى بان صعد عليها ووقف على ظهرها بضع دقائق . وكان الخدم اليوم والمكارية والبغال كلها تسرع في سيرها لانها عالمة بان هذه المرحلة هي الاخيرة من سياحتنا هذه

نزلنا قبيل الزوال تحت شجرة وجلسنا ريثما تناولنا الطعام وملأنا الكيزان من ماء المطر المتجمع بين الصخور ثم استأنفنا السير وكان نشاط الخدم والبغال في المشي آخذاً في الزيادة كلما اقتربنا من المدينة . وفي الساعة الثانية بعد الزوال بلغنا دريدوه ولا تسل عن سرورنا لما سمعنا صفير القاطرة في محطة السكة الحديد ورأينا القطرات وعرباتها فكأننا قربنا من الاستانة ودخلنا في دائرة العادات والاحوال التي تعودناها في عالمنا المدني . نعم ان السياحة في البراري والاراضي المقفرة لها لذة كبيرة ولكن في مقابلة ذلك كثير من المتاعب خصوصاً تعب البال والفكر وهذا أمر لا ينكره أحد .

فان الانسان كثيرًا ما يكون في النهار تحت رحمة الحر وفي الليل معرضاً لاهوال القر ولا تنس الامطار التي تنزل بكثرة ليلاً ونهارًا والزوابع والعواصف وانقطاع البغال عن السير والتيه في هـذه الفيافي وهجوم الحيوانات الكاسرة على القافلة ليلاً وعدم انتباه المكارية للاحمال وهم يحملونها على البغال فيقع الصندوق وينكسر أو يحملونه مقلوبًا فوقه لتحت مما يجعل الامتعة التي فيه لا تصلح لشيء فيما بعد . واذا كان فيه شيء قابلاً للكسر ينكسر وبالجملة ان هذه الاحوال وكثيرًا مما تليها تدع الانسان في كرب عظيم فلذلك كله كان وصولنا الى دريدوه من أعظم دواعي السرور والحمدلله وقد خيل لي انه لو كان امامنا مسافة ساعتين غير ما سرنا لما كنت قدرت على قطعها على البغل . ذهبنا توًا الى الفندق الذي كنا نزلنا فيـه في الذهاب الى آديس آبابا المسمى (اوتيل ميخاليدس) باسم صاحبه . ودخل كل في غرفته بعد انأرسلنا البغال الى وكيل الحاج أحمد عبد القادر أفندي في دريدوه . فكان أول شغلي الاستحمام وتغيير الملابس وبعد ذلك جلست على كرسي هزاز امام جنينة النزل وأخذت أشرب الشيشة (الأركيله) بكل سرور من وصولنا الى دريدوه بالسلامة . وأما الطقس هنا فانه كان حرًا وكان معنا بالنزل كثير من السيدات الاوروبية وكلهن بملابس خفيفة جدًا ولما سألت الغارسون عنهن أجاب بانهن زوجات بعض المستخدمين في جيبوتي حضروا الى هنا لقضاء بضعة أيام في دريدوه هربًا من شدة حرارة الثغر المذكور . فاخذت أفتكر في درجة الحرارة في جيبوتي فاذا كان هنا الحر في هذه الشدة فكيف يجب ان يكون الطقس هناك حيث أوجب هروب السيدات الاوروبيات منها الى دريدوه التي وجدنا الحر فيها شديدًا

كنت علمت من ادارة البوسته في آديس آبابا ومن موسيو لاغارد سفير فرنسا بان باخرة من بواخر مساجري ماريتيم تصل الى جيبوتي آتية من ماداغسقار في صباح التاسع والعشرين من شهر حزيران (يونيو) وتبرح الثغر المذكور بعـد الظهر قاصدة السويس . لذلك كنا رتبنا خطة سيرنا على وجه ان نصل الى دريدوه يوم الاحد

ونقوم منها الى جيبوتي يوم الاثنين حيث نركب الباخرة منها يوم الثلاثاء وبهذا الحساب لا نكون قضينا في جيبوتي الا ليلة واحدة فقط . ولكن لما وصلنا الى دريدوه علمنا ان الباخرة ستصل الى جيبوتي يوم الاربعاء لا الثلاثاء فلزم ان نبقى هنا يومين لانه لا يوجد قطار يقوم يوم الاحد الى جيبوتي

وردت مساء البغال فوضعنا الاحمال في الاكياس والصناديق لانها لا لزوم لها بعد الآن . وبعد وصولنا بقليل ورد للسلام علينا آتو بيانا ابن آتومارشا حاكم المدينة وبعض الموظفين الاحباش وآتو جوزوف قنصل الحبشة في جيبوتي الموجود هنا لبعض أشغال تخص وظيفته ونعمان أفندي الخوري قنصل فرنسا في دريدوه . وكان نعمان أفندي هذا رفيقي في المدرسة قبل ٣٣ سنة في بيروت وما كنا رأينا بعضنا بعد ان خرجنا من المدرسة فجلسنا نقطع الوقت معاً ونذكر أيام الصبا والمدرسة. وقد استفدت كثيراً من معلوماته بالحبشة لانه مضى عليه بضع سنين وهو في دريدوه وهو رجل عالم عاقل ذكي لطيف المعشر يعرف أربع أو خمس لغات لا يمل مخاطبه من لذيذ صحبته وعنده هنا مكتبة نفيسة . وكانت زياراتنا لبعضنا من قبيل زيارة الصديق لصديقه خالية من كل تكلف وترسم . وقد دعانا للعشاء عنده في غد

يوم الاحد ٢٧ حزيران (يونيو) دريدوه

حضر اليوم آتو جوزف للنزل وسلم لكل واحد منا الرقيم (البراءة) المؤذن بانعام جلالة النجاشي علينا بالنياشين التي مر ذكر انعامها آنفاً فانتهزت فرصة وجود الاتو عندي وطلبت اليه أن يترجم لي الرقيم المشار اليه وجواز السفر المعطى لنا من قبل الامبراطور و بعض مكاتيب باللغة الحبشية وردت عليَّ بينما كنت في آديس آبابا وهاك ترجمتها :

ترجمة براءة الوسام :

ان النصر والظفر لأسد سبط يهوذا

من منليك الثاني ملك ملوك الحبشة بعون الله وعنايته الى كل من يقرأ هذه والى محبيه سلام . ان الملوك العظام ينعمون بالاوسمة لجنودهم الصادقين ولكل من يشتغل باحياء العلوم والدراية وكذلك نحن أيضاً نهدي أعظم وسام من أوسمة حكومتنا الى صديقنا صادق المؤيد باشا ياور الحضرة المعظمة السلطانية وأذنا له أن يعلقه وقت مايشاء

في ١٩ حزيران (يونيو) بعد عام النجاة ١٨٩٦

ترجمة الجواز :

ان النصر والظفر لأسد سبط يهوذا

من منليك الثاني ملك ملوك الحبشة : ان صادق المؤيد باشا وطالب بك ويس افندي سيعودون الى بلادهم فيجب أن لا يمسهم أحد بسوء بل ليحترموهم ويراعوا جانبهم

٢١ حزيران

ترجمة الكتاب الذي أرسله ناظر القصر الامبراطوري

الى أحمد افندي عبد القادر يصرح به للموما اليه بناءً على أمر النجاشي اضافتنا في منزله

ليصل الى الحاج عبد القادر افندي

كيف أنت يا أخي ؟ أما أنا فاني ولله الحمد بخير وعافيـة . عرضت البارحة على مسامع جلالة النجاشي التماسكم الخاص باضافة الوفد العثماني المحترم بمنزلكم . وحضرت مساءً لأبلغكم الجواب الذي تلقيته ولكني لم أجدكم وقد سر طلبكم هـذا من تلقاء نفسكم جلالة الامبراطور كثيرًا فأصدر أمره بقبول ملتمسكم ودعا لكم بالرضاء الالهي ومعونته الربانية

التوقيع

٨ حزيران ١٨٩٦ نقدراس هيلا جورجيس

وكنت تركت بطاقة زيارة لابنة الامبراطور عند ما زرت زوجها فتفضلت حضرة البرنسيس وأرسلت الي كتابًا هذه ترجمته :

من وزرو وللاتو كريمة الامبراطور منليك الثاني الى حضرة صادق المؤيد باشا الجنرال العثماني — :

كيف حالكم ؟ عسى أن تكونوا بخير ؟ أما نحن فانا له الحمد بخير . بُلّغت سلامكم كما انه وصلتني بطاقتكم وقد سرّني ذلك جدًا فلتكونوا في رعاية الله دائمًا وأنتم بخير وعافية . أرسلت لكم كتابي هذا مشفوعًا بتحياتي وسلامي

التوقيع

وزرو وللاتو

ترجمة الكتاب الوارد من افانفوس

من افانفوس نسيبو الى حضرة صادق باشا المؤيد العظم سفير جلالة السلطان عبد الحميد خان — :

كيف أنتم ؟ وكيف صحتكم ؟ هل أنتم بخير واذا تفضلتم بالسؤال عنا فاننا

والحمد لله بخير وعافية . أخذت بطاقتكم العزيزة . وقد أسفت جدا لعدم التمكن من مقابلتكم وقت تشريفكم منزلي لوجودي وقتئذ في الجنة (اسم القصر الامبراطوري الجاري تشييده في المحل المسمى هوللاتا) حسب أمر جلالة الامبراطور والامبراطورة بلغني خبر وصولكم الى آديس آبابا . وأؤمل مجيئكم الى القصر الجاري بناؤه هنا . واني مقصر بعدم ارسال كتاب اليكم للسؤال عن صحتكم والذي يكدرني أكثر من كل ذلك هو اني لم أتمكن من مقابلتكم ورؤيتكم فاذا كنتم حقيقة على وشك السفر أسأل الله أن ييسر لقاءنا بكم في وقت آخر

التوقيع

من الجنة ١٩ حزيران ١٨٩٦

افانفوس نسيبو

ترجمة الكتاب الوارد من وزرو دستا زوجة افانفوس

من وزرو دستا الى حضرة صديقنا العزيز صادق المؤيد باشا

كيف أنتم ؟ وكيف أحوالكم ؟ أما نحن فله الحمد بخير وعافية . ان الهدية التي تفضلتم بارسالها وصلت . واني لفي غاية السرور والامتنان لتفكركم بي قبل سفركم أسأل الله أن يجعلكم في حرزه وأمانه الصمداني

التوقيع

٢٠ حزيران ١٨٩٦

وزرو دستا

ويظهر من مقابلة التاريخ الحبشي بالتاريخ الافرنكي انه يوجد بينهما فرق ثماني سنوات . وقد كنت ذكرت ذلك في الفصل الخاص بالتقويم . وأما جملة (ان النصر والظفر لاسد سبط يهوذا) الموجودة في أول كل كتاب ملوكي فان أصلها مأخوذ من التوراة التي تشبه يهوذا أحد أولاد يعقوب عليه السلام وجد اليهود بالاسد وتلقبه بهذا اللقب . ولا يخفى أن يهوذا أبو داود وداود أبو سليمان عليهما السلام وسليمان هو جد العائلة المالكة الآن في الحبشة كما يدعي الاحباش . وكل من أولاد سيدنا يعقوب كان يصنع علماً لعائلته وقبيلته وينقش عليها صورة حيوان واذ كان يعقوب لقب ابنه يهوذا بالاسد لزم أن ترسم صورة أسد على علم يهوذا وهو شعار الاحباش

الى اليوم ينقشونه على دراهمهم وعلى أعلامهم . ومن هذا القبيل ما كان يرسمه بقية أولاد سيدنا يعقوب من العلامات المميزة على أعلامهم فكان شعار يوسف صورة جاموس وشعار بنيامين ذئب وشعار نفتالي غزال وشعار ايساخار حمار وشعار دان ثعبان وشعار روبن سمكة

سلمنا اليوم جميع أمتعتنا الى السكة الحديد وقطعنا تذاكر السفر وفي المساء حضرنا المأدبة التي أقامها حضرة نعمان خوري افندي قنصل فرنسا وقد كان أكثر المآكل في مأدبة نعمان افندي على الطراز العثماني من تركي أو سوري

يوم الاثنين ٢٨ حزيران (يونيو) السفر الى جيبوتي

بكرنا اليوم في القيام من النوم و بعد أن هيأنا أنفسنا للسفر أخذ خدمنا الحقائب الصغيرة وذهبنا الى محطة السكة الحديد . وقد حضر لوداعنا نعمان افندي الموما اليه وآتو جوزف وآتو مارشا وآتو بيانا وكثير غيرهم من الموظفين . وفي الساعة السادسة ونصف قام القطار وأخذنا نقطع الغيطان والوديان وكنا كلما وقفنا في محطة نجد كثيراً من الصوماليين واقفين للدعاء للحضرة السلطانية والسلام علينا . وفي احدى المحطات وصلني تلغراف من حضرات غالب اخوان من كبار التجار في جيبوتي وكان مر ذكرهم في الكلام على الثغر المذكور يهنئونني فيه بالاياب سالماً و يدعونني الى النزول ضيفاً عليهم

وقف القطار قليلاً في الحدود الفرنساوية لاخذ مأمور الحدود وزوجته الذاهبين الى جيبوتي . وفي محطة حمبولي وجدنا رئيس مهندسي السكة الحديد وموسيو لهقورتيق المفتش الاول وقد حضرا على قطار قام بصفة خصوصية لاستقبالنا . ولما وصلنا الى محطة جيبوتي وجدنا في استقبالنا من قبل الوالي الموسيو انتوان مدير أقلام محررات المستعمرة وقنصل الروسيا والموسيو مارشال الوكيل العمومي لشركة مساجري ماريتم وغالب اخوان والموسيو وبجيه صاحب فندق (ده زاركاد) وكثيراً من المستخدمين وغيرهم . و بعد أن سلمنا على المستقبلين مصافحة ذهبنا الى منزل غالب اخوان حيث دعينا للنزول فيه فلا تسل أيها القارئ عن مقدار ما رأيناه من الاكرام من غالب اخوان في منزلهم فبارك الله فيهم

وكانوا أعدوا لنا أسرَّة في غرف خصوصية لكننا لم نقدر على النوم فيها من شدة الحر الذي كان يبلغ في الليل الى درجة الاربعين فوق الصخر . لذلك خرجنا الى الشرفات الواسعة حيث قضينا الليل هناك على أسرة أقاموها لنا بصفة خصوصية . والناس هنا ينامون على سرر مصنوعة من التيل وليس عليها الا وسادة رأس فقط .

لان الانسان لا يستطيع أن يتحمل حرارة الفراش واللحاف فوق حرارة الجو الشديدة وينصبون السرير الى جهة هبوب الريح لاستقبال الهواء الطري فاذا انقطع الهواء من هذه الجهة أثناء الليل فان صاحب السرير يقوم ويوجه سريره الى الجهة التي أخذ الهواء يهب منها . وبعض الناس يهيئون على الشرفات بضعة أسرة حتى ينتقل عليها في الليل حسب اتجاه الارياح . قضينا الليل بنوم متقطع وشرب ماء كثير والعرق يتصبب في جباهنا وكنت كأني في حمام حار . ولما أصبح الصباح أسرعت فاغتسلت بالماء البارد الذي لم يكن فرق بينه وبين ماء الحمامات

يوم الثلاثاء ٢٩ حزيران (يونيو)

كنا منتظرين وصول باخرة شركة مساجري ماريتيم ولكن بعد السؤال علمنا انه ليس لدى مكتب شركة البواخر المذكورة علم بميعاد وصولها لان أسفار البواخر لم تكن انتظمت بعد من جراء الاعتصاب الذي حدث في مارسيليا قبل شهرين

ورد اليوم أكابر وأعيان المسلمين لزيارتنا . وأما الوالي موسيو بونهور فانه كان تعين في غيابنا واليًا على (مارتينيك) فتزاورنا مع وكيله موسيو دوبارى القائم بأعمال المستعمرة . وقد أدب الموما اليه لنا مأدبة رسمية في دار الحكومة . و بعد الظهر أخذت في رد الزيارة للذين أتوا لزيارتنا . ومن حسن الحظ انهم هنا لا يلبسون في هذا الموسم القمصان الافرنجية والملابس السوداء مثل (فراك) (سموكينج) اذ شدة الحرارة في هذه البلاد تغلبت نوعاً ما على المراسم والتكلفات . لذلك كنا مرتدين في زياراتنا بالاردية العسكرية البيضاء . والذين يلبسون هنا اللباس الافرنجي لا يلبسون سوى بانطلون رفيع وجاكت مثله وأحيانًا يلبسون القمصان الرفيعة جدًا ولا يلبسون شيئًا سواء ذلك

وقد كنت ذهبت لزيارة رجل من أكابر موظفي المستعمرة فوجدته لابسًا بانطالونًا وجاكتا مصنوعين من الشيت الرفيع وليس في رجليه جوارب بل محتذٍ بنعل (شبشب) فقط وهو عار الرأس وقد خجل مني جدًا لمقابلته لي بهذه الهيئة وأخذ يعتذر . والرجل يذهب لمحل وظيفته و يقوم بأداء مهام المستعمرة وأمورها وهو على هذه الهيئة واني أعذر الرجل وغيره ممن يسكنون هذه البلاد على تخفيف ملابسهم لشدة الحر الذي يفوق كل تصور . وقد زرت بعد ذلك بشاره افندي غالب والقنصل الروسي والموسيو مارشال وكيل ادارة مساجري ماريتيم . ولم أجد الموسيو

مارشال في منزله فاستقبلتنا قرينته أحسن استقبال وفي اثناء الكلام شكت مر الشكوى من شدة الحر وتأثيره عليها وقد رثيت لحالة هذه المسكينة مع ان المنزل القاطن به الموسيو شارل مشيد من قبل شركة مساجري ماريتم على أمتن وأحسن طريقة في فن المعمار وعلى طراز يمنع نفوذ الحرارة الى داخله . وكانت السيدة جالسة على مقعد (قاناپه) مرتدية بلباس خفيف مصنوع من القماش الابيض الرفيع وفوق رأسها مروحة من الجنس المسمى (برانقار) مربعة الاضلاع حجمها يزيد عن الاربعة أمتار يحركها الخدم بالحبال من خارج البهو . وكانت تذكرني الاستانة بتحسر وقد كانت سكنت فيها مدة ومناخها اللطيف والبوسفور ومناظرها البديعة وهواءه البليل المنعش للابدان . كنت تعرفت بمدام مارشال وزوجها قبل شهرين عند ما وصلت الى جيبوتي آتياً من الاستانة في المأدبة التي أقيمت لنا من قبل الوالي حيث كان محلي على المائدة في جانبها . وهذه السيدة على جانب عظيم من الذكاء واللطف وحسن المجاملة حسنة المعشر جداً مكرمة للضيف مهذبة تهذيباً جيداً . وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث حضر زوجها الموسيومارشال فجلس معنا فكان جل كلامنا دائراً على الحر هنا والطراوة في أوروبا خصوصاً في الاستانة والبوسفور . وبعد ان قضينا برهة من الزمن استأذنت بالانصراف على ان نتلاقي ثانياً في مادبة وكيل الوالي الرسمية هذا المساء

وكانت هذه المأدبة مثل سابقتها التي أقامها لنا الوالي السابق من حيث الزينة والترتيب والاكرام وقد كان الحر يلطف بالمراوح الكبيرة المعلقة بالسقف التي يحركها الخدم من الخارج وكانت فابريقة الثلج الصناعي أوقفت عمل الثلج منذ بضعة أيام لعطل طرأ على عدتها لذلك كان الاهالي مضطرين لشرب الماء الحار ولكن لحسن حظنا كان مدير السكة الحديد أهدى الى وكيل الوالي ما يكفي من الثلج في مأدبة هذا المساء لان لادارة السكة الحديد هنا معملاً صغيراً يصنع من الثلج ما يكفي لمستخدميها وموظفيها فقط . فلذلك كنت ترى المدعوين كلهم ألسنة تشكر مدير

السكة الحديد على هذه الهدية العظيمة . وفي الحقيقة ان الانسان لا يقدر ان يقيس قيمة الثلج في هـذه البلاد على أي شيء غيره . ولما شكرت المدير على هديته أجاب قائلاً بانه يرسل الي نهار غد بضع أقات من الثلج لوقت الغذاء فاظهرت شكري الجزيل وامتناني لهديته النفيسة وختمت المأدبة بخطبة ألفاها وكيل الوالي وشرب نخب الحضرة السلطانية وقد أجبته على ذلك بما يقتضيه المقام . قمنا عن المائدة وجلسنا مدة في الشرفات حيث شربنا القهوة المثلجة والسجائر ثم انصرف المدعوون الى منازلهم شاكرين وكيل الوالي على مأدبته البديعة النظام . علمنا اليوم انه ستصل بعد بضعة ساعات الى جيبوتي باخرة من بواخر شركة هاورثه بنسولير آتية من ماداغسقار وأنها ستقوم غداً قاصدة السويس فصممنا ان نسافر عليها وان تكن دون بواخر شركة مساجري ماريتيم انتظاماً ونظافة

يوم الاربعاء ٣٠ حزيران (يونيو) السفر الى السويس

قطعنا تذاكر السفر بواسطة غالب اخوان وأرسلنا جميع أمتعتنا الى الساحل . وبعد أن تناولنا طعام الغداء ودعنا وكيل الوالي ذهبنا الى الباخرة وكانت الساعة وقتئذ الثانية بعد الظهر على الحساب الافرنجي . فلم نشأ النزول الى الغرف (القمارات) من شدة الحر بل ظلينا على ظهر الباخرة التي كان بها بضعة ركاب آتون من الجنوب وكلهم لابسون أردية خفيفة جدًا من غير جوارب عراة الرؤس . وكان ربان الباخرة رجل خدم بالجيش الفرنسوي في الهند الصينية يحب الجندية حبًا عظيماً . فكان دائماً يعاملني معاملة عسكرية ويخاطبني بقوله (مون جنرال) أي (أيها القائد) فكنت أرى اللطف والرقة والنشاط ومعاملة الضيف بالاكرام الخاصين بالبحارة الفرنسويين تجسمت كلها في هذا الرجل الجميل المعشر . ولما رأى الربان ان الحر يمنعنا من النزول الى غرفة الطعام فضلاً عن الاكل فيها أمر فأقيم لنا محل مخصوص حجز بالسجف (اتندات) وزين بصفة خصوصية وجهز بكل ما يلزم للاقامة والنوم فيها وأقيمت لنا مائدة على الظهر أيضاً نأكل عليها . وقد خصص لي غرفة النوبتجي الموجودة في أعلى الباخرة للمطالعة والاستراحة بها نهارًا . وهذه الغرفة بسبب علوها لم تكن تخلو من الهواء الطري نسبته للغرف الاخرى

بقي غالب اخوان في الباخرة حتى قرب سفرها وفي الساعة الرابعة افرنجي أقلعت الباخرة قاصدة السويس . كنا لما سافرنا من الاستانة توجهنا الى مرسيليا حتى نجعل سفرنا منها على احدى بواخر مساجري ماريتيم ولكن لم يتم لنا ذلك للاسباب التي سردتها فيما سبق كذلك كانت حالتنا في الاوبة فاننا كنا عزمنا أن نقوم من جيبوتي على

احدى بواخر مساجري المذكورة وأسرعنا بالوصول الى جيبوتي بقصد أن ندرك الباخرة قبل سفرها ومع ذلك فانه لم يتم لنا ذلك :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ان المسافة الموجودة بيننا وبين السويس طويلة فيجب أن نقضي بعض الوقت في سرد الوقائع الحربية التي حدثت بين الاحباش والطليان :

الوقوعات الحربية بين الطليان والحبشة

احتلال مصوع

أرادت الحكومة الايطالية أن تستعمر احدى المقاطعات الواسعة في افريقيا وتجعلها باباً للولوج الى داخل هذه القارة العظيمة كما تفعل دول أوربا في الاستعمار فانتهزت فرصة اشتغال الاحباش مع الدراويش واحتلت مصوع . وقد استصوب الانكليز الذين كانوا يعلمون أن مصوع وحواليها لا تصلح لسكن الاوروبي ولا للاستعمار عمل الطليانيين هذا بل ونشطوهم على ذلك . وكان لا بد للطليان من سبب وحجة للقيام بهذا العمل واخراجه من القوة الى الفعل . لذلك انتهز الطليان فرصة قتل كوستاف بيانشي الطلياني ورفاقه سنة ١٨٨٥ في دانغالي في نفس المحل الذي قتل فيه غاليه ني ورفاقه سنة ١٨٨٤ وكان وقتئذ الرأي العام في ايطاليا متجهاً لهذا الاحتلال ومستحسناً له فبناء على ذلك أرسلت ايطاليا فرقة من جنودها واحتلت ثغر مصوع في اليوم الرابع من شهر شباط (فبراير) سنة ١٨٨٥ وانتشرت الجنود الايطالية في أراضي سمهره وأرشيكو ومونقوللو وساتي وكلها تابعة للحكومة الحبشية . وأخذت من ثم الجنود الايطالية تتقدم شيئاً فشيئاً الى شمال مصوع وجنوبها وغربها حتى استولت على كل مقاطعة اريتره وجعلها الطليان مستعمرة لهم وألفوا فرقة من الجنود المتطوعة الوطنيين بالاجرة . فلما رأى ذلك الامبراطور يوحانس نجاشي الحبشة حينئذ أراد أن يوقف تقدم الايطاليين عند حد معلوم فأرسل رأس الولا ومعه خمسة آلاف جندي

لارجاع الطليان الى الساحل . و بلغ هذا الخبر الطليان فأخذوا يحصنون (ساتي) للدفاع عنها عند اللزوم

واقعة دوغالي في ٢٦ كانون ثاني (يناير) ١٨٨٧

كان تابور مؤلفاً من خمسمائة جندي طلياني ومعه كثير من الزاد والذخائر قاصداً (ساتي) تحت قيادة القائمقام خر يستوفو ريدي . فصادف في طريقه تابوراً من جنود رأس الولا فاشتبك القتال بينهما في محل يسمى (دوغالي) يبعد ١٠ كيلو مترات عن ساتي . وقد دافع الطليان دفاع الابطال ولكن هذا الدفاع لم يدفع عنهم القضاء المبرم فانهزمت الجنود الطليانية الا انه لم ينج منها ولا واحد ووقعت جميع أسلحتهم وذخائرهم غنيمة بيد الاحباش

وكان وقتئذ في (ساتي) المذكورة تابور آخر مؤلفاً من خمسمائة جندي تحت قيادة البيكباشي (بوره تي) الذي كان واقفاً على وقت سفر خر يستوفو ريدي بجنوده التي أبادها الاحباش فلما استبطأ وصوله الى (ساتي) أرسل في الحال من يستطلع أخباره فرجع هؤلاء المستكشفون وأخبروه بنكبة التابور وما حصل بينه و بين الاحباش الذين كانوا عسكروا في سفوح الجبل الكائن أمام (ساتي) فعلم البيكباشي بوره تي أن الاحباش سيهاجمون (ساتي) في اليوم التالي لذلك أخذ يتأهب للتقهقر الى مصوع في جنح الظلام من غير أن يشعر الاحباش بذلك وتوقف للخروج من ساتي ليلاً ولم يأخذ الجند معهم سوى الخرطوش الموجود وأسلحتهم وتركوا ما عدا ذلك من الذخائر والمهمات وغيرها . ولما أصبح الصباح وهاجم الاحباش المدينة وجدوها خالية خاوية على عروشها فاغتنموا ما تركه الطليان من الزاد والذخائر الحربية

نكبة الموسيو سالمبه ني ورفاقه

كان ورد الى مصوع سنة ١٨٨٦ وفد ايطالي تحت رئاسة الكونت سالمبه ني . ومهمة هذا الوفد هي الذهاب الى شوا حيث يقيم الامبراطور يوحانس عن طريق

اسمرا وادووا وماقالله وأونتالو بحجة القيام بعمل رسم قنطرة (كوبريـ) نهر مارب المزمع تشييده والتحق بهـذا الوفد أيضاً شخص طلياني يسمى قونت سافوارو وهو ضابط برتبة ملازم في الجيش الطلياني أتى مصوع لرؤية رفاقه الضباط الموجودين في هاته البلاد فرافق ساليمبه ني الموما اليه الذي بعد ان تجول مدة هو ورجال وفده في جهات مونغوللو بقصد الصيد سار قاصداً ساتى المار ذكرها . وكان خرج معهم من مصوع ضابط آخر برتبة بيكباشى يسمى بيانو ومعه ابنه البالغ عشرين من العمر ارتياحاً الى ان الوفد سلمي واعتبر سفره معه كنزهة جميـلة . وكان عدد رجال الوفد أربعة أشخاص

كان الوفد يتصيد في النهار اثناء سيره ويلجأ في الليل الى منازل الوطنيين حيث ينزل عليهم ضيفاً . ولما وصل الكونت ساليمبه ني ورجاله الى معسكر راس الولا أبقاهم هذا القائد الحبشي عنده بضعة أيام بحجة انه يوجد في الطريق كثير من الاشقياء قطاع الطرق . ولما عاد رجال الوفد من الصيد مساء يوم حدوث الواقعة رأوا من رأس الولا اكراماً زائداً وجلسوا على المائدة وبعـد ان فرغوا من الطعام تقدم بعض رجال من الاحباش بناء على اشارة الرأس ووضعوا السلاسل والاغلال في أعناق رجال الوفـد وفي أيديهم وأرجلهم وأبلغوهم بأنهم أسرى عند الرأس وسجنوا كل واحد منهم على حدة في كوخ وحده . وأراد راس الولا أن يعدمهم الحياة ولكن بناءً على توسط كريمته التي كان يحبها جداً والتي كانت رثت لحال الضابط الملازم الطلياني وتمكنت بذلك من تخليص حياتهم فقط . وبعـد شهرين توفق الملازم سافوارو الموما اليـه للاستحصال على تصريح بالذهاب الى مونغوللو بقصـد ارسال كتاب الى والدته في ايطاليا ليعرفها محل وجوده ويطمنها على حياته على شرط ان يرجع فذهب وعاد الى أسر رأس الولا تنفيذاً لما أعطاه من القول والقسم على شرفه

طلبت الحكومة الطليانية من الحبشة اعادة هؤلاء الاسرى فأجاب رأس الولا لذلك على شرط أن تعيد الحكومة الايطالية خمسة من الاحباش موجودين في أسر

الجيش الطلياني . وعلى ذلك أخلى القائد الطلياني سبيل أربعة من الخمسة أسرى واستبقى الواحد عنده لانه كان قبل تابعية ايطاليا فلا يجوز سياسةً والحالة هذه اعادته الى حكومته السابقة . ولما علم رأس الولا بذلك أحضر الاسرى الطليانين لعنده وقال لهم انه يوجد الى الآن رجل حبشي في أسر ايطاليا لذلك يريد أن يبقي أحدهم نظير هذا الرجل ويخلي سبيل الآخرين وعليهم ان ينتخبوا هذا الاسير الذي سيبقى هنا حتى يفرج عن الحبشي وسمح لهم بمقابلة بعضهم والمذاكرة في هذه المسئلة

ولما اختلى هؤلاء الطليانيون مع بعضهم للمداولة في انتخاب واحد منهم للبقاء هنا اقترح الكونت ساليمبه ني أن يرجعوا الى الاقتراع ولكن الملازم سافوارو لم يوافق على ذلك وقال ان الكونت ساليمبه ني رجل عجوز فلا يليق أن يبقى هنا أسيرًا واذا وقعت القرعة باسم البيكباشى أو ابنه فانهما سيضطران للافتراق عن بعضهما وهذا أيضًا مما لا يجوز بالنظر لسن الغلام فلا أرى من يبقى هنا الا أنا لاني في مقتبل الشباب بعد كما اني أعزب يسهل عليَّ البقاء في الاسر . واقنع الملازم رفاقه بوجوب ذهابهم و بقائه هناك . و بناءً على هذا القرار أخلي في اليوم الثاني سبيل الكونت ساليمبه ني والبكباشى وابنه . وأراد عم الملازم سافوارو ان يفدي ابن أخيه بمليون فرنك يرسله الى رأس الولا ولكن الحكومة الطليانية لم توافق على ذلك خوفًا من ان تصير عادة سيئة في المستقبل . وكان حراس الملازم يعاملونه بقسوة وعنف . وكانت كريمة رأس الولا تحضر في بعض الاحيان خفية الى سجن الملازم وتحضر له معها بعض المأكولات وتسليه في سجنه وأسره هذا

وكان هذا الاسير المسكين يؤخذ الى ساحة هناك ليعدم رميًا بالرصاص فيوقفونه امام الجنود التي تصوب بنادقها عليه وتبقى مدة هكذا ثم تعود راجعة أدراجها من غير ان تطلقها عليه ثم يرجعون الملازم الى سجنه بحجة ان الرأس عفى عنه الآن من الاعدام . ولما طال هذا التعذيب قال الملازم يومًا الى سجانه (اذهب لسيدك الرأس وقل له اني لست في احتياج لعفوه عني فليعجل باعدامي) فأجابه السجان قائلاً (ان

عمل الرأس هذا متأت عن رغبته في تجربتك عما اذا كنت جباناً أو شجاعاً . انك تجهل ان الرأس رجل شفوق رحيم ولا يوجد قائد آخر مثله . فهل يمكن والحالة هذه ان يأمر بقتل واحد مثلك فاذا كان لا بد من معاقبتك ربما يأمر بقطع يدك اليمنى ورجلك اليسرى فقط . لان قائدنا رجل رحيم بالناس جداً كما قلته لك)

وبقي هذا التعيس في قيد الاسر مدة تسعة شهور ولم تقدر السياسة الطليانية على تخليصه ولما رأى ذلك أحد رهبان العاذاريين الفرنسويين المقيم في الحبشة توسط لدى رأس الولا في اخلاء سبيل الملازم الموما اليه نظير مبلغ يدفع الى رأس الولا واتفقا على ان يكون المبلغ مائة الف فرنك وخابر الراهب أهل الملازم سافوارو وأقرباءه فأرسلوا في الحال هذا المبلغ وبعد ذلك أخلى سبيل الاسير

احتلال أريتره

نزلت حملة عسكرية طليانية مؤلفة من عشرين الف جندي تحت قيادة الجنرال سانمارزانو الى مصوع في اليوم الثامن من تشرين ثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٧ وكانت هذه الحملة تتألف من أربعة ألوية قوادها الجنرالات (جه نه) و (لانزا) و (غانى) و (بالديسه را)

وكانت ايطاليا علمت ان محاربة الحبشة ليست بالامر الهين فطلبت الى انكلترا أن ترسل من قبلها وفداً الى الامبراطور يوحانس للتوصل الى تسوية الخلاف بين ايطاليا والحبشة بطريقة سلمية من غير سفك الدم وأجابت انكلترا طلب ايطاليا هذا وأرسلت من قبلها من يعرض ذلك على يوحانس . لذلك صدر الامر الى الجنرال سانمارزانو بأن يلزم جانب السكون الى ان يرجع من أرسل من قبل انكلترا الى الحبشة وتعرف نتيجة مساعيه . ولما عاد مندوب انكلترا من غير أن يتوفق لحل مرضٍ صدرت الاوامر الى الجنرال سانمارزانو باجراء الحركات الحربية حسبما يرى فقامت الجنود الطليانية من مونغوللو الكائنة قرب مصوع وسارت الى الامام فضبطت النقط

المهمة على طريقها ثم استولت ثانيًا على ساتى وحصنتها للمدافعة عنها كما انها باشرت في مد خط حديدي من مصوع الى ساتى

أما الاحباش الذين كانوا انسحبوا بعد واقعة دوغالى الى المحلات العالية فقد عادوا هذه المرة تحت قيادة يوحانس بالذات ونزلوا عن طريق غنيدا وصابر غورما وعسكروا في سهول صابر غورما وفرقوا طلائعهم الامامية حتى هضاب (ديفديفنا) الكائنة على بعد بضعة كيلو مترات من ساتى . وأخذ رأس الولا يحرض الامبراطور يوحانس على مهاجمة المعسكر الطلياني ولكن الامبراطور أبى أن يصغى لكلام الرأس فأحجم عن مهاجمة الجيش الطلياني لانه خاف من مدافع الطليان و بالوناتهم والصواريخ الليلية وعلى الاخص من الانوار الكهربائية في الليل حتى انه قال مرة لرأس الولا (نعم ان الهجوم على العدو ليس بشيء يذكر عندنا ولكن هؤلاء الناس أهل الجلد الابيض لهم مقدرة عجيبة حتى على توليد الشموس في الليل ولهم آلات وأدوات شيطانية مما تدهشنا وتحير عقولنا) ثم تربص مدة في محله دون أن يتحرك الى الامام أو الى الوراء. و بعد قليل تفشت الاوبئة مثل الطاعون والحمى التيفودية بين الجنود الحبشية وأخذ الجوع ينتاب الجيش والامراض الفتاكة تقتل المواشي والحيوانات كل هذا ألجأ يوحانس لسحب جيشه الى الداخل وترك الجيش الطلياني وشأنه. أما الجنرال سانمارزانو فلم يشأ ان يتعقب الجيش الحبشي فرجع مع قسم من جيشه الى ايطاليا و بقي القسم الآخر في جوار مصوع

وفي نيسان (ابريل) من عام ١٨٨٨ تعين الجنرال بالديسه را قائداً على القوى الطليانية الموجودة في هذه الاصقاع . و بعد سنة أي في عام ١٨٨٩ قتل يوحانس في الحرب مع الدراويش في القلابات كما مر ذكره آنفًا ولما تولى منليك بدلاً عنه ملك الحبشة ثار عليه أهل مقاطعة ينغرى بحجة أحقية رأس منغاشا ابن يوحانس الذي كان أميرًا على المقاطعة المذكورة بالعرش الامبراطوري فلما رأى ذلك منليك طلب الى القائد الطلياني ان يحتل اسمرا بجنوده الطليانية ليتمكن من رغم الينغريين على الرجوع الى طاعته

وكانت في هذا الاثناء المداولات والمذاكرات جارية بين ايطاليا والحبشة بشأن تحديد الحدود والعلاقات بين الحكومتين وجعلت الحد الفاصل بينهما اسمرا وعقدت عهدة أوقسياللي في ٢ مايس (مايو) من عام ١٨٨٩ بين منليك والكونت انتونللي وقد ذكرت هذه العهدة في الفصل الخامس بالامبراطورة تيتو زوجة منليك

أما الجنرال بالديسه را الذي كان نشيطاً وفي مقتبل العمر فقد تمكن من فتح مدينة (كره ن) الكائنة في مقاطعة بوغوس وأخذها من محافظها بالمبراس نحافل من غير مدافعة عنها . وفي هذه المدينة استحكامات جميلة قوية كان أقامها المصريون لما كانت المدينة في أيديهم وفيها ثلاثة آلاف نسمة من المسلمين . وطقس (كره ن) هذه جيد جداً وماؤها عذب

وبعد ضبط (كره ن) قام الجنرال الموما اليه بالجنود الطليانية المنظمة وبالمتطوعة غير المنظمة من الوطنيين من غيندا قاصداً اسمرا فكان كلما اقترب منها الجنرال ينسحب أمامه الاحباش حتى اذا وصل الى اسمرا في اليوم الثالث من شهر اغستوس (أغسطس) من السنة المذكورة وجد رأس الولا انسحب الى (غودوفه لاس) ومنها الى (آدووا)

بينما كانت هذه الحوادث تجري هنا كان منليك أرسل رأس ما كونن الى ايطاليا موفداً من قبله ليوقع على ذيل العهدة التي اتفق عليها الموسيو فريسي رئيس الوزارة الطليانية والرأس ما كونن وألحقت بعهدة أوقسياللي فوقع المندوبان في أول تشرين أول (اكتوبر) وأبلغت للدول في الحادي عشر منه

وفي أواخر هذه السنة أعيد الجنرال بالديسه را الى ايطاليا وعين الجنرال أوره رو بدلاً عنه لقيادة الجنود الطليانية هنا ولما وصل القائد الجديد جهز حملة مؤلفة من تابورين أحدهما من العساكر الطليانية والثاني من الوطنيين وكوكبة فرسان وبضعة بطاريات من المدافع وأرسلها الى مقاطعة همازن الغنية جداً لتنفيذ عهدة أوقسياللي ولنشر نفوذ وحكم ايطاليا على المقاطعة المذكورة . وقد علم قائد هذه الحملة بواسطة

بعض الذين أرسلهم الى الامام للاكتشاف ان الجنود الاحباش انسحبوا الى ماوراء ما كالله

بسبب ما طرأ على البلاد من الضعف من جراء المحاربات ومن الاوبئة التي تسلطت على المواشي والحيوانات فأماتت معظمها و بسبب الفقر الناشئ عن الضرائب الفادحة التي كان يضربها الرؤوس على الاهالي ليتمكنوا من القيام بشؤون الجندية واطعام العسكر مال الاهالي الى مسالمة الطليان فكان حتى كبار الاحباش يقدمون الطاعة للجندي الطلياني أينما حل . وأخذ الجنرال أوروه يعين الموظفين والمستخدمين للبلاد التي تقدم الطاعة وتوسع في فتح البلاد حتى وصل الى بلاد مارب و بلزومونا . فلما رأى منليك هذا التوسع أرسل في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارث (مارس) عام ١٨٩٠ احتجاجاً الى ايطاليا ضد هذا العمل وأبلغها بانه لا يرضى بهذا العمل البتة ومن ثم أخذت تجري المذاكرات السياسية بهذا الخصوص ولكنها لم تأت بنتيجة ما

و بعد ذلك بثلاثة شهور فصل الجنرال أوره‌رو من وظيفته وجاء بدلاً عنه الجنرال غاندولفي بوظيفة والي مستعمرة اريتره وقائد الجنود فيهـا . وفي هذه الاثناء ثار على الطليان أحد أمراء الحبشة المدعو بالمبراس ايلما أمير مقاطعة دونبلاسي وكان خضع لنفوذ ايطاليا ثم أخذ في محاربتهم . وفي الواقعة الثالثة التي حصلت بينه و بين الطليان انهزم الامير المومأ اليه ووقع هو ورجاله أسرى بين يدي الجنود الطليانية . وفي هذه السنة نفسها حصلت واقعة بين الدراويش والطليان كانت نتيجتها توسيع الاراضي التي كانت تحت حكم الطليان ولضبط أراضي (أغوداست) ولما وصل توسع ايطاليا بالاستعمار لهذا الحد قام منليك وأرسل احتجاجاً آخر في ٢٨ أيلول (ستمبر) من السنة المذكورة ضد عهدة أوقسيالي وأعاد عدم رضائه عن أن تكون الحدود مما يلي مارب و باله وومونا . وفي هذه الآونة أقام الطليان جنوداً منظمة تؤخذ بالاجرة بدلاً من الجنود المتطوعة غير المنظمة ومرنوها على الاصول العسكرية الغربية وانتفعوا من ذلك بنتائج حسنة جداً

وكان رأس منغاشيا الذي لم يقدر على تبوء عرش والده يوحانس أخذ يترقب الفرص لابدال لقب رأس بلقب نفوس (أي ملك)

وأما الطليانيون فانهم اتخذوا في اريتره خطتين سياسيتين الاولى سياسة شووا ومنليك والثانية سياسة تغري ورأس منغاشيا فكانوا يبحثون عن الطرق التي توصلهم الى الاستفادة من التفرق والمزاحمة الواقعين بين هاتين المقاطعتين . ولما وصلهم احتجاج منليك اتجهوا نحو رأس منغاشيا وأرادوا أن يأخذوه لجهتهم و يتفقوا معه و بنيت عهدة مارب على هذا الاساس

عهدة مارب الشفهية

أرسل الجنرال غاندولفي حاكم مستعمرة اريتره وقائد حاميتها كوكبة من الجنود تحت قيادة ضابطين برتبة يوزباشي وآخر برتبة ملازم الى ادووا مقر حكومة رأس منغاشيا ليقابلوه و يتذاكروا معه في مسألة مقابلة الجنرال الحاكم مع الرأس الموما اليه و يقرروا الترتيبات اللازمة لذلك . و بعد أن اتفق الطرفان على هاته المقابلة وتم ترتيب ما يلزم لذلك سافر الجنرال بصفة رسمية في أواخر شهر تشرين ثاني (نوفمبر) ومعه أورطة مشاة من الجنود الوطنيين وفصيلة من الجنود الايطالية و بطارية مدافع وكوكبة فرسان قاصداً نهر مارب الواقع قرب (آدي غولا) حيث تقرر أن يتقابل القائدان الطلياني والحبشي . وكان رأس منغاشيا ورأس الولا عسكرا في ساحل النهر المذكور من الجهة الاخرى ومعهما ثلاثة آلاف جندي فوصل الجنرال غاندولفي وقضى هناك مع الاحباش يومين وهم يشتغلون باعداد ما يلزم للعهدة وفي اليوم الثالث أقسم الطرفان على الانجيل أمام الجنود الايطالية وقسيسها والقواد والقسيس الحبشي الذي أحضروه بصفة خصوصية من اقسوم بأن الطرفين يكونون أصدقاء على الدوام وتعاهدوا على ذلك شفهياً وأعطى كل من الطرفين للآخر العهد والميثاق الاكيدين بالتمسك فيما اتفقوا عليه . وهذه صفة قسم الجنرال الايطالي :

(أقسم بأني سأكون دائماً صديقاً لرأس منغاشا واني سأعتبر عدوّه عدوًّا لي وصديقه صديقاً لي . واني سأمد يد المعونة والمساعدة له في كل وقت وزمان) . وقد طلب رأس الولا من الجنرال قسماً آخر لاجله لانه كان عالماً بأن الطليان لا ينسون قط هزيمة دوغالي فلا بد من أن يقوموا يوماً للاخذ بالثار منه . وعلى ذلك حلف الجنرال ثانياً قائلا (أقسم بأني أعتبر رأس الولا صديقاً لنا ولا آتي شيئاً للايقاع به) وكذلك أقسم رأس منغاشا ورأس الولا . و بعد أن تمت هذه الحفلة وجه الرأس منغاشا على الجنرال غاندولفي وعلى القائمقام نافه لقب دازجماج كما انه أنعم على سائر رجال الجيش الطلياني بوسام خاتم سليمان من رتب مختلفة وعلقها بيده في صدورهم كما ان الجنرال سلم الهدايا المرسلة من قبل حكومته الى رؤس والى القواد ورجالهما . يقول أهل أوربا في أمثالهم (ان عهود العشق تكتب على صفحات الورد الرقيقة فأول هزة من الريح تبيدها وتمحوها) وأقول ما أصدق هذا المثل على هذه الاقسام والمواثيق لان الحوادث التالية لها أظهرت انه لم يكن لكل هاته المواثيق أدنى أهمية واعتبار

سبب اعلان الاحكام العرفية في همازن

كان شاب من أبناء الاعيان من الاحباش ومن أقرباء رأس منغاشا المسمى اسماسق آبارّرا دخل في مدرسة الرهبان الطليانيين ودرس هناك وتخرج عليها بعد أن أتقن اللغة الطليانية . و بعد خروجه من المدرسة دخل في الجندية الطليانية ودرس هناك أحوال وعادات الطليانيين وأطوارهم و بعد أن أحرز رتبة ضابط فر يوماً مع من كان تحت امرته من الجنود الوطنيين المسلمين واتفق مع الفيتوراري غايرو الذي كان خدم أيضاً في الجيش الطلياني مدة واخيه فيتوراري رايته ساي وثاروا ضد الطليان مع كثير من الاحباش الذين انضموا اليهم . وكان في تلك الآونة أي ١٥ مارس ١٨٩٢ أحد ضباط الطليان وهو اليوزباشي باتيني آتياً من مولاي ستايا الى اسمرا ومعه ستة

من جنوده فخرج رجال اسماسق الموما اليه ورفاقه عليهم وقتلوا اليوزباشي ومن معه من الجنود

وأرسل الجنرال غاندولفي في ١٧ مارس حملة مؤلفة من فصيلتين للقبض على آباررا ورفاقه ولكن هؤلاء التجأوا الى قمم الجبال الوعرة التي يصعب الصعود اليها فلم تتوفق الحملة الى القبض عليهم . وفي أواخر نيسان صادفت فصيلة اليوزباشي ورده للي اسماسق آباررا الموما اليه فأصلته نار الحرب . ومع ذلك نجا آررا من يد الفصيلة وسار هذه المرة قاصداً مقاطعة تيغرى . وأراد رأس منغاشا أن لا يقبل آباررا ولكنه عدل عن ذلك بناء على اصرار والدته وعقب أعمال آباررا هذا ظهر بعض أمور وأحوال تدل على الثورة والعصيان في جهات همازن فاضطر الجنرال أن يعلن الاحكام العرفية في تلك البلاد وألف في كل مدينة من مدن المقاطعة المذكورة مجلساً حربياً مؤلفاً من ثلاثة ضباط فأخذوا يعاقبون كل من يقع بايديهم من الاشقياء والثوار المسلمين ويحكمون عليهم بالاعدام وينفذون الحكم في الحال حتى أوقفوا حدوث الثورة في اريتره موقتاً ولكن هذه الشدة التي اتخذها الطليان ضد الثائرين الوطنيين كانت سبباً لأضرار عظيمة لحقت بالطليانيين كما سيأتي ذكره فيما بعد

اعلان فسخ عهدة اوقسياللي

مضى ثلاث سنوات على احتجاج منليك ضد اتخاذ الطليان جهات مارب وبلز حداً فاصلاً بينهم وبين الحبشة ولم يعر الطليان أدنى التفات الى احتجاج الامبراطور واستمروا في اعتبار البلاد المذكورة منتهى الحد لمستعمرتهم مما ألجأ منليك الى اعلان فسخ عهدة أوقسياللي في اليوم الحادي عشر من مايس (مايو) سنة ١٨٩٣ وان أحكام العهدة المذكورة أضحت لاغية اعتباراً من اليوم المذكور . وأما الطليان فانهم لم يهتموا بذلك الاعلان واستمروا في خطتهم . وقد أظهرت الحوادث التالية ان الاحباش في هذه المدة كلها لم يكونوا نائمين بل انهم كانوا يشتغلون ويجدون

سرًّا في احضار وتجهيز ما يلزم للعمل لاسماع كلمتهم

واقعة حالايا مع باثا آغوس

كان المدعو دازجماج باثا اغوس أمير مقاطعة أوقوله قواس الكائنة في اريتره حارب رأس منغاشيا ثم رأس الولا قبل احتلال الطليان لمستعمرة اريترا فانهزم امامهما وضبطت أملاكه ولما أتى الطليان واحتلوا تلك الجهات أظهر الطاعة والخضوع لهم وطلب اليهم أن يردوا له مقاطعته فأجابه الطليان الى طلبه وأرفقوه بألف ومائتي جندي من الوطنيين تحت قيادة ضباط ايطاليين وأعادوا له المقاطعة المذكورة وخصصوا له ما يكفي من الراتب

وكان وقتئذٍ رأس منغاشيا بن يوحانس المقتول في واقعة القلابات مع الدراويش يظهر الود والميل للطليان ويقول لهم انه سيجهز حملة ضد الدراويش ويساعد بها الطليان للأخذ بثار أبيه ويخابر من جهة أخرى سرًّا باثا آغوس . وقد أخبر الطليان ببعض أحوال هذا الرجل فأرسل القائد سرًّا يسأل من الملازم سانغينتي المأمور بمرافقته في ساغانيتي فأجاب الملازم بأنه لا يشتبه في أحوال اثا آغوس . وفي ١٥ كانون أول (دسمبر) ١٨٩٤ انقطعت المخابرات البرقية فجأة مع ساغانيتي حاضرة مقاطعة (أوقوله قواسي) فحمل الطليان ذلك على سبب عارضي خارجي ولكن لم يمض الا القليل حتى ظهر ان باثا آغوس استمال اليه الجنود الوطنيين الموجودين تحت أمرة الملازم الطلياني سانغينتي وقبض على هذا الضابط وسجنه مع ثلاثة من مستخدمي التلغراف و بعض الجنود الطليان . وعلى ذلك أصدر الجنرال باراتيه ري الذي كان في (كره ن) أمره الى البيكباشي توسللي الموجود مع أورطته في اسمرا أن يذهب لى ساغاناتي بأورطته . وقد ظهر ظهور الشمس من ارسال باثا آغوس في اليوم التالي سجناءه الطليان الى معسكر رأس منغاشيا ان الاتحاد بين هؤلاء الاحباش كان تامًا للقيام بعمل ثورة منظمة ضد الطليان. وهذا يدل على ان العدوّ لا يكون يومًا ما صديقًا

أما البيكباشي توسللي فانه قام من اسمرا في الخامس عشر من الشهر ووصل في السادس عشر منه الى قرية مهاربة الكائنة امام ساغاناتي . وأخذ من جهة يراسل النقطة العسكرية الموجودة في حالابا الكائنة على بعد ١٨ كيلو مترًا من ساغاناتي منتظرًا ورود المدد الذي طلبه منها ومن جهة أخرى أرسل الى باثا آغوس يطلب منه اخلاء سبيل الطليانيين المسجونين عنده . فأجاب باثا آغوس على طلب البيكباشي بالمماطلة لان السجناء كانوا أرسلوا الى معسكر رأس منغاشا . وفي الليلة السابعة عشرة زحف باثا آغوس على (حالابا) بقصد الاستيلاء على استحكاماتها وقتل الحامية الموجودة فيها ليتمكن بذلك من فتح الطريق لرأس منغاشا الى قلب المستعمرة الطليانية. وفي اليوم الثامن عشر هاجم البيكباشي توسللي ساغاناتي ولما دخلها علم انها خالية منذ البارحة من جنود باثا آغوس

فعلم البيكباشي وجهته باثا آغوس وانه سار الى (حالابا) فزحف عليها بسرعة دون أن يخبر أحدًا بذلك حتى يتمكن من تخليص الحامية الطليانية القليلة العدد فيها من بطش باثا آغوس . وأما هذا فانه وصل الى حالابا ومعه ١٩٠٠ رجل من حملة البنادق وحين وصوله أرسل يبلغ اليوزباشي كاستللازي قائد الحامية في (حالابا) ان يترك المحل و ينسحب الى حيث يشاء سالمًا . وأراد اليوزباشي ان يطيل حبل المخابرة مع باثا آغوس ليغنم الوقت ولكن باثا آغوس فهم قصده وعلم هذه المرة قيمة الوقت فلم يشأ ان يضيع فرصة فتح الطريق لسكان (اسوارتي) الذين ينتظرون وصوله لينضموا اليه . لذلك هاجم المحل المذكور وأوشك ان يظفر بالطليان لو لم يصل توسللي مع أورطته وتتغير الحالة بانتصار الطليان على باثا آغوس وأصابته رصاصة أوردته حتفه وأما جنود الاحباش فانهم ارتدوا الى الاعقاب واختفى أحد أبناء باثا آغوس مع بعض جنود أبيه في الجبال ولحق ابنه الآخر مع بقية الجنود بمعسكر رأس منغاشا . ولما بلغ انتصار الطليانيين هذا مسامع حراس الملازم سانينغتي ورفاقه الذاهبين الى معسكر رأس منغاشا أعادوهم الى ساغاناتي على شرط ان لا ينال هؤلاء الحراس سوء

واقعة قواتيت

كان رأس منغاشا يهنئ الطليان بانتصارهم في (حالابا) بلسان ظاهره الصدق وباطنه الرياء واضمار الشر لهم لانه بينما كان يظهر لهم أشد الاشياء من أعمال باثا اغوس وتقبيح سيره كان يشتغل من جهة أخرى باعداد المعدات لمهاجمة الجيش الطلياني . والسبب في ذلك ان رأس منغاشا لما رأى انه لم يتوصل الى بغيته مع تقديم الطاعة والخضوع للطليان ذهب الى انتوتو حيث يقيم منليك فصالحه وقدم له الخضوع ليحفظ لنفسه ملك تيغرى على الاقل وقد كان كلم منليك قبل عهدة مارب في شأن العنوان الملكي فأجابه منليك قائلاً (لاجل أن تكون أميرًا أو ملكاً يجب أن يكون لك حكومة فأين حكومتك وملكك الذي ورثته عن أجدادك لاقيمك أميرًا وحاكماً عليه ويجب عليك أن تسترد هذا الملك الضائع والشرف المفقود لتستحق وضع تاج الحكم على رأسك) والآن لما رأى رأس منغاشا انه لم يستفد شيئًا من الايطاليين مال الى أبناء جنسه ثانياً والتجأ الى الاقوى من عدويه وهو منليك

ولما أخذ الجنرال باراتيري كتاب الرأس منغاشا الذي يهنئه فيه بانتصاره (في حالابا) أرسل جوابًا الى الرأس طلب فيه منه أن يفرق الجنود الذين كان الرأس مشتغلاً بجمعهم في (انتسكيو) الكائنة على حدود المستعمرة وأن يسلم اليه الثوار الذين كانوا تمردوا على ايطاليا ثم التجأوا اليه وان يصدر الامر الى رأس ماغوس بمهاجمة الدراويش حسبما جاء في العهد والميثاق المتبادلين بين الفريقين . وأما الرأس منغاشا فانه لم يرد على هذا الكتاب ولم يجب طلبات الجنرال . وكان عنده في (ادووا) ضابط ايطالي برتبة ملازم يسمى مولازاني لما رأى عدم اجابة الرأس لطلبات الجنرال خشي من أن يحصل له ما حصل للملازم سانغيتي فترك (ادووا) في الحال وعلى ذلك أخذ الجنرال باراتيري يحشد قواه في (آدي اورجي) وهذا الموقع المستحكم

يشرف على سهل (سه رائه) وكائن في نصف الطريق بين مصوع و (ادووا) وهاته المواضع مساعدة جدًا على الدفاع عن اسمرا ويمكن التحصن بها والقيام بحركات حربية مهمة بقليل من الجنود نظرًا لمناعة مواقعها

ولما أتم الجنرال باراتيه ري إعداد المعدات وحشد الجنود نهض سائرًا الى (ادووا) ودخلها بعد ظهر ٢٨ كانون اول (دسمبر) ١٨٩٤ من غير سفك دماء وذلك لتجديد عهد مارب وتأييده . وقد زار بعض الاشخاص الذين هناك وطائفة افسوم الروحانية الجنرال باراتيري ولم يأت لزيارته الرأس منغاشا ورجال الاحباش الصالحين للضرب والطعان . لانه لم يكن يوجد احد في (ادووا) وقتئذ سوى العجزة والطاعنين في السن والقسس

ولما رأى الجنرال ذلك ولم يجد من يجدد معه عهد مارب وخاف من جهة اخرى من هجوم الدراويش عليه بغتة اضطرَّ أن يعود بجنوده في اليوم الثالث من كانون ثاني (يناير) الى (آدي اوغري) دون ان ينال مطلباً من الأحباش . وبقي مقام رأس منغاشا مجهولاً لهم حتى ظهر في اليوم العاشر منه هو ورأس الولا في (أوفولافوسا) مهدداً خطوط دفاع الطليان في مصوع واسمرا وغندا وقد كان تحت إمرتهما جيش مؤلف من عشرة آلاف رجل عبرا به نهر (به لز) وقطعا (سهل زاما) حيث أتيا الى (اوفولافوسا) المار ذكرها . ولما رأى الجنرال باراتيري ذلك عزم على مهاجمتهم واصدر الاوامر الى الجنود بالقيام بالحركات الحربية . فاحتل البكباشي توسللي بسرعة (فواتيت) بست فصائل من المشاة . وسار الملازم سانتغي والملازم موللازاني بقوى اخرى وراء البكباشي المومى اليه ولم يأت اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور الا وكانت كل القوى الطليانية على تهيئة تامة في اماكنها . وفي اليوم الثالث عشر في الساعة الثالثة ونصف صباحاً على الحساب الافرنجي صدر الامر لأورطة غليانو ان تصطف على شمال اورطة توسللي . وقامت اورطة هيدالغو وراء هاتين الاورطتين بمقام الجنود الاحتياطية . وقد كان الليل هادئاً والقمر كان بدراً

ينير الاطراف كالنهار . وكانت الجنود الايطالية تعاين نيران معسكر الاحباش امامهم قام الجيش الايطالي بكل الترتيبات الحربية وتبعته الجنود في الليل وصدرت التعليمات والاوامر لكل فصيلة واورطة بالاعمال التي ستقوم بها

ولما اخذ الفجر بالظهور اخذت بطارية اليوزباشي (سيكودي فولا) تلقي القنابل على الاحباش واجاب الاحباش بنيرانهم ايضاً واشتدالقاء المقذوفات من الطرفين . وقد سعى جنود الاحباش مراراً ان يحيطوا بالايطاليين ولكنهم لم يفلحوا . دام القتال علي هذا المنوال الى المساء ولما خيم الظلام انقطعت النيران عن الفريقين على غير نتيجة وقضى الجيشان الليل قريبين عن بعضهما

وفي صباح اليوم الرابع عشر ابتدأ الاحباش بالقاء المقذوفات على الطليان واستمر القتال بضع ساعات اضطرَّ الاحباش في نهايتها ان يتقهقروا لنفاد الرصاص والقنابل والذخائر الحربية الموجودة عندهم . وكانت خسارة الطليان في هذين اليومين عبارة عن ضابطين وصف ضابط و ٩٧ جندي قتلى و ٢٣١ جندي جرحى

واقعة سه نافه

كان سقط في الواقعة المذكورة بضعة انفار من الجنود الوطنية بالجيش الطلياني في اسر الاحباش وفي المساء توفق بعضهم للفرار مساء وعادوا الى فصائلهم في الجيش المذكور وقالوا ان الاحباش يتقهقرون بغير انتظام وان الخوف والرعب مستول عليهم جداً فلما سمع الجنرال باراتيري ذلك جمع ضباطه واركان حربه و بعد المداولة والمذاكرة معهم صمم على اللحاق بالاحباش . وفي اليوم التالي وزَّع على كل جندي من جنوده من الذخائر والمؤن ما يكفي لاربعة ايام وامر بالقيام فتحركت الحملة في الصباح وكانت مؤلفة من الجنود الايطاليين والجنود الوطنيين و بعد ان قطعت اراضي صعبة المسالك كثيرة الحزون وصلت وقت الظهر الى (نوغوندا) حيث علم القائد ان الاحباش مروا من هناك قبل ثلاث ساعات قاصدين (سه نافه) . و بعد ان

استراح الطليانيون هنا ساعة واحدة قاموا قاصدين (سه نافه) المذكورة ووصلوا قبل الغروب الى هضبة تشرف على (سه نافه) امام معسكر الاحباش وحين وصولهم اخذت مدافعهـم ترمي بقذوفاتها على الاحباش . وقد وقعت اول قنبلة من قنابل الايطاليين في خيمة الراس منغاشا ولم يكن هو فيها بل كان جرح منها قبل بضع دقائق ليشجع جنوده على محاربة الايطاليين فقتلت بضعة أشخاص من رجال الراس ولما خيم الظلام اضطرَّ الجيشان لقطع الحرب الى اليوم الثاني

وفي اليوم التالي نزل الايطاليون الى السهل ولكنهم وجدوه خالياً من الاحباش الذين انسحبوا ليلاً من هناك تاركين بعض الاشياء من جملتها خيمة الراس منغاشا حيث وجدوا فيها اوراق المخابرات التي كانت تجري بين الرأس و بين منليك و بين باتا اغوس ورئيس القسس العاذار بين الفرنسويين فعلموا من هذه الاوراق بأن ما ظهر من باتا اغوس من التمرد والعصيان كان بتشويق الرأس وبرضاء وعلم القسس المذكورين الذين كانوا مشتغلين بالامور السياسية اكثر من اشتغالهم بالامور الدينية

يقول الذين حضروا هاته الوقائع ان تقهقر جيش الراس منغاشا أمام الايطاليين على هذه الصورة كان ناشئاً عن جبن الراس وعدم ثباته وقلة دربته في الامور الحربية وقد وافق الراس منغاشا أثناء تقهقره هذا عدوًّا آخر من أبناء جلدته فحاربه وتكبد الراس خسائر فادحة . واليك بيان هاته الواقعة :

يوجد ولاية مهمة في مقاطعة تيغرى تسمى عقامه ادارتهـا بيد الاكبر من عائلة عريقة بالقدم و بالحسب والنسب اسمها ساغابادي . ولما مات أمير هذه الولاية قبل الوقائع المذكورة ببضع سنوات قام النزاع على الامارة بين راس سابات وداز جماج اغوس تافاري وكلاهما من العائلة المذكورة ولما رأى راس منغاشا ذلك عين أحد الغرباء عن عائلة ساغابادي أميرًا على الولاية المذكورة بدلاً من أن يعين الاكثر استحقاقاً والاكبر من العائلة الحاكمة هناك من القـديم ولم يكن لهذا الامير الجديد المسمى راس انتالو الذي عينه راس منغاشا مزية سوى انه حائز لرضا الراس فقط

لذلك أخذ الناس يتأففون من تصرف راس منغاشا على هذه الصورة وثار غيظ كل من راس سابات ودازاج تافاري المار ذكرهما وكادت تقع ثورات داخلية هائلة لولم يتداخل رجال الدين النافذو الكلمة فطلبوا اليهما أن يحضرا عند راس منغاشا لتسوية الخلاف بينهما و بين الراس فأجاب راس سابات الى ذلك ولما قصد راس منغاشا أكرمه اكراماً زائداً ثم قبض عليه وزج به في أعماق السجون في (امبا الاغي) أما دازاج آغوس تافاري فانه كان عالماً بأحوال البلاد وتملق للراس منغاشا موجساً شراً من هذه المآدب اكثر من قريبه راس سابات فلم يشأ اجابة الدعوة بل تحصن مع رجاله في جبال (به لز) وأعلن الخصام والعصيان على راس منغاشا

ولما قامت الحروب بين راس منغاشا والايطاليين هذه المرة كان دازاج تافاري يراقب حركاته و يتعقبه من بعد منتظراً فرصة ينتهزها و يستفيد منها وعندما تقهقر راس منغاشا من (سه نافه) داهمه دازاج تافاري وقتل كثيراً من رجاله وأخذ من جيشه كثيراً من المواشي والغنائم الاخرى . وبعد ذلك ذهب وقدم الطاعة للايطاليين وقبل الايطاليون خضوعه ولعلمهم ما لأفراد هذه العائلة في ولاية عقامه من الحقوق وما لهم من الاهمية والنفوذ والمكانة عينوه أميراً على الولاية المذكورة ووضعوا جنود دازاج تافاري تحت امرة البيكباشي توسللي قائد منطقة عقامه باسم جنود منظمة

وبقي دازاج آغوس تافاري هذا موالياً للايطاليين الى اليوم الثالث عشر من شباط (فبراير) ١٨٩٦ فانضم من ثم مع راس سابات الى اعداء الايطاليين أي التحق بأبناء جنسه

احتلال تيغري

بعد انتصارات قواتيت وسه تافه الصغيرتين أراد الجنرال باراتيري أن يستولي على كل بلاد راس منغاشا أي على بلاد تيغري فأرسل توسللي ومعه الاورطة الرابعة المؤلفة من الجنود الوطنيين وجنود دازاج اغوس تافاري المار ذكره وأمره أن يحتل

(اديفرات) عاصمة عقامه ووجه البيكباشي (امه غليو) بالاورطة الخامسة المؤلفة من الجنود الوطنيين الى (ادووا) عاصمة تيغري . وكان وقتئذٍ راس منغاشا متقهقراً الى الجنوب فاعتقد الايطاليون لذلك انه تم لهم أمر الاستيلاء على تيغري باحتلال هاتين البلدتين وأخذوا يرتبون أمور المدينة ويديرون دفة الحكم فيهـا . وأما أمراء تيغري مثل راس الولا وراس اونتالو وغيرهم فانهم كانوا انسحبوا الى الجنوب بقصد أن يحشدوا الجنود ويستكملوا العدة . وبينما كان الجنرال باراتيري يدخل الى (روما) عاصمة ايطاليا حيث طلب اليها بأمر من حكومتها في شهر تموز (يوليو) دخول الظافر المنتصر بين تهليل الجموع وتصفيق النـاس وبينما كانت تؤدب له المآدب الفخيمة يشرب فيها الشامبانيا على نخب انتصاراته كان الاحباش مشتغلين ومجدين في اعداد ما يلزم من المعدات لاسترجاع بلاد آبائهم وأجدادهم من يد هؤلاء الفاتحين المستعمرين

لمـا كمل عدد جنود راس منغاشا وعدده انضم الى فرقتي راس ولا وراس ميكائيل واحتشد الجمع كله جنوب بحيرة (اسقيانفي) . ولما انتهى هذا الخبر الى روما صدر الامر الى الجنرال باراتيري بالسفر في الحال الى افريقيا ولما وصل الى محل وظيفته رأى من الصواب مداهمة الاحباش وفل جموعهم لذلك أمر بحشد الجنود في اديفرات ولما تم اجتماع الجنود في المدينة المذكورة وجه على معسكر راس منغاشا في ٤ تشرين اول (اكتوبر) حملة مؤلفة من أربع اورط من المشاة واورطة من حملة القرابينات وفصيلة من المدافع وقطعت هذه الحملة جبل (دبرا ايلله) الصعب المسالك فوصلت في التاسع من الشهر المذكور الى حيث يخيم جنود تيغري الاحباش فبدأت الحملة بمهاجمته وأصلتهم حرباً عواناً ولم يمض قليـل من الوقت حتى اندحر الاحباش وولوا منهزمين تاركين كثيراً من المواشي والذخائر في القتال غنيمة للايطاليين .

ان تقهقر الاحباش هذا أمام الايطاليين في (دبرا ايلله) لا يعد انتصاراً وليس له أقل أهمية ولكنه جرأ الجنرال باراتيري فأصدر أمره بتتبع آثار الاحباش وقسم قواه الى قسمين سار سيراً حثيثاً ليلحقا بالاحباش ولكن القسم الكبير من الجيش الايطالي لم

يقدر على اللحاق به فقسم قواه الى أقسام صغيرة ووزعها على الاطراف. وفي النهاية اجتمع الايطاليون كلهم في امبا الاجي حيث يسجن راس سابات منذ خمس سنين فأخلوا سبيله ولما رأى نفسه حرًا خارج السجن أظهر مزيد ارتياحه من حضور الايطاليين الى هناك ولكنا سنرى بعد سنة واحدة انه انضم هو وجنوده الى راس منغاشا . ان هؤلاء الامراء الاحباش يشبهون الاخوة الذين يتخاصمون كل يوم عدة مرار ثم يتصالحون وليس للحروب الداخلية التي تقع بينهم أهمية وكأنهم يعتبرون تلك الحروب كالتمارين والالعاب الوطنية أو كلعبة الشطرنج . اذ بينما تراهم يحارب بعضهم بعضاً تجدهم اذا أتاهم عدو من الخارج عادوا اخوانًا متحابين متحدين كأنهم رجل واحد أما الايطاليون فانهم لما لم يروا أقل مدافعة من الاحباش في تعقبهم لهم هذه المرة أيضاً حكموا بأن البلاد صارت اليهم وأخذوا ينظرون الى تيغري كأنها من مستعمرة اريتره الطليانية ولم يخطر في بالهم أن هناك أسداً رابضاً يتهيأ و يستكمل العدة و يحشد الجنود للوثوب عليهم الا وهو منليك الثاني الموجود في (شووا) كما ان راس ما كونن الذي كان يظهر الحب والميل للايطاليين كان من جهة أخرى يطرد تجارهم وجاليتهم من (هرر)

هزيمة امبا الاغي

كان جيش الراس ما كونن الذي كان بمثابة مقدمة جيش منليك معسكرًا على ساحل بحيرة اسيانني . ولما بلغ هذا الخبر الجنرال الايطالي أصدر أمره الى البيكباشي توسللي بالمسير بألفين وخمسمائة من الجنود المشاة و بضعة مدافع الى معسكر الراس ما كونن المشار اليه ليمنع أولاً الاحباش من التقدم الى الأمام ثانياً ليستكشف حال القوى الحبشية النازلة على ساحل البحيرة المذكورة وثالثًا ليعطي الوقت الكافي للقائد حتى يتمكن حشد قواه العمومية في (اديفرات) وصلت هذه المحلة الى هضبة امبا الاجي وظلت معسكرة هناك وفي اليوم الثالث لوصولها هاجمها الاحباش واشتبك القتال بين الفريقين وقد كان البيكباشي توسللي اجتهد أن يحافظ على خط رجعته ليجعل الطريق

الذي سيصل اليه الجنرال اريمرندي بالمدد آمنًا ولكن هذا المدد لم يصل اليه فسقط اكثر الضباط الايطاليين بين قتلى وجرحى حتى فقدت الصفوف اكثرهم . فلما رأى القائد ذلك أصدر أمره الى اليوزباشي ريسس بالهجوم بفصيلته على الاحباش فهجمت هجمة شديدة جدًا وأخذت المدافع تحميها من وراء أظهرها وتلقي الرعب والفناء بين صفوف الاحباش الذين كانوا كلما نقص عدد من جنودهم يأتون بغيرهم في الحال ويدافعون مدافعة الابطال بلا مبالاة بنيران الايطاليين الشديدة وبما ينالهم منها من الموت الزؤام . وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر على الحساب الافرنكي سارت فصيلة تحت قيادة الراس الولا لقطع خط الرجعة على الجنس الايطالي . ولما رأى توسالي ذلك اضطر للتقهقر ليتمكن على الاقل من تخليص القوة الباقية لديه . ومع ذلك فان الطريق المضطر أن يرجع منها كانت محفوفة بالخطر من جهتين الجهة الواحدة وقوعها على حافة هوة عظيمة علوها ٤٠٠ متر ومن الجهة الثانية تعرض السائر فيها لنيران جنود رأس الولا الذين كانوا واقفين له بالمرصاد على قمم تعلو ٥٠ مترًا عن الطريق ومما زاد الطين بلة والموقف حرجًا ان الطريق كانت مزدحمة بالبغال والمجاريح والاثقال مع كل هذه الاخطار والمصاعب أخذت بقية فصيلة توسللي تمر من هذه الطريق والنيران تتساقط عليها من فوقها والهوة فاتحة فاها من تحتها لتبتلع من يسقط من الجنود فكانت فيها خسارة الفصيلة (التابور) الطليانية عظيمة جدًا

وكانت البطارية التي بقيادة الملازم مانفردي تلقي النيران من مسافة قريبة على الاحباش وأما جنود البطارية الثانية التي كانت تحت قيادة الملازم سقالا فقد ألقوا بالمدافع وبغلها وذخائرها وبكل لوازمها الحربية في الهوة حتى لا ينتفع بها الاحباش ولم تبلغ الفصيلة أي التابور سفح الهضبة حتى لم يبق من الستة وعشرين ضابطًا الذين كانوا يقودونها سوى ثلاثة ضباط فقط أحياء وأما البيكباشي توسللي قائد الفصيلة فانه قتل برصاصة أصابته بعد وصول فصيلته الى سفح الهضبة . والحاصل ان هذه الهزيمة كانت مفجعة وبلاءها عظيما على الجنود الطليانية اذ لم ينج سوى ثلاثمائة شخص من الفصيلة كلها

ونظراً لشجاعة البيكباشى توسللي وما أظهره أثناء الواقعة من المهارة والاقدام وحسن التدبير أمر الرأس ما كونن أن يدفن هذا القائد الباسل في احدى الكنائس هناك وأن يحتفل بدفنه احتفالاً عسكرياً يليق بالشرف العسكري و بقائد مثله

حصار مكلا

وصل الجنرال اريموندي بجنوده بعد واقعة امبا الاجي بمدة غير قليلة فوجد الواقعة انتهت فالتحق به المنهزمون الذين كان اكثرهم جرحى . و يقول احد ضباط الايطاليين في كتاب ألفه ان تأخر الجنرال اريموندي في الوصول وما أصاب حملة توسللي من المصائب والانهزام ناشيء عن الحسد الكامن في قلب الجنرال باراتيري للجنرال اريموندي الموما اليه حتى ان انتصار الاخير في اريفرات لم يرق في عيني الجنرال باراتيري . وفي هذه المرة استأذن الجنرال اريموندي من باراتيري ان يذهب ليمد البكباشي توسللي ولكن لم يأذن له فاضطر اريموندي ان يرسل امراً الى البكباشي الموما اليه بالتقهقر ولكن هذا الامر لم يصل الى البكباشي . ولما لم يأت اليه خبر من قبل توسللي يطمئن به عليه اخذ كل مسئولية على نفسه وقام هو وجنوده من غير اذن من القائد العام وكأنه وصل الى امبا الاجي ليرى الحالة التعيسة التي كان عليها من نجا من ايدي الاحباش

وفي اليوم نفسه صدر الامر الى القائد الايطالي الموجود في آدووا ان ينسحب الى اديفرات بعد حرق المدينة فاضطر الضباط هنك لجلاء الاهالي عنها لتنفيذ امر القائد العام فخرج الناس الى خارج المدينة نساء ورجالاً واطفالاً تاركين بيوتهم واموالهم طعمة للنار وكان منظرهم يفتت الاكباد لما تولاهم من اليأس ولما كان يسمع لهم من البكاء والعويل حتى ان الضباط الايطاليين القائمين بحرق المدينة كانوا يعترفون بفظاعة هذا العمل . و بعد انسحاب الايطاليين دخلت شرذمة من جنود رأس منغاشا الى (ادووا) وافرغت ما في وسعها لاطفاء الحريق لكنها لم تتوفق وأضحت المدينة

بعد بضع ساعات رماداً واطلالاً وكان الامر صدر الى الجنود الايطالية أن يسرعوا بالانسحاب من ادووا لذلك خرجت الجنود والضباط ولم يأخذوا معهم سوى ملابسهم التي كانت على أجسامهم فقط وما بقي من ملابس الجنود والضباط وحوائجهم كلها تركت فريسة للنار

بينما كانت هذه الوقائع تجري في ادووا والجنرال اريموندي يرتد الى اديفرات كانت الاورطة الثالثة المؤلفة من الوطنيين موجودة في مكلا تحت قيادة البيكباشي غاليانو . ومكلا هذه هي حاضرة ولاية (اندرتا) من مقاطعة تيغرى ومشهورة بخصب أراضيها وكانت فيما مضى عاصمة لحكومة الرأس منغاشا وكان يتخذها الجيش الحبشي دائماً مركزاً لحركاته الحربية . ولما احتل الايطاليون مقاطعة تيغرى أخذوا يقيمون الاستحكامات والقلاع وعندما جرت واقعة امنا آجي كانت هذه الاستحكامات لم تتم بعد وانما كان الايطاليون جمعوا هناك كثيراً من الزاد والذخائر . ولا يوجد داخل المدينة آبار أو صهاريج للاستقاء ويأخذ الناس ماءهم من ينبوعين الواحد شحيح الماء وواقع خارج المدينة وقرب باب السور الكبير . والثاني واقع في محل أبعد من الينبوع الاول . لذلك اضطر قائد الحامية هناك أن ينشئ صهريجين وملأهما بالماء من باب الاحتياط . وبعد مفارقة الجنرال اريموندي مكلا ببضعة أيام انقطعت الاسلاك البرقية وتعطلت المخابرات فأرسل البيكباشي فصيلة من جنوده لاصلاح السلك المقطوع ولكنهم رجعوا ادراجهم من غير أن يتمكنوا من عمل ما أمروا به لمداهمة الجنود الحبشية لهم قرب هضاب (ماسابوت) ولم يبق للفصيلة الموجودة في مكلا أمل سوى الاعتماد على أنفسهم وقوتهم القليلة لانه بينما كان الجنرال بارا تيري يطلب جنوداً من ايطاليا ويحشدها قرب اديفرات اذ وردت في اليوم الخامس من كانون ثاني (يناير) قوى عظيمة تحت قيادة رأس ما كونن ورأس منغاشا واحتلت الهضاب الكائنة على اطراف مكلا وكان وصل قبل ذلك بيوم واحد الامبراطور منليك والامبراطورة تايتو ومعهما معسكرهما الى محل يقال له (شه ليفو) قرب مكلا

وكان نفوس حاكم مقاطعة غوجام التحق بمعسكر الامبراطور . وفي اليوم السابع من الشهر وصلت الجنود بكثرة من شه ليقو وعسكرت على بعد ٨ كيلو مترات من مكلا ولما عاين الايطاليون الموجودون داخل المدينة الصيوان الاحمر في وسط المعسكر علموا أن الامبراطور والامبراطورة وصلا بخيلهما ورجلهما الى هنا . وفي اليوم نفسه أرسل الاحباش مدافعهم الى هضبة (انداجه زو) الكائنة على بعد ٨٠٠ متر من مكلا . وأكثر مدافع الاحباش هي من المدافع الجبلية ومختلفة العيار وبينها أربعة مدافع من طراز مترااليوز و٢٨ مدفعاً من طراز هوتشيك السريعة الطلقات التي تقذف بقنابلها الى مسافة ٣٥٠٠ متر ومن هذه المدافع يوجد دائماً خمسة مدافع في الجيش الخاص بالامبراطورة

باشر الاحباش اليوم الحرب مع الايطاليين ولكنهم لم يلحقوا بهم خسائر تذكر وفي صباح اليوم الثامن من الشهر المذكور أخذ الاحباش يقذفون نيران مدافعهم على استحكامات مكلا من ثلاث نقط مختلفة كما انهم أرسلوا قوة الى الينابيع المذكورة ومنعوا الاستسقاء منها . والماء الموجود في الصهاريج التي كان أنشأها قائد الحامية داخل المدينة كان يكفي لشرب المحصورين مدة يومين فقط . لذلك أخذت المواشي والخيل والبغال داخل مكلا تهلك من العطش . وفي اليوم التاسع قوى الاحباش مراكزهم الحربية ولم يكتفوا بنيران المدافع بل انهم هاجموا المدينة ببنادقهم أيضاً واستمر القتال في اليوم العاشر والحادي عشر أيضاً بشدة هائلة . وقد تكبد قواد وأمراء الجيش الحبشي خسائر تذكر لانهم كانوا يسيرون بمقدمة الجنود المهاجمة . لذلك قتل من أمراء واركان الاحباش ٣٢ شخصاً وكان الرأس ماكونن ورأس الولا بين المجاريح . وسبب هذه الخسائر الفادحة هي ان المهاجمين كانت تصيب مقذوفاتهم الاحجار والتراب (الاستحكامات) وأما المحصورون المدافعون فبالعكس كانت مقذوفاتهم تصيب بني الانسان أي الاحباش

ولما رأى الاحباش عدم امكان الاستيلاء على مدينة محصنة مثل مكلا غيروا

خطتهم الحربية وصمموا على محاصرة المدينة فزادوا عدد الجنود الموجودة عند الينابيع وأرسلوا جنوداً كثيرة الى الهضاب الواقعة على أطراف المدينة لتقوية الجنود الموجود عليها . وكانوا من آن الى آن يلقون على الايطاليين بعض القنابل . وأما الايطاليون فانهم ثبتوا في مراكزهم لاقتناعهم بوصول المدد اليهم في وقت قريب

وفي اليوم الثالث عشر وصل الى مكلا رجل مندوب من قبل الامبراطور لطلب هدنة بضع ساعات تدفن بأثنائها الموتى من الجنود فقبل قائد الحامية الايطالية ذلك على شرط أن يكون عدد الجنود التي ستقترب من المدينة محدوداً فعاد المندوب ليعرض هذا الشرط على النجاشي وأمل المحصورون أن يملأوا صهاريجهم في مدة الهدنة التي طلبها الاحباش ولكن خاب أملهم اذ لم يعد المندوب ثانياً . كان القائد يعطي لكل شخص ٧٥٠ جرام في اليوم وأما هذا اليوم فانه أنزل هذا الراتب الى ٥٠٠ جرام وفي اليوم التالي لم يعط سوى ٢٥٠ جراماً . والحاصل كانت حالة المحصورين سيئة جداً وما كان يعطي لكل شخص في اليوم من الماء سوى كأس واحدة . وفي اليوم الثامن عشر نفد الماء فجمع البيكباشي ضباطه وبعد المداولة فيما يعملونه قر الرأي على أن يصبروا اليوم التالي من غير ماء واذا لم يأت المدد المنتظر في ٢٠ منه يعطلون مدافعهم وينسفون بالنار ذخائرهم الحربية ثم يخرجون بالقوة مخترقين صفوف الاعداء فاما أن يفتحوا لهم طريقاً للنجاة واما أن يموتوا في سبيل الدفاع عن أنفسهم . وبينما كان المحصورون في اليوم التاسع عشر يستعدون للخروج في اليوم التالي اذ ورد أمر من الجنرال باراتيري بلزوم تسليم مكلا الى الاحباش . وقد أثر هذا الامر في الضباط وقائد الحامية تأثيراً سيئاً وصاروا يبكون كالاطفال

وفي اليوم التالي وصل في الساعة العاشرة الى مكلا الموسيو فلتر التاجر الطلياني وصديق الامبراطور منليك القديم المتوسط بين الامبراطور وبين الجنرال باراتيري بأمر تسليم مكلا وعقب وصوله ببضع دقائق أنزل العلم الايطالي ورفع بدلاً عنه العلم الابيض اشارة للتسليم . ثم خرج الناس يهرولون صوب الينابيع من شدة ما أصابهم

من العطش . وفي ٢١ من الشهر المذكور ذهب البيكباشي الى معسكر الامبراطور للمذاكرة في طريقة خروج الجنود من مكلا فقوبل من الاحباش أحسن مقابلة وأهدى اليه الامبراطور بغلاً وفرساً مع سرجهما ووعده أن يمده بألف بغل ليتمكن من الخروج هو وجنوده من مكلا و بعد الظهر بساعتين بدئ باخلاء المدينة المذكورة و بينما كانت الجنود الايطالية خارجة من باب كانت جنود رأس ما كونن الاحباش داخلين من باب آخر ولما تم تسليم المدينة أنزل العلم الابيض ورفع مكانه العلم الحبشي ولما رأى الجنود الايطالية الذين كانوا خارج المدينة وقتئذٍ صعود العلم الحبشي على السارية اغرورقت عيونهم بالدمع حزناً على ضياع هذه المدينة منهم ونزل الجنود في محل يبعد عن المدينة مقدار ساعتين وانتظروا هناك حتى أتت الجنود الحبشية فقام الجميع في ٢٤ كانون ثاني (يناير) قاصدين هوازن وكانت فرقة من جنود رأس منغاشا ورأس الولا أمام الفصيلة الايطالية وفرقة من جنود رأس ما كونن وراءها وعلى اليمين والشمال فرقة من جنود الامبراطور ونفوس مقاطعة غوجام واستمروا في سيرهم هكذا حتى وصلوا الى هوازن المذكورة في ٢٩ منه فتخلف هنا الجنود الحبشية واستمرت الفصيلة الايطالية في سيرها ومعها الرأس ما كونن الى أن بلغوا مكاناً في الطريق فوقف الرأس الموما اليه وقال لقائد الفصيلة ان رضاء الامبراطور بخروجهم من مكلا من غير ان يمسهم سوء كان بناء على شرط ان يرسل الجنرال باراتيري البيكباشي سلاسا الى معسكر النجاشي للمذاكرة في شروط الصلح وانه نظراً لعدم ورود البيكباشي الموما اليه الى الآن صدر أمر الامبراطور أن يؤخذ عشرة من الضباط يبقون لدى الجيش الحبشي كرهينة و بعد أن بلّغ الرأس ما كونن أمر الامبراطور انتخب عشرة من الضباط ثم سمح للفصيلة بالسفر فسافرت

وأما الجنرال باراتيري فانه كان أمر البيكباشي سلاسا أن يسافر الى معسكر الاحباش ولكنه لما بلغه خبر حجز منليك عشرة من ضباطه كرهن عاد واسترجع البيكباشي الموما اليه

ولعدم وفاء الجنرال باراتيري بوعده طلبت الامبراطوره تايتو ومن ينتمي اليها اعدام الضباط الذين أخذوا رهناً وكاد ينفذ عليهم هذا الحكم ولكن الامبراطور أمر باخلاء سبيلهم قائلاً انه لا يجوز اعدامهم بجريرة غيرهم . وقد أوصاهم الرأس ماكونن بأن يسافروا من المعسكر الحبشي في الحال وأن يفهموا الجنرال باراتيري لزوم ارسال البيكباشي أو على الاقل ارسال الموسيو فلتر . لان هذا الرأس والامبراطور نفسه كانا يميلان الى الصلح

وأما الضباط الايطاليون العشرة فانهم التقوا بمعسكرهم الموجود في (ماي غايتا) بعد سير خمس ساعات ولما رأتهم النقط الامامية الطليانية أطلقت عليهم بنادقها ظناً منها انهم أحباش فقتلوا صف ضابط برتبة جاويش وبغلاً ولكن علموا فيما بعد انهم الضباط الايطاليون الذين كانوا عند الاحباش . ويقول الضباط الايطاليون أنفسهم ان الامبراطور منليك رجل يحب السلم ويكره سفك الدماء وقد أثبت ذلك بقبول توسط الموسيو فلتر باخراج جنود الايطاليين الذين كانوا محصورين في مكلا بعد ما كادوا يموتون عطشاً . ثم ان هناك أمراً يدل على دهاء هذا الامبراطور ووقوفه على أساليب السياسة وأحوال الحرب وذلك انه لما خرجت الفصيلة الايطالية من مكلا قام معها هو وجيشه بحجة مرافقتها تشريفاً لها ولكن تسنى له بذلك الاستيلاء على جزء كبير من الاراضي الداخلة ضمن دائرة النفوذ الايطالي وقطع مسافة لا يستهان بها داخل الاراضي الايطالية وهذه الحركة هي على جانب عظيم من الاهمية بالنظر لفن سوق الجيوش وتعبئتها

وقد استغرب الجنود والضباط الايطاليون أنفسهم عدم ارسال الجنرال باراتيري للبيكباشي الى المعسكر الحبشي لعقد الصلح

ثورة عقامه

وفي ٥ شباط (فبراير) أي بعد اعادة الضباط العشرة الذين كانوا أخذوا كرهن وصل الى معسكر الجنرال باراتيري بالمبراس امانول من قبل الامبراطور منليك وأبلغه

بأن الامبراطور نقل معسكره من هوازن الى (غاندابا تا) وانه سينتظر هناك ستة أيام لعقد الصلح . وعلى ذلك رضي هذا الجنرال العجيب أن يرسل البيكباشي سلاسا وأمره أن يعقد الصلح على الشروط الآتية :

١ — تجديد عهد اوقسيالي

٢ — الاعتراف بالاراضي التي استولت عليها ايتاليا في المدة الاخيرة بأنها مستعمرة ايطالية اعترافاً تاماً

ولا يخفى أن هاته الشروط لا ترضي الامبراطور الذي يميل الى عقد الصلح فضلاً عن الامبراطورة وحزبها . لذلك أثارت هاته الشروط التي لا تطاق غضب الامبراطورة وأخيها رأس وليه ورأس منغاشا ورأس الولا وعلى ذلك طلب الامبراطور من الجنرال نظير عقد الصلح أولاً — الجلاء عن الاراضي التي احتلها الايطاليون مؤخرًا . ثانياً — تعديل عهدة اوقسيالي . وقد جعل النجاشي طلبه هذا بصفة انذار نهائي وأرسله مع البيكباشي سلاسا المندوب الايطالي . ولما انتهت طلبات الامبراطور الى الجنرال باراتيري أرسل حالاً كتاباً شديد اللهجة الى الامبراطور أخبره فيه ان كلا من الفريقين حر في حركاته الحربية

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه البيكباشي سلاسا الى معسكر الجنرال باراتيري قام الرأس سابات واغوس تافاري اللذان كانا في خدمة الجيش الايطالي وتركا معسكر الجنرال والتحقا بجيش أبناء جنسهم الاحباش بخمسمائة جندي وقوبلا بكل تجلة واحترام . نعم ان انضمام خمسمائة جندي الى الجيش المحارب لايطاليا لا يعد خسارة عظيمة على الايطاليين ولكن أهميته كبيرة جداً بسبب ما لهذين القائدين من النفوذ في البلاد التي ستحصل فيها الوقائع الحربية . وقد حصل ذلك بالفعل اذ قام الاهالي ضد الايطاليين وأخذوا يشنون الغارة على قوافل الجيش الحاملة للزاد والذخائر ويهاجمون النقط الامامية للجيش الايطالي وفصائله ولقد كانت اعالة الجنود الايطالية متعسرة جداً من قبل فكيف بها الآن لا جرم انها صارت مستحيلة لهذا اضطر

الجنرال باراتيري أن يرتد بمعسكره الي هضاب (تيزالا) ولم تكن الجنود الايطالية خصوصاً التي وصلت حديثاً من بلادها معتادة على هذه المتاعب والمشاق والتغذي بقليل من الدقيق مخلوط بقليل من الماء وعلى مراحل ومسافات طويلة وتسلق جبال أوعر وأصلب من جبال الالب لذلك كله نال هؤلاء الجنود تعب عظيم وتفشى الوباء بي الماشية والخيل والبغال الخاصة بالمعسكر فهلك معظمها

وأما الجيش الحبشي فانه قام بعد أن أتم معداته قاصداً (ادووا) وقد كان وقتئذ القائد العام للجيش الايطالي نازلاً بقواه على الهضاب الحاكمة على (اينتقيو) وكان يكتفي بارسال فصائل صغيرة كل يوم لاكتشاف ما حول هاته الهضاب فكانت تصادف الفصائل الحبشية الكثيرة العدد وتناوشها القتال ثم تعود من حيث أتت بعد أن تخسر كثيراً من رجالها

واقعة لينا

ومن وقائع هذه الفصائل واقعة لينا حيث ذهب الملازم سيسزنى في مساء ١٤ شباط (فبراير) للاكتشاف ومعه ٦٠ جندياً ايطالياً و٥٠ جندياً من الوطنيين . وبينما كان يتسلق هو وجنوده سفح هضبة وعرة في اثناء عودته للعودة الى المعسكر اذ داهمهم جند الاحباش وأخذوا يرمونهم بوابل من رصاص البنادق واستمر كذلك حتى خيم الظلام وقتل كثير من جنوده . ولقد سمع صوت البنادق من اديفرات فأرسل مدداً مؤلفاً من ٣٥ جندياً ايطالياً بقيادة الملازم قونسيللي ولكنهم لشدة الظلام لم يهتدوا للمكان الذي كان فيه رفيقهم الملازم سيسزنى واضطروا ان يقضوا الليل كله في الجبال وفي الصباح صادفوا فصيلة حبشية فاشتبك القتال بينهم وبينها فأبيدت الفصيلة الايطالية عن آخرها

أما الملازم سيسزنى فانه لم يعلم بالمدد الذي جاءه الا لما سمع صوت طلقات البنادق فأراد ان يمد اخوانه ولكن رأى فصيلة حبشية مؤلفة من ٥٠٠ جندي أخذت

تحيط به فخشي ان ينقطع عليه خط الرجعة فأمر جنوده بالتقهقر ولما وصل الى اديفرات لم يكن بقي معه من جنوده الا بضعة أشخاص والباقي ذهب فريسة لنيران الاحباش

واقعة اله فا

قام الملازم سيمينيو من اديفرات في ١٦ شباط (فبراير) ومعه ١٠٠ جندي من المشاة للالتحاق بالمحافظين على قافلة كبيرة تحمل ذخائر حربية. ولما وصلت هذه الفصيلة الى (اله فا) التقت بفصيلة الملازم نيفرتي الايطالي وانضمت اليها وبعد قليل ظهر تابور من الجنود الحبشية مؤلفاً من ١٠٠٠ جندي فأحاطوا بالفصيلتين الايطاليتين وقتلوا كل رجالها وكان الملازمان سيميوني ونيفرتي بين القتلى .

وانتهى خبر مهاجمة الاحباش للفصيلتين المذكورتين الى المعسكر الايطالي فقام في الحال اليوزباشي موقوغاتا ومعه ١٤٠ جندياً لنجدة الفصائل ولكنه لم يكد يصل الى محل الواقعة الا وكانت الحرب انتهت على ان الاحباش لما رأوا هذه الفصيلة هاجموها من كل جانب فاضطرت للتقهقر وكادوا يبدونها عن آخرها اذ لم ينج منها سوى ثمانية جنود والضابط تاسعهم . أما القافلة فانها وقعت كلها بيد الاحباش . وهنا يجب ان نقص عليك حكاية حدثت في اثناء هذه الواقعة وهي نموذج للشجاعة والوفاء من ضابط وجندي :

بينما كان القتال مشتبكاً أحاط نفر من الاحباش بضابط برتبة ملازم يسمى قابوتو وطلبوا منه ان يسلم نفسه ولكن الضابط أبى ذلك وقتل بمسدسه ستة من الاحباش ثم أصابته رصاصة ألقته صريعاً على الارض . وظن الاحباش انه قتل ولكي يتأكدوا من ذلك أحرقوا رجله بالنار ثم انصرفوا . أما الضابط فانه كان أغمي عليه من جراحه ولما أفاق من اغمائه وجد نفسه بين ذراعي جندي حبشي فنظر في وجهه فعرفه . وقد كان هذا الجندي الحبشي دخل متطوعاً في الجيش الايطالي حيث ألحق بفصيلة هذا الملازم . فلما انتهت هذه الواقعة وانصرف الاحباش عاد الجندي الى محل الواقعة

وأخذ يداوي الضابط المداواة الأولية البسيطة حتى أفاق من اغمائه ثم حمله على ظهره وذهب الى المعسكر الايطالي . فما أعظم هذا العمل وما أشرف نفس هذا الجندي البسيط الذي بعد أن أدى وظيفة الجندي مع سائر مواطنيه في ساحات القتال أدى بعدها وظيفة الانسانية وحق الوفاء والصداقة والمعرفة القديمتين فبورك بهذا الاحساس الشريف . وبورك بهذا الانسان الكريم

وفي ١٧ شباط (فبراير) قام الجنرال باراتيري من معسكره مستصحباً معه ثلاثة اورط (توابير) للاستكشاف بنفسه فرأى الجيش الحبشي نازلاً في سفوح جبل (سيله سيت) البعيد عن محل المعسكر الايطالي بخمسة عشر كيلومترا فلم يستنسب مهاجمة الاحباش في هذا المحل وأمر أن تغير القوافل الآتية الى معسكره طريقها وان تأتي من الآن وصاعداً عن طريق (ماي — مارات — دبرا — دامو) وما كان يعلم الجنرال ان هذا الطريق هو اكثر خطراً وتهلكة من الاول لان الراس سابات كان نازلاً هو وجنوده في الهضاب المشرفة على هذا الطريق

يوجد في هذا المكان دير للاحباش مبني على هضبة (امبادامو) وهو مشهور عند الاحباش وأراضي (دامو) هذه مؤلفة من ستين قرية فيها ٤٠٠ عائلة وكل هذه القرى هي ملك للدير المذكور فيمتلك كل راهب من الرهبان قرية من القرى المذكورة بما فيها من الارض والسكان والمواشي والرهبان تابعون في أحكامهم لرئيس دير ناحية (دامو) والدير المذكور للجناة العتاة وقطاع الطرق لانه مقدس يحرم دخول رجال الحكومة فيه اي انه فوق احكام القانون والحكومة. والهضاب التي تسمى (امبا) في بلاد الحبشة هي عبارة عن هضبة تكتنفها من كل جانب صخور شامخة واقفة كالعمد او كالجدران حيث يستحيل الصعود الى القمة الا بطريق ضيق لا يمر منه الا الحيوان من الماعز والغنم . وأما القمة فانها عبارة عن سهل منبسط وأرض مخصبة منبتة . اذن فهذه الهضاب هي حصن منيع طبيعي اذا تحصنت فيه فصيلة صغيرة تتمكن من القاء الفشل في صفوف قوة كبيرة وتجعل مركزها من أحرج المراكز .

ومن الهضاب التي رأيتها في المملكة العثمانية وتشبهه هذه الهضاب الهضبة المبني عليها قلعة وان فانها واقعة في أعلى الهضبة الكائنة في وسط سهل واسع الارجاء وليس لها سوى طريق واحد ضيق . والناظر من أعلاها يرى المدينة كأنه ينظر من أعلى أبراج الحريق الى الاستانة

و يوجد على هضبة (امبادامو) صخرة جسيمة قائمة كعامود مبني عليها الدير ولا يتمكن الانسان من الصعود الى الدير الا بواسطة الحبال وكذلك النزول لان ارتفاع الدير عن سطح الامبا ٣٠ مترًا وللدير خدم مكلفون باصعاد من يريد الصعود اليه بالحبال . و يوجد في هذا الدير ٦٠ راهبًا وماؤهم من صهريج شيد في البدء . ولهذا الدير حكاية في سبب بنائه لسنا في صدد ذكرها هنا

و بالجملة فان أطراف الدير وجواره اكثر خطرًا على القوافل من الطريق القديم كما مر ذكره . لذلك أمر القائد العام الايطالي الميرالاي سنه فاني الموجود في مواقع (ماي مارات) ان يحتل هذه الامبا بالالاي المسمى (بزه رغانيه) فلما وصل الميرالاي الى دير ادامو استحضر رئيس الدير وأبقاه عنده رهينة يدفع بها تعدي الاهالي على الجنود الايطالية هذا من جهة ومن جهة اخرى كي هذا الرئيس يساعد الاحباش للوصول الى الهضبة

وفي ٢٦ من الشهر المذكور هاجم الميرالاي سنه فاني معسكر راس سابات واضطره لاخلاء مواقعه والتقهقر و بذلك تمكن من فتح خط حركات الجيش الايطالي وأمن الطريق الذي تأتي منه القوافل الحاملة للذخائر والمؤن للجيش الايطالي ولو لم يتوفق الميرالاي لذلك لكان الجيش الايطالي اضطر أن ينسحب الى (آدي قابا) او الى اسمرا

ولما رأى الاحباش ذلك سحبوا جنودهم النازلة على نهر مارب وحدودها فيماوراء (ادووا) ليجروا الايطاليين اليهم

واقعة (أدووا)

وبينما كان الجنرال باراتيري يستعد للانسحاب من صوريا الى ادبفرات اذورد عليه رسالة برقية من ايطاليا تنبيء بقيام الجنرال هوش من نابولي ومعه فرقة كاملة و بضع توابير قاصداً مصوع . أخبرت الحكومة الايطالية الجنرال عن سفر الجنرال هوش الموما اليه وانما أخفت عنه اقالته من القيادة وتعيين الجنرال بالديسرا مكانه منذ ٢٣ حيث قام بعد من برنديزي قاصداً محل وظيفته . ولكن خبر هذا التعيين شاع في ٢٧ من الشهر بين الضباط في اسمرا وكان وقتئذٍ الجنرال باراتيري في صوريا بعيداً عن اسمرا ولا يعلم ان كان بلغه هذا الخبر ام لا . ولم يشأ هذا الجنرال انتظار وصول الجنود التي سافرت من نابولي بل انه ألف مجلس مشورة من قواده واركان حربه وتفاوضوا في التقهقر او الهجوم على الاحباش وأيهما الاوفق . فكانت نتيجة المذاكرة والمداولة ان قرروا الهجوم على الاحباش

وفي ٢٩ الشهر بلغ الجنرال باراتيري من الذين كان أرسلهم للكشف عن مواقع الاحباش ان القسم الصغير من جيش الحبشة وعدده عشرون الفاً نازل في سهل (أبا عزيمه) وان القسم الكبير المؤلف من مائة الف جندي معسكر فيما وراء (آدووا) وعلى ذلك قرر القائد العام الهجوم على معسكر الاحباش فاصدر أمره بسفر جميع القوى الايطالية في مساء اليوم المذكور . فكان فكر القائد العام ان يفاجيء بجيشه في سحر اليوم التالي معسكر الاحباش و يأخذه على غرة

واليك مقدار قوى الجنرال باراتيري حسب ما ذكرها الضباط الايطاليون

١ — اللواء المؤلف من الجنود المتطوعة من الاهالي تحت قيادة الجنرال آلبرتون :

٤ اورط من الجنود المتطوعة الاهلية	٣٧٠٠ بندقية
جنرد الرئيس الوطني المسمى اوقوله قوساني	٣٧٦ «

بطارية من المدفعيين الوطنيين	٦	مدافع
بطاريتان من المدافع الايطالية	٨	«

٢ — لواء المشاة وقائده الجنرال دابورميدا :

٦ اورط جنود ايطالية	٢٦٤٠	بندقية
١ اورطة وطنية	٦٥٠	«
جنود اسمرا	٢١٨	«
٣ بطاريات ايطالية	١٨	مدفع

٣ — لواء المشاة وقائده الجنرال آلينا :

٦ اورط جنود من المشاة الايطالية	٢٩٣٠	بندقية
١ اورطة من الجنود المتطوعة الاهلية مشاة	١١٥٠	«
نصف فصيلة من جنود المهندسين	٧٠	«
بطاريتان من المدافع الايطالية	١٢	مدفع

٤ — لواء المشاة وقائده الجنرال اريموندي :

٥ اورط من المشاة الايطاليين	٢٢٧٣	بندقية
فصيلة واحدة من الجنود المشاة الاهليين	٢٣٠	«
بطاريتان من المدافع الايطالية	١٢	مدفع

واذا أضفنا على القوى المذكورة آنفاً خمسمائة ضابط وخمسمائة من جنود الجاندارمه وغيرها يكون مجموع الجنود الايطالية ١٦٥٠٠ محارب فقط

قامت هذه الحملة الايطالية قاصدة معسكر الاحباش النازل قرب آدووا في ٢٩ شباط (فبراير) ١٨٩٦ في الساعة التاسعة مساء على الحساب الافرنكي وأخذت تحث السير تحت نور القمر الذي كان بدراً وجعلت مسيرها على طريق (صوريابوني) مارين بسهل (انتى سيفو) وجبال (جحا) ذات الحزون الكثيرة والمعارج

والمنحدرات فكان الجنود في بعض الاوقات يضطر ان يأخذ بعضهم بيد بعض ليتمكنوا من السير. وكان لواء الجنرال البرتون في المقدمة وبعده ألوية الجنرالين اريموندي ودابورميدا وكان لواء الجنرال آلينا يسير في المؤخرة. قطعت هذه الحملة ثماني ساعات ذاقت فيها أنواع المشاق ووصلت مع بزوغ الفجر الى محل يسمى (ربى ارين) حيث التقت بالقائد العام الايطالي وباركان حربه. وهنا تغيرت الترتيبات الحربية وصار ترتيب صفوف الجنود على الوجه الآتي:

على لواء البرتون ان يسير الى الامام عن طريق شيدان ورنا مع لوائين آخرين وان يحتل نقط (ربى اريني) و (رابو) وعلى لواء آلينا الاحتياطي ان يحتل جهة الشمال الشرقي من (ربى بوني) التي سيجعل القائد العام مقره فيها. وقد قامت هاته القوى بما أمرت به واحتلت النقط المذكورة ونزل لواء البرتون على يسار جبل (رابو) كما ان الالوية الثلاثة الاخرى نزلت وراء هذا الجبل. وأما الجنرال البرتون فانه ارسل الاورطة الاولى والثانية المؤلفة من الجنود الوطنيين المشاة الى الامام تحت قيادة البيكباشي تورينو الى ادووا. ووصلت هذه الاورطة بغتة في الساعة السادسة صباحاً الى امام معسكر الاحباش وأخذت تقذف نيرانها على الاحباش الذين جاوبوها بالمثل ثم هاجموها مهاجمة شديدة فلم يمض من الزمن الا القليل حتى بادت الاورطة عن آخرها ولم ينج منها ولا رجل واحد وواصل الاحباش هجومهم الى لواء البرتون الذي كان سائراً وراء اورطة نوريتو المذكورة فدافع هذا اللواء دفاعاً شديداً ولكن جموع الاحباش أخذت تزحف عليه من كل صوب كأسراب النمل فأحاطوا باللواء المذكور. وفي الساعة السابعة ارسل الجنرال البرتون يطلب مدداً من القائد العام ولكن كتابه لم يصله الا في الساعة التاسعة وعلى ذلك امر الجنرال باراتيري ان يسير اللوائين الآخرين الى الامام لتعزيز قوى البرتون وامداده فسار الاول تحت قيادة جنرال بورميدا ولكنه ضل عن الطريق الموصل الى مقر الجنرال البرتون ومشى في وادي مريم وسافيتو وبذلك انفصل عن الجيش انفصالاً تاماً. أما اللواء الثاني فانه سار قاصداً

جهة اريسن فوجد جميع الاحباش احتلوا جميع الهضاب الواقعة في الجهة المحاذية للقوى الايطالية

أما الجنرال البرتون فانه ظل يقاوم الاحباش ويكافحهم مدة حتى نفدت قواه وتكاثرت عليه الجموع فتقهقر منهزماً بمن بقي من لوائه شر هزيمة ومع ذلك فان الجنود الحبشية لم تتركهم بل تتبعت آثارهم وشبعتهم ضرباً وطعناً حتى فني جميع الضباط ووقع الجنرال البرتون نفسه بين ايدي الاحباش

هذا ما كان من امر الجنرال البرتون وأما الجنرالان اريموندي وداله نا فان الاحباش احاطوا بلوائهما ايضاً احاطة السوار بالمعصم واختلط الجيشان اختلاط الحابل بالنابل حتى أدى الكفاح الى التماسك بالايدي والتضارب بالسلاح الابيض حتى وصل الامر الى أن هذين الجنرالين عجزا عن جمع جنودهما بأية وسيلة كانت والتقهقر بهم الى الوراء تخلصاً من فتك الاحباش بهم. وكانت خسائر الايطاليين عظيمة جداً خصوصاً جنود الطوبجية وبالاخص ضباطهم الذين لم يتمكنوا من استعمال مدافعهم ولم يشاؤوا تركها بين ايدي أعدائهم فماتوا جميعهم في سبيل الدفاع عن بطارياتهم وقد كان مع الايطاليين ٥٦ مدفعاً فوقع منها ٥٤ غنيمة في ايدي الاحباش وتمزقت صفوف الجنود الايطالية شذر مذر ولم ينفع ما بذله الضباط من السعي في تخفيف وطأة الهزيمة هذا وقد قتل الجنرال اريموندي وكثير من الضباط ومما زاد خسائر الايطاليين تسلط الاهالي عليهم اثناء تقهقرهم . هذا ما اصاب لواء البرتون الذي باد عن آخره ولواء اريموندي الذي انهزم شرّ هزيمة . وأما لواء بروميدا الذي كان ضل الطريق وانفصل عن باقي الجيوش فانه بينما كان سائراً في وادي مريم وصافيتو صادف فرقة حبشية فنشبت بينه وبينها الحرب فألجأها الى التقهقر حتى اوصلها الى الوادي ولكنه في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر وجد نفسه بغتة امام الجيوش الحبشية المطاردة للقوى الايطالية الاخرى المنهزمة . وقد قاوم الجنرال بورميدا هذه القوى الهائلة بشجاعة نادرة لكنه غلب على امره وقتل هو واكثر ضباطه والقي الفشل في صفوف لوائه

فانهزمت الجنود وتشتت هذا اللواء ايضاً وأصابه ما أصاب لواء الجنرال اريموندي وفرّ من نجا من الموت الى جهة (آدي اورجي) وأخذ الاحباش يتتبعون آثار المنهزمين طول النهار . وفي المساء جمع بعض الذين نجوا من مخالب الموت ما بقي من الجنود الايطالية وعادوا الى اسمرا . وأما القائد العام الجنرال باراتيري فانه كان يشاهد من الهضبة التي كان اتخذها كمقر له ما أصاب جيشه من الهزائم والمصائب ولما تم القضاء على الجيش كله عاد في المساء الى اسمرا عن طريق (انتشيفو) وقد احصى خسائر الايطاليين في هذه الوقائع فوجد انها تزيد على سبعة آلاف شخص بين قتيل وجريح . أما هذا الجنرال اي القائد العام فقد حوكم فيما بعد أمام مجلس حربي ولكنه خرج بريء الساحة

وبعد انتهاء الحرب عقد الامبراطور منليك مجلساً مؤلفاً من الرؤوس لتعيين العقاب اللازم ايقاعه بالاسرى الوطنيين الذين هم من اهل البلاد وخدموا بالجيش الطلياني . وأراد الامبراطور المجبول على الرحمة والشفقة ان يكون عقاب هؤلاء خفيفاً ولكن بناء على اصرار الامبراطورة والرؤوس فقد تقرر معاملتهم معاملة خائن الوطن وصدر الحكم عليهم بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى حسب المادة التي تنص عن خائن الوطن من قانون (فتا نفوس) ونفذ هذا الحكم فيهم في الحال. وأما الاسرى من الايطاليين فان البعض منهم ألحقوا في خدمة أكابر الجيش كعادة هذه البلاد

كانت نتيجة هذا الانهزام ان دفعت ايطاليا الى الجيش غرامة حربية عظيمة وتخلت عن جميع المواقع والبلاد التي كانت احتلتها في مقاطعة تيغري

يوم الاربعاء ٧ تموز (يوليو)

وصلنا اليوم الى السويس فودعنا ربان البارجة وسائر الركاب وخرجنا الى البر حيث نزلنا في فندق قونتينانتال الواقع على الترعة

يوم الخميس ٨ منه

سافرنا اليوم من هنا على قطار الساعة الواحدة بعد الظهر عن طريق الاسماعيلية ومنها الى الاسكندرية أقمنا يومين وفي يوم السبت ركبنا الباخرة چنجاچيف الروسية قاصدين الاستانة العلية فبلغناها بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٦ تموز (يوليو) وبذلك تمت رحلتنا التي استغرقت ثلاثة شهور كاملة

مشاهير الاحباش

لقمان الحبشي

وهو مشهور بفرط التعقل والحكمة وقد أشار الله في القرآن الكريم الى مواعظ لقمان الحبشي التي ألقاها على ابنه . وقد اتخذ بعضهم حكم لقمان دليلاً على نبوته ولكن أغلب المفسرين قالوا ان هذه الحكمة هي بلاغة وفصاحة لسان وأثر من آثار العقل والفضل واصابة الرأي . والحقيقة انه مختلف فيه هل هو نبي أو ولي . والقول الاخير هو الارجح وقد روى بعض المحدثين منهم ابن مردويه باسناده الى أبي هريرة وابن عساكر باسناده الى عبد الرحمن بن يزيد وجابر أن لقمان حبشي

بلال الحبشي مؤذن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

كان مولى عبد الله بن جدعان في مكة المكرمة وقد أسلم على يدي النبي عليه الصلاة والسلام ولذلك كان سيده يعذبه انتقاماً منه ولما بلغ هذا الخبر أبا بكر الصديق اشتراه من عبد الله وأعتقه لوجه الله . و بلال الحبشي ممن صاحب سيدنا محمد وكان يؤذن بالصلاة بين يديه وقد روى عنه أحاديث عديدة ووجد مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أغلب غزواته . ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ذهب مع الجيش الذي أرسله عمر رضي الله عنه في زمن خلافته لفتح الشام واستقر في دمشق بعد فتحها واتخذها مقاماً له وفيها توفي عن عمر ناهز الستين ودفن في مقبرة الباب الصغير . وقبره معروف الى يومنا هذا يزوره الناس ويتبركون به رضي الله عنه وعن جميع الصحابة الكرام

مهجع الحبشي

كان مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وحضر واقعة بدر وقتل فيها

نفيع بن مروح الحبشي

هو مولى الحرث بن كلدة الثقفي ولما حوصرت الطائف كان نفيع فيها فتدلى من السور بحبل وبكرة وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وتشرف بصحبته وقد أطلق عليه لقب أبو بكرة نسبة للبكرة التي استعملها عند نزوله من سور الطائف وقت الحصار . وقدبقي نفيع رضي الله عنه على الحياد في واقعة الجمل ولم يشترك بالحرب مع أحد المتقاتلين . وتوفي في البصرة سنة ٥٦ ودفن فيها وله من العقب ولدان الواحد يسمى عبد الله والآخر سليم

شقران الحبشي

وأصل اسمه صالح بن عدي ولقبه الشقران . كان في بادئ الامر مولى عبد الرحمن بن عوف واشتراه فيما بعد النبي عليه الصلاة والسلام وأعتقه عقب واقعة بدر وقد حضر هذا الصحابي رضي الله عنه وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما انه كان من جملة الذين قاموا بتكفينه وبتجهيزه ودفنه . وقد استمرت ذريته موجودة الى زمن الخليفة هارون الرشيد العباسي

ذو مخمر الحبشي

هو ابن أخي أصحمه نجاشي الحبشة وقد كان بين الاثنين وسبعين حبشياً الذين حضروا من الحبشة مع سيدنا جعفر . وكان لهذا الصحابي حب للنبي صلى الله عليه وسلم وملازمة له كان يظن انه أحد مواليه وما كان يفارق النبي ولا لحظة واحدة بل كان دائماً في خدمته الشريفة . وقد روى بعض الاحاديث وتوفي في دمشق في الستين من عمره

ذو مهدم الحبشي

وهو أيضاً من الاحباش الذين أتوا مع سيدنا جعفر وتشرفوا بصحبة النبي وقد كان هذا الصحابي يومئ في قصائده التي ينشدها أمام النبي ان أصل الاحباش من أولاد هود الذين مروا من جزيرة العرب الى الساحل الافريقي

خالد بن رباح الحبشي

هو أخو بلال الحبشي المار ذكره وقد كان توطن في قرية داريا قرب دمشق الشام

ذو دجن الحبشي وغيره

هو من الاحباش الذين أتوا مع سيدنا جعفر وقد صحب النبي أيضاً

ومن الذين أتوا مع جعفر من الحبشة وتشرفوا بصحبة النبي ذو مناصب الحبشي وخالد بن الحوارئي الحبشي

أسلم الحبشي

كان عند أحد يهود خيبر في أيام حصار هذه المدينة وقد وفد أثناء الحصار على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم اشترك في قتال خيبر وقتل وكان بين اظهار اسلامه ووفاته ساعتان فقط

يسار الحبشي

كان عند رجل من يهود خيبر يقال له عامر فأسلم وقتل أثناء الحصار أيضاً

وحشي بن حرب الحبشي

كان قبل اسلامه مولى جبير بن مطعم . وقد كان بين المشركين في واقعة أحد وهو الذي قتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ووفد بعد ذلك

على النبي في المدينة المنورة وأسلم هنـاك وهو الذي قتل في خلافة أبي بكر الصديق مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة

عاصم الحبشي

مولى زراعة الشفري وقد أهداه سيده الى النبي صلى الله عليه وسلم

نائل الحبشي

وهو أبو ايمن أحد الصحابة الكرام ورواة الحديث

لقيط الحبشي

من موالي النبي عليه الصلاة والسلام

يسار الحبشي

القائم بكنس المسجد النبوي وأمر نظافته . وروى أبو هريرة ان النبي أثنى على يسار أمامه

جعال الحبشي

هو من الذين حضروا غزوات النبي وقتلوا في أحداها

ابرهة بن صباح الحبشي

والدة هذا الصحابي هي بنت ابرهة الاشرم صاحب الفيل المشهور وملك اليمن . وكان ابرهة بن صباح من رجال أصمحة نجاشي الحبشة فوفد على النبي هو وسبعة من رفاقه ودخلوا في الاسلام

اسلم ابو خالد الحبشي

مولى سيدنا عمر بن الخطاب وقد روى أحاديث كثيرة عن كثير من الصحابة الكرام وكان أطول الصحابة عمرًا لانه بلغ من العمر ١١٤ سنة وتوفي في زمن مروان بن الحكم

ايمن الحبشي

أبو عبد الواحد ومولى عبد الله بن عمرو المخزومي وقد روى عن جابر بن عبد الله الانصاري

انجشه الحبشي

لقبه أبو ماريه وهو من الذين نالوا شرف الصحبة وقد حضر حجة الوداع مع فخر الرسل سيدنا محمد وكان يلازمه أين ما ذهب ويحدى في الطريق للجمال لتسير بسرعة . ويوجد كثير من الاحباش غير الذين ذكروا ممن نالوا صحبة النبي ولكن لم تحفظ أسماؤهم

وهذه أسماء الصحابيات المطهرات من الحبشيات :

بركة ام ايمن الحبشية

جارية سيدنا عبد الله بن عبد المطلب وهي التي قامت بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ولادته وبتربيته حتى شب وقد أعتقها سيدنا محمد بعد زواجه بالسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها وكان يحبها كوالدته ويقول ذلك أمام الناس وبعد عتاقها زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة أحد مواليه فولدت له اسامة بن زيد . وقد كان سيدنا محمد يتردد كثيراً الى منزل بركة ام ايمن لزيارتها كذلك كان الخلفاء الاربعة بعد وفاة النبي يزورونها اتباعاً لما كان سنه النبي على نفسه من زيارتها

سعترة الحبشية

هي من اماء بني أسد وقد ألم بها مرض فأتت وشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعى لها بالشفاء

بركة الحبشية

هي أمة أم حبيبة احدى زوجات النبي وقد جاءت معها من الحبشة

عفيرة بنت رباح الحبشية

أخت بلال الحبشي مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام

نبعة الحبشية

هي أمة أم هانئ احدى زوجات الرسول وبنت أبي طالب . وقد كانت في خدمة النبي عليه الصلاة والسلام

واليك أسماء بعض التابعين والتابعات من الاحباش :

عبد الله الحبشي

هو ابن النجاشي اصمحه المعاصر للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ولد في الحبشة وسماه جعفر باسم ابنه عبد الله الحديث الولادة . وقد أرضعته زوجة جعفر المومأ اليه ولما شب عبد الله بن جعفر وعبد الله الحبشي أحبا بعضهما وكانت المودة بينهما متبادلة

حميس الحبشي

ذكره بعض المؤرخين في عداد الصحابة الكرام والبعض ذكره في عداد التابعين

الفقيه عطاء بن رباح الحبشي

وهو مولى أبي مسرة الفهري وكان من أجلة الفقهاء والزهاد . وقد روي عنه أحاديث كثيرة . وكان مفتي مكة المشرفة في زمانه . وقد أثنى الامام أبو حنيفة والحسن البصري والامام ابن مالك عليه . وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي يحضر حلقة درسه هو وابنه الذي كان من جملة تلاميذه . وتوفي في مكة سنة ١١٤ وهو في التسعين من عمره قضاها بنشر العلم والتعليم

أبرهة الحبشية

وهي أمة أصمحة النجاشي وقد كانت واسطة للمخابرة بين النجاشي المشار اليه وبين حبيبة أم المؤمنين . ولما تم أمر عقد نكاح أم حبيبة على النبي أهدتها أم حبيبة هدايا فاخرة فلم تقبلها

وهذه أسماء الصحابة الكرام الذين ولدوا من حبشيات :

أسامة بن زيد

أشهر شعراء العرب ومن أحفاد امرؤ القيس المشهور . والدته بركة أم أيمن مربية النبي عليه الصلاة والسلام . وتوجد أحاديث كثيرة تدل على عظم محبة النبي لأسامة وقد ولاه قيادة الجيش الذي سيره الي الشام وكان وقتئذٍ عمر أسامة ثماني عشرة وقد سقط أسامة يوماً فجرح وجهه وقام النبي بمعالجته حتى شفي كما انه أردفه مرة وراءه على الفرس التي كان راكباً عليها

ولم يحضر أسامة حروب علي رضي الله عنه لانه كان حمل مرة على أحد المشركين فلما رأى المشرك ذلك نطق بالشهادتين ومع ذلك ضربه أسامة ضربة قضت عليه فوبخه النبي على فعله هذا . وقد روى أبو عثمان الهندي وعبد الله بن عبد الله وكثير من المحدثين أحاديث كثيرة بالاسناد الى أسامة وقد مات سنة ٥٤ من الهجرة في محل يسمى الجرف قرب المدينة المنورة ودفن في المدينة

أيمن بن عبيد بن عمرو

ابن بركة الحبشية السابق ذكرها وهو أخو أسامة من والدته وكان موكلاً باحضار ما يلزم لوضوء النبي صلوات الله عليه توفي في غزوة حنين

فيروز الديلمي

ابن أخت أصمحة النجاشي ويكنى بأبي عبد الله وأبي عبد الرحمن . وهو الذي قتل الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في اليمن . وقد مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهذه أسماء بعض أعيان المسلمين الذين ولدوا من أمهات حبشيات :

عبد الله بن قيس بن عبد الله بن زبير ، محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، جعفر بن اسماعيل بن موسى بن جعفر

الصادق ، عبد الله بن حمزة بن موسى بن جعفر ، سليمان بن حسن بن عقيل بن أبي طالب ، ابراهيم بن حسن بن عقيل بن أبي طالب ، محمد بن ابراهيم بن حسن بن أبي طالب ، جعفر بن ابراهيم بن عقيل بن أبي طالب ، العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عيسى بن جعفر المنصور ، جعفر بن جعفر المنصور ، هبة الله بن ابراهيم بن المهدي ، العباس بن المعتصم ، الخليفة مقتضي لامر الله . و يوجد غير ذلك كثير من الذين أمهاتهم من الحبشيات

وهذه أسماء بنات الصحابة الكرام الذين هاجروا الى الحبشة وقد ولدن فيها :

آمنة أم خالد القرشية

هي بنت خالد بن سعيد بن العاصي وقد ولدت في الحبشة وعادت مع من عاد الى المدينة من الصحابة . وقد تزوجت من الزبير بن العوّام ورزقت منه عمرًا وخالدًا وكنيت بأم خالد . روى عنها بعض المحدثين مثل موسى بن عقبة وابراهيم بن عقبة وكريب بن سليمان الكندي ومصعب بن عبد الله وغيرهم أحاديث كثيرة

زينب بنت الحرث

ولدت في الحبشة وتوفيت هناك أيضاً اثر شربة ماء

زينب بنت عبد الله أبي سلمة

هي بنت أم سلمة احدى زوجات النبي الطاهرات . وقد ولدت في الحبشة وسميت (برة) ولكن النبي عليه الصلاة والسلام غير اسمها فيما بعد وأطلق عليها اسم زينب . وكانت مشهورة بعلم الفقه

عائشة بنت الحرث

ولدت في الحبشة وكانت بين الصحابة الكرام الذين عادوا الى المدينة

وهذه أسماء أولاد الصحابة الذكور الذين ولدوا في الحبشة :

من بني هاشم غوث بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومن بني عبد شمس محمد بن أبي حذيفة بن عتبة وعبد الله بن عثمان بن عفان

وهذه أسماء من توفى في الحبشة من الصحابة الكرام :

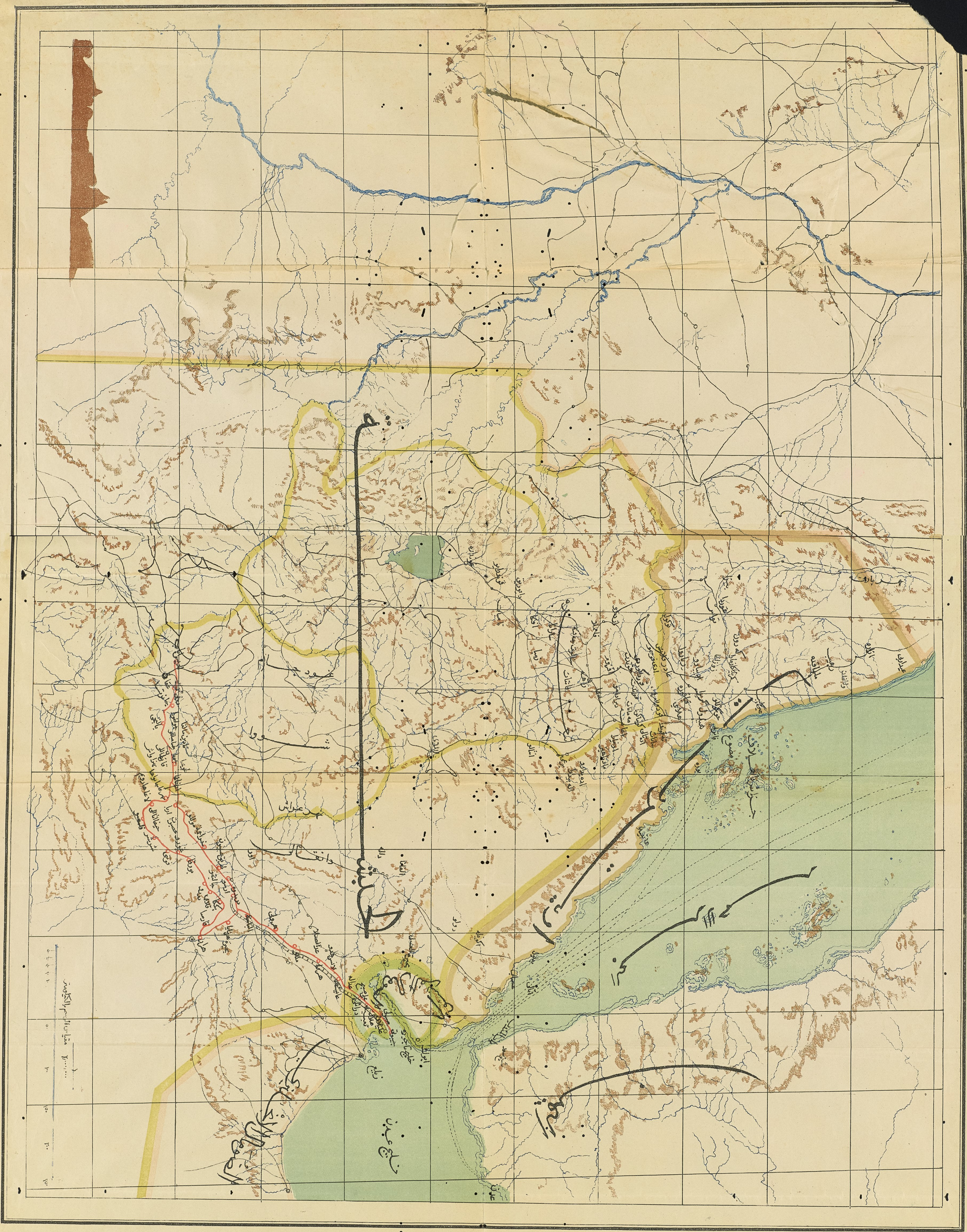
من بني أسد ابن عبدالعزى بن قصي . وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد ومن بني جحم — حاطب بن الحرث وأخو خطاب بن الحرث . ومن بني سهم — عبد الله بن الحرث بن قيس .ومن بني عدي - فروة بن عبد العشرى بن حرثان . وعدي بن فضلة . ومن بني زهرة المطلب بن أزهر بن عوف وأخوه طبب بن أزهر بن عوف . ومن بني تيم موسى بن الحرث بن خالد وأمه ريطة بنت الحرث بن جبيله وأختها عائشة بنت الحرث وزينب بنت الحرث وزينب صفران بن أمية الكتابي وفاطمة زوجة عروة بن سعيد ابن العاص وأم حرملة بنت عبد الاسد وزوجة جهم بن قيس

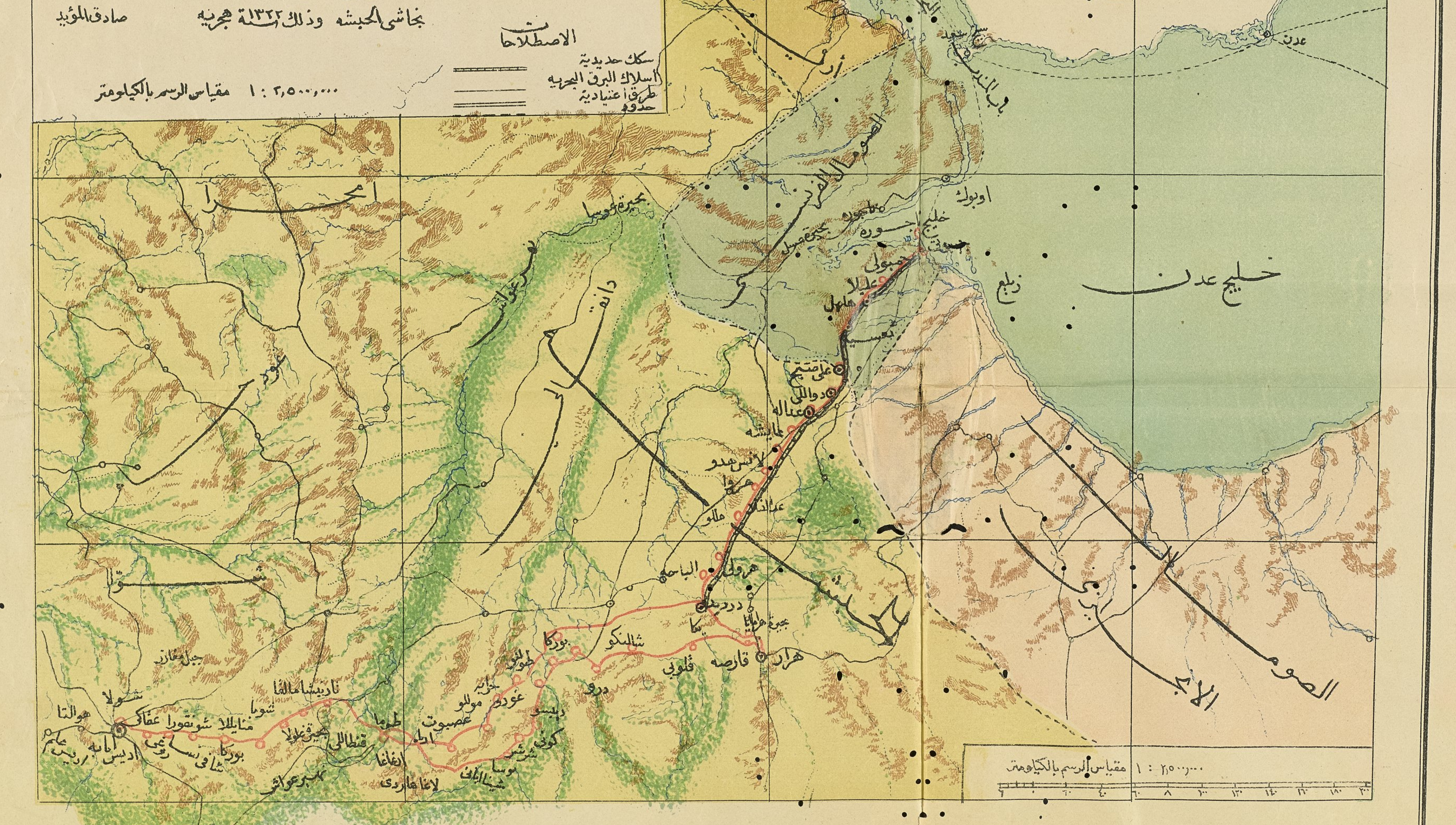
ومن بني عبد شمس -- سعيد بن خالد بن سعيد وأخته آمنة بنت خالد بن سعيد ومن بني مخزوم — زينب بنت أبي سلمة عبدالله بن عبد الاسد وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة وعمر بن عبد الله ومن بني زهرة عبد الله بن عبد المطلب بن أزهر ومن بني تيم — موسى بن الحرث بن خالد وأخواته عائشة وفاطمة وزينب . ومن بني جمح — الحرث بن حاطب بن الحرث والحرث بن سفيان بن معمر ومحمد بن خطاب بن الحرث ومن بني عامر - سليط بن سليط بن عمرو

تمت الرحلة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٨	١	صحبولي	حمبولي
٣١	٣	ومن الحيوانات	ومن جلود الحيوانات
٣٩	١٧	دادانلي	دوانلي
٥٤	١٦	تيربون	تيربوشون
٥٥	٢٢	طبحتها	طحنتها
٥٧	٢	الفاللا	الغاللا
٦٥	٢٢	لون فضي	ألوان ففي كل
٦٥	٢٣	التسمية	الشمسية
٧٩	٧	شحما	شمما
٨٧	٨	بيج	دجاج فرعون
٩١	١١	تيفري	تيغري
١٠٤	٨	الاينو	الايتو
١٠٨	٥	اتحي	اتمي
١٠٩	١٤	جغا ايناني	چفا ايناني
١١٠	١٧	قالمو	قالمسو
١١٣	٣	اصنعا	اصفا
١١٤	٣	الفا	الغا
١١٥	٧	النوكي	التوكي
١١٥	١٦	اواس	اواش
١١٦	٢١	وتحت الشجرة على الارض خرقة مفروشة	وعلى الشجرة قرب القرعة خرقة معلقة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٧	٢٢	الفابلة	الغالليه
١١٩	١٧	عروس	عروسي
١٢١	٨	ألوف	مئات
١٢٤	١	تينجه فيدنسا	تحية فيدنسا
١٤٨	٦	ارغامق	ارغامن
١٤٩	١٤	تابانا	تاباتا
١٥٠	٨	لاليلابا	ليلالمبلا
١٥١	٦	الفالبين	الغالبين
١٥٦	٢٢	نفوس	نغوس
١٥٦	٢٢	نفوسي نفسي	نغوس نغستي
١٥٦	٩	الموسيو ليشين ترجمان	ترجمان الموسيو ليشين
١٦٢	٢٠	دانفلو	دابغلو
١٦٢	٩	كما يباع عندنا	كما تباع عندنا القضامه
١٦٢	١	الجبل	الحبل
١٦٤	١٧	قوقسان	قوقسا
١٩٣	٢	دللو	وللو
٢١٩	٦	مرآة	بناية (اي بناء)
٢٢٤	٩	ثالث ملوك شووا	ثالث ثلاثة احد ملوك شووا
٢٥٢	١	لقامعو	لقامعسو
٢٦٨	١٩	افانفوس	افانغوس
٢٧١	٢٠	فوق الصخر	فوق الصفر
٢٧٤	٠٣	المسيو شارل	الموسيو مارشال





خريطة الطريق التى مر منها الوفد السلطانى ذهاباً وإياباً
الموفد من قبل الحضرة السلطانية الى جلالة الامبراطور منليك
نجاشى الحبشه وذلك سنة ١٣٢٢ هجريه
صادق المؤيد
الاصطلاحات
سكك حديدية
اسلاك البرق البحريه
طرق اعتيادية
حدود
١ : ٢,٥٠٠,٠٠٠ مقياس الرسم بالكيلومتر
خليج عدن

فهرست

رحلة الحبشة

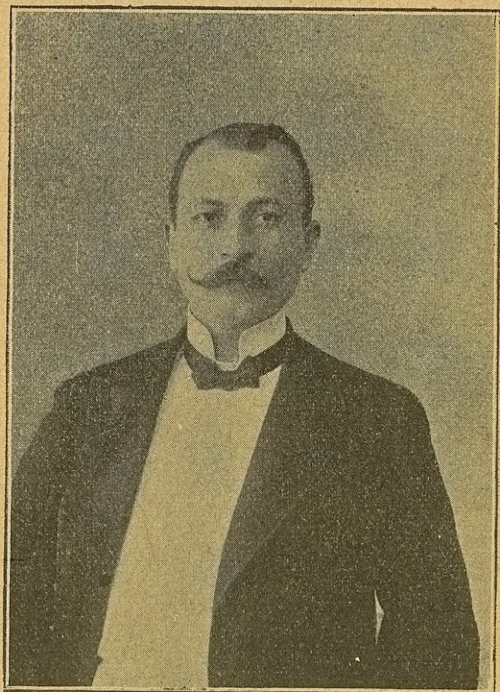
صحيفة

صحيفة

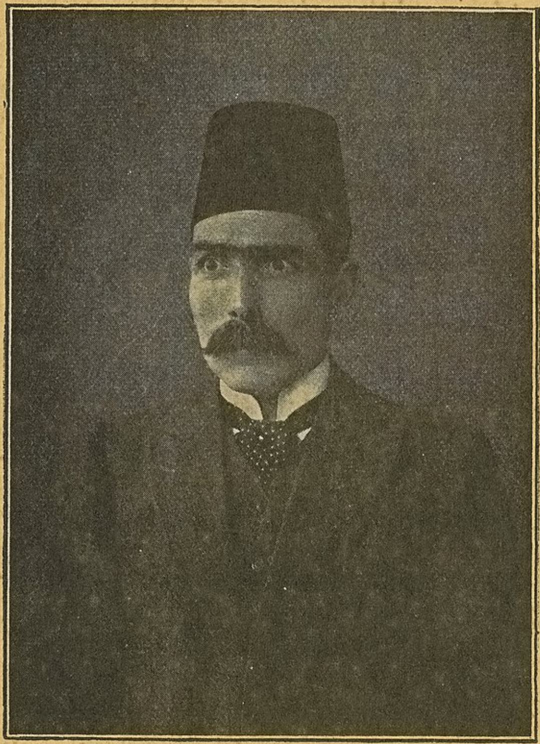
صحيفة

صحيفة

صحيفة



حقي بك العظم



رفيق بك العظم